AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢١٧٧

A.U.B. LIBRARY

89.2.7109
A2195asA
v.10

مهذب الأغاني

المغنون

تهذيب وترتيب وتحقيق

الأستاذ

عبد المنعم شلبي

ليسانسيه فى الآداب

وقدم له الأستاذ

ابراهيم الأبياري

عضو لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري

الجزء العاشر

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

[حقوق الطبع محفوظة]

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد وتقديم

بقلم الأستاذ

إبراهيم الأبيارى

عضو لجنة إحياء آثار أبى العلاء

هذا جزء متمم لأجزاء بدأ بها المرحوم الخضرى بك ، تناول فيها شعراء الأغانى ، وانتهى رحمه الله عند هذا ، وترك كتابه «مهذب الأغانى» ينقص جزءاً يتمه فى أخبار المغنين .

فكانت التفاتة طيبة تلك التى هيأت لهذا الجزء أن يكون ، فأصبحنا نرى به للمغنين مكانهم من كتاب « مهذب الأغانى » على اختلاف ما بين النهجين . فالأجزاء الأولى من المهذب ذُكرت فيها أخبار الشعراء بعد ردهم إلى قبائلهم التى إليها ينتمون ، وهذا الجزء الأخير فى أخبار المغنين ، رتبه الأستاذ المهذب على مكان أوائل الأسماء من الألف ياء .

وعندى منه عِلْم ذلك : فقد رأى الشعراء كُثرهم بقبائلهم يُعرفون ، وما كان منهم مولى فهو إلى ولائه . والأمر مع المغنين لا يقاس على حذوه عند الشعراء ، فجُل المغنين موالى ، وماهم ممن تتنازعهم القبائل للفخر ، شأن الشعراء فى ذلك . ثم إن البلاد التى ظُن أن يُردوا إليها ، بعد أن لم تُظلهم قبائل ، كانت هى الأخرى غير مقطوع فيها برأى . فقد نجد منهم المكى ، كما نجد منهم المدنى ، لاشك فى هذا

أو ذاك ، ولكنك تجد غير هذين الكثير ممن عاش هنا وهناك ممن لم يُسعفنا فيه أبو الفرج بإشارة إلى موطنه .

وفرق بين الشعر والغناء ، إذ الشعر مع القبائل العربية من مهدها أداة كفاح ونضال ، تحرص كل قبيلة على شاعرها ، وتحتفل بظهوره ، وترعى وجوده بينها . والغناء غير الشعر ، شيء دخلت ضروبه أخيراً بعد أن أصبحت الأمة العربية دولة اتصلت فيها حياة القبائل ، وزالت الفروق أو أوشكت . كما لم يكن الغناء شيئاً يُفخر به فيحل من القبائل محل الشعر ، ويُحرص على رجاله الحرص على الشعراء ، بل كان على العكس أمراً آخر لطبقة عاشوا لهذا الفن يجمعهم شمله ، لا كما كانت الحال عند الشعراء كلٌّ إلى قبيله .

ولا يدفع هذا ما كان من تعصب أهل مكة أو أهل المدينة لمغنيهم ، فإن هذا لم يعش طويلا . ذلك إلى ما رأينا من انحياز المدنيين إلى غير المدنى ، وتعلق المكيين بغير ماهو مكى .

وكان القصد من جمع الشعراء تحت لواء القبائل تعرف لغة كل قبيلة فيما شاع على ألسنة شعرائها ، وليست كذلك الحال فى الغناء ، فلم ينقل إلينا لقبيلة أداء — غير اللهجات — تنماز به ، ولا نغمات اختصت بها دون سواها ، كما هى الحال بين الشعوب المتباينة . وليس ببعيد أن تكون للقبائل العربية فى الغناء ، أيام انقطاع الصلة بينها ، مثل هذا الذى بين الأمم المختلفة ، ثم ضاع هذا مع الامتزاج والاختلاط ، وبقى ما بقى فى اللغة ، لأن اللغة أعصى من الفنون اندماجا ، وأبقى على الأيام احتفاظا بكيانها ، أو بما يشير إليه ويدل عليه .

فكان هذا الترتيب الذى سلكه الأستاذ مهذب للمغنين أولى ، وأنفى لكثير من الاحتمالات ، وأقطع لمثلها من الشكوك ، وأبعد عن طريق ليست مأمونة المغبة ، ولا تنفى جدواها بعنائها .

وغير هذا أحق بالحديث ، فلقائل أن يقول : وماوراء أخبار المغنين من نفع بعد أن عجزنا عن تعرف رموز أبي الفرج و إشاراته عن الأصوات وطريقتها . مانفعنا من أغانى لا نصل إلى أدائها وطرائقها فنحتذيها ، وندفع بانتزامنا لها طغيان غيرها مما هو غير عربى ، على فننا الغنائى الذى كاد أن يصبح صدى لتلك الفنون الأجنبية .

هذا صحيح . ولكن ليس هذا الكتاب ميدانه ، ومانعرف أن الوقت حان لأن يطلع علينا من له دراية بالغناء وأصوله فيفسر لنا ماعمى علينا من هذه الاصطلاحات ، التى لا تزال تُحفظ بأسمائها ولا تُعرف مدلولاتها (١) .

ماأحوجنا إلى هذا أو قريب منه . ولست ممن يحرص أن يكون هذا الفن الفائت لنا كله ، إذا صحت حياته ، ولكنى أرى أنه ستكون لنا منه نواة نزيد حولها وليس فى غيرها عوض . فهذه النواة متصلة بالكثير من وجداننا و إحساسنا اتصالا وثيقاً ، هى لون قريب من لون حياتنا ، أو مُعبر أقرب إلى الصدق عما فى صدورنا .

والغناء كغيره تكيفه البيئة بجميع مظاهرها ارتفاعا وضعفاً ، إطالة وقصراً . قوة ووهنا . ومامن شك فى أنا أقرب فى بيئتنا إلى العرب ومن إليهم ، ولنا بهم صلات تاريخية وسياسية حدثت بعد الفتح قاربت بين تلك المظاهر ، وكادت أن توحّد بينها . لذا كان اتصال آذاننا بالغناء العربى ثم الشرقى ، وانصبابه فيها من غير عناء ، وحنين النفوس إليه ، أمراً هذا فى الظن تعليله . فنحن إذا حرصنا على أن نتعرف هذا المجهول من ماضينا لنتخذ منه أساساً نضيف عليه ، فذلك ليكون لنا فن قوى الصلة بنفوسنا ، مزيج من وجدانات الماضى والحاضر ، يحدث عنا و يعبر عما نملك ، نُعرف به كما تُعرف الأمم بلغاتها وفنونها .

---

(١) للدكتور بشر فارس بحث حول مدلول هذه الاشارات والرموز سيصدر قريبا فى كتاب قيم .

وكما تصل اللغات بين الأفراد تصل الفنون ، والأمة لاتغنى بلغتها دون سائر المقومات الأخرى ، كى تنهض وتؤكد الصلة بين آحادها ، بل عليها أن تجمع الأفراد على جميع ماتملك من أسباب تميزها وجودها ، كاللغة والدين والعادات والفنون ، فكلما زالت الخلافات فى هذه أو قاربت قويت الصلة بين الأفراد ، واجتمع الكل على شعور واحد يجعل منهم يداً واحدة وتفكيراً واحداً وشعوراً واحداً .

وإن مانشكوه فى مصر من هذا الانحلال المعطل لكثير من تعاوننا ، والذى إليه تخاذلنا ، هذا مأتاه . إنك لتكاد تحس فرقا بينك وبين من يخالفك فى اللباس ، وكم لهذا فى مصر من صدام لاتختص به فئة الجاهلين دون فئة المتعلمين ، بل هو بين المتعلمين أشد وأنكس . وليست دون ذلك العادات ، فالناس فيها شيع ، لاترضى شيعة ماعليه الأخرى ، فسادت الوحشة محل الأنس ، وشاع الاستهجان مكان الاستحسان .

وأبعد من هذا وذاك أثراً الفنون ، وذلك شىء أغفلناه ومارعيناه . فمتى يجىء اليوم الذى أقف فيه إلى لوحة المصور فأقول هذه ريشة مصرية ، كما يقول الناس هذه ريشة صينية أو يابانية .

حدثنى أستاذ للرسم قدير أنه يبكيه مايبكينى من انسياقنا فى الرسم وراء التقليد ، وأننا لاتنطلق أيدينا التصوير مانحس ، وأنا نطرب للراسم ينقل عن الكتب مالا وجود له فى البيئة ومالا يتصل بها . هو لايمنع ان تنطلق ريشة الراسم أو المصور بشىء من هذا ، ولكنها حين تفعل لاتكون معبرة عن وطنية مصرية بل حاكية مقلدة . هو يريد أن تكون البيئة مصدر إلهامنا وتعبيرنا . وقد هداه الفكر بعد كثير تقليب إلى اسس مصوَّر بها الرسم حتى جعلنى بعدها أقول : هذا مصرى ، هذا غير مصرى ، يالها من غبطة حبذا لو تبعتها غبطة أخرى حين أسمع الغناء فأقول ويقول غيرى : هذا مصرى ، هذا غير مصرى .

إن تفكيرنا فى خلق أمة مجموع شملها، يُحس أفرادها إحساساً واحداً، ينطوى الكل على شعور واحد . أمه يتبادل المحبة فرادها ، ويعيش على وئام آحادها ، أمه إذا دعى داعى العون لَبَّته جميعها ، لن يكون إلا إذا فكرنا فى أن نجمعها على مقومات واحدة ، وهذا ليس عسيراً لو كنّا جادين.

نعم : نحن فى حاجة ، إلى أن يكون لنا هذا الطابع الغنائى ويشيع ، فيكون مقوما من مقومات حضارتنا ، ومظهرا من مظاهر حياتنا ، وصوتا لنا يدل علينا.

وما أنت بمجمع أمة على شى مالم تجمعها على هذه المقومات المشتركة التى من أكثرها خطرا الغناء . زُر ضاحية كتلك التى يجمع فن البناء بين أشكال بيوتها ، والمس أثر ذلك من نفسك وأثره من نفوس السكان . ثم عد إلى حى من تلك التى تتباين فيها المنازل ويختلف المأوى ، وانظر ما تجد لذلك ، وما يجده المقيمون. تجد أمماً تعيش باسم أمة ، وطباعا تختلف بطبيعة كل مَقر ، ونفرة بين القلوب مَنشؤها الميول والأهواء التى خلفها التباين والبعد بين الوحدة .

فما أحوجنا إلى مدرسة تأخذ الناشئين بأكثر مما تأخذهم به اليوم ، فتعنى ، إلى جانب ملء الرءوس ، بتنشئة الأجيال على ألوان مصرية خاصة . وما أحوجنا إلى بيت تتحد نزعاته ، ولا نرى فيه هذا التباين ، الذى لا يكاد يجتمع معه بيتان على نهج فى الحياة. وما أحوجنا إلى رأى نافذ عن سلطان قاهر ، يمحو من تحت سمعنا وبصرنا ذلك الخلط فى مظاهر حياتنا ، فلا تقام البيوت إلا على نمط مصرى ، ولا تغرس الحدائق إلا على نظام مصرى ، ولا تجرى الأمور إلا على أوضاع مصرية. أما أن ترى نفسك وأنت تتنقل بين البيوت كأنك تتنقل بين مدن فى غير قطر واحد ، ثم وأنت فى المتنزهات كأنك تزور معرضاً لمختلف الشعوب ، ثم وأنت تسمع للناس كأنك بين خليط من أجناس مختلفة ، ثم وأنت ترى الأزياء كأنك أمام جمع يضم نماذج لأمم متباينة.

ليست بأمة يكتب لها الفوز والفلاح فى الحياة تلك التى تفقد أول ما

تفقد مقوماتها الرئيسة . مَصِّروا كل شيء يكن لكم كل شيء ، ولا يبهرنكم بادىء ذى بدء ما لغيركم وإن بزه، فما كتب الفوق لما ترون إلا بحرص أهله عليه ، وما بعد الحرص الأول من حرص ثان فى أن يكون تراثهم خير تراث وأكمله .

هذا استطراد لن يمنعنى أن أعود إلى جهد الزميل فى هذا المهذب ، فقد ساق أخبار هؤلاء المغنين مهذبة بعد أن كانت غير مهذبة ، مستخلصة من التكرار والحشو بعد أن رسفت فى قيودها طويلا ، مجردة من أسانيدها بعد أن أثقلتها الأسانيد وهذا شيء ، وإن لم يعرض ـ كما أسلفنا ـ لناحية الأداء وطريقته ، أو اقتصر على سرد الأخبار و إيراد الحوادث ملخصة نقية ، له قيمته وخطره . فحياة كل مغن صفحة من صفحات التاريخ الصريحة الحرة ، فيها الكثير مما يعوز الحديث عن حياة الخلفاء والأمراء . فبينا نرى الرواة فى غير أخبار المغنين لا ينقلون إلينا إلا بمقدار عن حياة الخلفاء الخاصة ، إذ بالأولى تضع عينك على ماوراء الحجب ، وتملأ سمعك بأسرار البيوتات الخفية . ولعل مكان المغنين من الخلفاء والوزراء ، وجلوسهم إليهم تلك المجالس الصاخبة المليئة باللهو والطنز ، ثم هَوَى الخلفاء والوزراء بالمغنيات واستحظاء بعضهن ، وتدلههم بهن حينا ، هو ماجعل لتلك الصفحات شأناً تاريخياً عظيما لمن شاء أن يعرف الحياة الخاصة بحديثها وأعمالها وسرها وخفاياها .

وما أحوج التاريخ إلى تلك الصفحات الصادقة التى لم تخضع لتجميل وتزيين ، واحذف وتطويل ، وتغيير وتحوير .

وإنك اليوم لتستملى من الخدم والحشم ـ إن صدقوك ولم يكونوا موتورين ـ ماينقض صوراً أنت مؤمن بصحتها ، أو يقفك على دقائق لو تركت للتاريخ ما كتب منها حرفا ولا عرف عنها شيئاً ، وذلك لصلة هؤلاء اللاصقة اللازمة . و إذا استطاع الإنسان أن يصنع نفسه على مثال خاص ساعة من نهار أمام الناس فلن يقوى على ذلك بقية يومه بين حرمه ، وشأنك فى جدك غير شأنك فى لهوك ، والحاكم على كرسى الحكم غيره حيث يراح و يستمتع .

تلك صفحات المغنين فى الماضى وذلك شأنها ، كانت من بيوت الخلفاء والوزراء والكبراء ومن إليهم ، فأتموا صفحات التاريخ العامة بتلك الصفحات الخاصة ، ولكن أين تلك الصفحات الخاصة من أخبار المغنين فى القرون التى خلت عن قرب ، هل بَعُد هؤلاء بأنفسهم عن أن تكون لهم تلك المجالس اللاهية؟ أوهل دنا المغنون عن أن يظفروا بتقريب هؤلاء لهم ؟

الذى نعلمه أن حياة المغنين انتقلت إلى الميادين العامة ففات عليهم الكثير مما ظفر به سابقوهم ، وأن تلك المجالس أصبحت لا تتسع لها الحياة اليوم اتساعها لها فيما مضى ، ولم تجد تلك الأيدى الباذلة عن سعة . غير أن ذلك لا يمنع أن هناك منها شيئاً ولكنه قليل ، ثم هو على قلته لم يعد يحمل مظاهره الأولى وما كان يحيط به ، فأصبح من أجل ذلك شيئاً لا يُغنى كثيراً .

ثم إن هناك شيئاً آخر ، فلقد كانت تلك المجالس عامرة بأبيات الهوى والغزل وما إليهما ، لأنها لم تكن إلا لذلك ، وعلى نحو ذلك يجرى غناؤنا اليوم ، على ما بين الاثنين من فرق فقد كان شعر هؤلاء يدور حول هوى حقا ، وشعرنا يدور حول هوى مصنوع متخيل . فكان الأول يمثل العاطفة والوجدان ، وشعرنا يمثل هوى مكذوباً ، وذلك لأن حياتنا فارغة حتى من الهوى ، أو لأن من يهوى لا يجد لساناً ينطق به حياء واستخذاء ، ففقدنا المعين الذى استمد منه من كان قبلنا . وهذا شئ تعوزه جرأة عفيفة وصرامة مقنّعة ، فتجرى الحياة من جديد فى تلك المناحى ، ويعود النشاط الى ماسكن وركد من جوانب دنيانا ، ويكتب لأدبنا أن يكمل بما فقد ، وأن يتم بما تتم به الآداب الأخرى .

نحن فى حاجة إلى مادة للغناء ، ثم إلى تصيير طريقة الأداء ، والأمر فى الأولى والثانية يعوزه لفته ممن يعنيهم شأنا ويملكون يداً موجهة ، وإنهم إذ يفعلون يبنون ركناً ركيناً لنهضتنا

ولا يسعنى وقد أوشكت أن أرفع القلم إلا أن أشكر للأستاذ المهذب جهده ، وما أتاح لى فى أن أقدم لعمله بهذه الكلمة ، أسأل الله تعالى له وله ولهذه الأمة التوفيق والسداد .

فهرست بأسماء المغنين

ص	الاسم
	المغنون (ا)
١	الأبجر عبيد الله بن القاسم
٥	ابراهيم بن المهدي
١٥	ابراهيم الموصلى
١٩	أحمد بن سعيد المالكى
٢٠	أحمد بن صدقة الصنورى
٢٣	أحمد بن عبد الله بن أبى العلاء
٢٤	أحمد بن يحيى بن مرزوق المكى
٢٧	أحمد بن أسامة الهمدانى النصبى
٢٨	إسحاق بن ابراهيم الموصلى
٣٥	أشعب بن جبير
	[ب]
٤٥	بديح المليح
٤٧	بديح اعلام إسحاق
٤٨	بديح ، غلام الخناق
٤٨	بذل
٥٢	بذل الكبيرة
—	بربر
٥٣	البردان
٥٥	بصبص
٦٠	بليلة
٦١	بنان
٦٢	بنان بن عمرو

ص	الاسم
٦٤	البيذق الأنصارى
	[ج]
٦٤	ابن جامع اسماعيل
٧٢	جميلة
٧٧	جوانويه
—	جوهر
	[ح]
٨٠	حبابة
٨٦	حجاج
—	حسين بن محرز
٨٧	أبو حشيشة الطنبورى
٨٨	حكم الوادي
٩٢	حوراء
—	حولاء
	[خ]
٩٣	خالد صامة
٩٤	خلوب
٩٥	خليل بن عمرو
٩٦	خمار
٩٧	خولة
—	خويلد
	[د]
٩٨	دحمان عبد الرحمن

ص	الاسم
١٠٢	دراج عمرو بن أبي الكنات
—	دقاق
١٠٣	الدلال
١١٣	دمن، جارية إسحاق الموصلي
١١٤	دنانير ، جارية ابن كناسة
١١٦	دنانير ، مولاة يحيى البرمكى
١١٩	دوشار
	[ذ]
١١٩	الدلفاء
	[ر]
١٢٠	راحة ، جارية عبد الله الربيعى
١٢١	رائقة
—	رباب ، جارية الواثق
—	الرباب
—	ربيحة الشماسية
١٢٢	رحمة
—	رذاذ
—	الرطاب
١٢٣	ريق ، جارية ابراهيم بن المهدى
	[ز]
١٢٤	الزبير بن دحمان
١٢٨	زرزور بن سعيد
١٣٠	الزرقاء
—	زرنب
—	أبوزكاروالأعمي
١٣٢	زيد بن كعب
	[س]
١٣٢	سائب خاثر أبو جعفر

ص	الاسم
١٣٤	ابن سريج
١٤٦	سعاد
١٤٧	سعدة ، جارية ابن رامين
١٤٨	سعيد بن جابر
١٤٩	أبو سعيد مولى فائد
١٥٣	سلامة الزرقاء
١٥٧	سلامة القس
١٦١	سلسل ، مولى بنى هاشم
—	سلسل ، مولاة محمد بن حرب
١٦٢	سلمك
١٦٢	ابن سلمة الزهرى
١٦٣	سلمى
١٦٣	سليم ، أخو ، بابويه
١٦٤	سليم بن سلام
١٦٦	سليمان ، أخو أحيحة
١٦٦	سليمان ، غلام محمد بن راشد
١٦٧	سليمان المصاب
١٦٧	سليمان بن سليم
١٦٨	سمحة ، جارية اسحاق الموصلى
١٦٨	سمير الأبلى
١٦٩	سنان الكاتب
١٦٩	سندس
١٧٠	سندة الخياط
١٧١	سياط أبو وهب
١٧٣	سيرين
	[ش]
١٧٣	شاجن
١٧٤	شاح

ص	الاسم
١٧٤	شارية
١٧٧	شاطرة
١٧٨	شجا
١٧٨	شغف ، غلام دعبل
١٧٩	شنين
١٧٩	شهدة ، أم عاتكة
	[ص]
١٨١	صقراء العلقمبين
	[ض]
١٨٢	الضبط — ضعف
١٧٣	ضعف ، جارية موسي بن خاقان
	[ط]
١٨٤	طباع ، جارية الواثق
١٨٤	طباع ، جارية محمد بن سهل
١٨٥	ابن طنبورة
١٨٥	طنبي
١٧٦	طويس
	[ظ]
١٩٠	ظبية
	[ع]
١٩٠	عاتكة ، جارية يونس الكاتب
١٩١	عاتكة بنت شهدة
١٩١	ابن عائشة
١٩٣	ابن أبي عباد
—	عبادة المخنث — مقام
١٩٤	العباس بن مقام
—	عبد الله ، غلام علان
١٩٥	عبد الله بن اسماعيل المراكبين
١٩٥	عبد الله بن دحمان
١٩٦	عبد الله بن طاهر
١٩٧	عبد الله بن العباس
٢٠١	عبد الله بن موسى
٢٠٢	عبد الله بن يونس
٢٠٣	عبد الرحيم الدقان

ص	الاسم
٢٠٤	عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
٢٠٥	عبيدة بن أشعب
—	عبيدة الطنبورية
٢٠٦	عثعث
٢٠٧	عريب المغنية
٢٠٨	عزة الميلاء
٢١٠	عطرد أبو هارون
٢١٢	علوية أبو الحسن
٢١٤	علية بنت المهدى
٢١٥	عمر الوادى
٢١٦	عمرو بن بانة
٢١٨	عمرو بن عثمان
	[غ]
٢١٩	الغريض
	[ف]
٢٢١	فليح بن أبي العوراء
	[ق]
٢٢٢	ابن القصار — قلم الصالحية
	[م]
٢٢٤	مالك بن أبى السمح
٢٢٥	محمد بن الأشعث
٢٢٦	محمد بن حمزة
٢٢٦	محمد ازن
٢٢٧	محمد بن عباد
٢٢٨	مخارق
٢٢٩	ابن مسجح
٢٢٩	المسدود
٢٣٠	ابن مشعب
٢٣٠	معبد اليقظين
٢٣١	يونس الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

الأبجر

عبيد الله بن القاسم أبو طالب

الأبجر ، لقب غلب عليه ، واسمه عبيد الله — وقيل محمد — بن القاسم . ويكنى أبا طالب . ويلقب بالحسحاس ، مولى لكنانة ، ثم لبنى بكر ، ويقال إنه مولى لبنى ليث .

وكان مدنيّا ، منشؤه بمكة ، أو مكيّا منشؤه بالمدينة .

ولم يكن بمكة أحد أظرف ولا أسرى ولا أحسن هيئة من الأبجر . كانت حلته بمائة دينار ، وفرسه بمائة دينار ، ومركبه بمائة دينار . وكان يقف بين المأزمين [1] فيرفع صوته ، فيقف الناس له يركب بعضهم بعضا .

جلس الأبجر ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من التنعيم [2] ، فإذا عسكر جرّار قد أقبل فى آخر الليل ، وفيه دواب تُجنب [3] ، وفيها فرس أدهم عليه سرج حليتُه ذهب ، فاندفع فغنى :

---

(١) المأزمان : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة ، وهو شعب بين جبلين يفضى آخره إلى بطن عرفة . (انظر معجم البلدان) .

(٢) التنعيم : على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة ، أقرب أطراف الحل الى البيت ، سمى بذلك لأن على يمينه جبل نعيم وعلى يساره جبل ناعم .

(٣) تجنب ، أى تقاد إلى جنب ولا تركب لكرمها .

عرفتُ ديارَ الحيِّ خاليةً قَفْرا كأنّ بها لما توهّمتُها سَطْرَا

فلما سمعه من فى القباب والمحامل أمسكوا، وصاح صائح : ويحك ! أعد الصوت. فقال : لا والله ، إلا بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار . فإذا الوليد ابن يزيد صاحب الإبل . فنودى : أين منزلك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الأبجر، ومنزلى على باب زقاق الخرّازين . فغدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتخت من ثياب وشى وغيره .

ثم أُتى به الوليد، فأقام عنده ، وراح مع أصحابه عشية التروية[1] ، وهو أحسنهم هيئة . وخرج معه إلى الشام .

قال عمر بن حفص بن أبى كلاب : كان الأبجر مولانا ، وكان مكيّا ، وكان إذا قدم المدينة نزل علينا . فقال لنا يوما : أسمعونا غناء ابن عائشتكم هذا . فأرسلنا فيه، فجمعنا بينهما فى بيت ابن هبّار . فتغنى ابنُ عائشة . فقال الأبجر : كل مملوك لى حرّ إن تغنيتُ معك إلا بنصف صوتى . ثم أدخل إصبعه فى شدقه فتغنّى . فسمع صوتَه مَن فى السوق، فحشر الناس علينا . فلم يفترقا حتى تشاتما . وكان ابن عائشة حديداً جاهلا .

قال أشعب : دُعى ذات يوم المغنون للوليد بن يزيد ، وكنت نازلا معهم ، فقلت للرسول : خذنى فيهم . قال : لم أومر بذلك، وإنما أُمرت بإحضار المغنين ، وأنت بطّال لا تدخل فى جملتهم . فقلت : أنا والله أحسن غناء منهم ، ثم اندفعت فغنيته . فقال : لقد سمعتُ حسنا ، ولكنى أخاف . فقلت : لا خوف عليك ،

---

(١) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذى الحجة ، سمى به لأن الحجاج يتروون فيه من الماء وينهضون إلى منى ولا ماء بها فيتزودون ربهم من الماء .

ولك مع هذا شرط . قال : ما هو ؟ قلت : كل ما أصبتهُ فلك شطره . فقال للجماعة: اشهدوا عليه . فشهدوا .

ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لَقِس النفس[١] . فغناه المغنون فى كل فن من خفيف وثقيل ، فلم يتحرك ولا نشط . فقام الأبجر إلى الخلاء ، وكان خبيثاً داهيا، فسأل الخادم عن خبره و بأى سبب هو خاثر . فقال : بينه و بين امرأته شر ، لأنه عشق أختها فغضبت عليه ، فهو إلى أختها أميل ، وقد عزم على طلاقها ، وحلف لها ألا يذكرها أبداً بمراسلة ولا مخاطبة ، وخرج من عندها على هذه الحال.

فعاد الأبجر إلينا وجلس حتى اندفع فغنى :

فَبِينى فإنى لا أُبالى وأيقِنى أصعَّد باقى حُبكم أم تَصوّبا[٢]

ألم تَعلمى أنّى عَزوفٌ عن الهوى إذا صاحبي من غير شىء تَغضَّبا

فطرب الوليد وارتاح ، وقال : أصبت يا عبيدُ والله ما فى نفسى . وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وشرب حتى سكر . ولم يحظ بشىء أحد سوى الأبجر .

وكان عبد الحكم بن عمرو بن عبدالله بن صفوان الجُمحىّ قد اتخذ بيتاً جعل فيه شطرنجات ونردوات و قِرقات[٣] ودفاتر فيها من كل علم . وجعل فى الجدار أوتادا، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفتراً فقرأه ، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم . فإن عبد الحكم يوما فى المسجد الحرام إذا فتى عليه ثوبان معصفران مدلوكان ، وعلى أذنه ضِغث[٤] ريحان ، فأقبل يشق الناس حتى

---

(١) لقست نفسه : غثت وخبثت .

(٢) التصوب : الانحدار .

(٣) الواحد : قرقة ، بالكسر ، وهى لعب السدر ، يخطون أربعا وعشرين خطا فيصفون فيها حصيات .

(٤) الضغث ، بالكسر : قبضة ، بالضم .

جلس إلى عبد الحكم . فتحدث إليه ساعة، ثم أهوى فشبك يده فى يد عبد الحكم وقاما حتى خرجا من باب الحناطين . قال عبد الحكم : فقلت فى نفسى : ماذا سلّط الله على منك ؟ رآنى معك نصف الناس فى المسجد ونصفهم فى الحناطين . حتى دخل مع عبد الحكم بيتَه . فعلّق رداءه وحل إزاره واجتر الشطرنج . فبينا هو كذلك إذ دخل الأبجر فقال له : أى زنديق ! ما جاء بك إلى هاهنا ؟ وجعل يشتمه ويمازحه . فقال له عبد الحكم : أتشتم رجلا فى منزلى ؟ فقال : أتعرفه ؟ هذا الأحوص . فاعتنقه عبد الحكم وحياه ، وقال : أما إذ كنت الأحوص فقد هان علىّ ما فعلت .

ويقال: إن ابتداء غناء إسحاق الذى فى:

* تشكّى الكميتُ الجرىَ لمّا جهدتُه *

إنما أخذه من صوت الأبجر .

ومرّ الابجر بعَطَاء وهو سكران ، فعذله ، وقال : شهرت نفسك بالغناء واطرحتها وأنت ذو مروءة . فقال : امرأته طالق ثلاثا إن برحتَ أو أغنيك صوتا ، فإن قلت لى : هو قبيح تركته . فقال : هات ويحك ! فقد أضررت بى . فغناه :

فى الحج إن حجت وماذا منىً وأهلُه إنْ هى لم تحجج

فقال له عطاء : الخير والله كله هناك ، حجّت أو لم تحج ، فاذهب الآن راشداً ، فقد برت يمينك .

ولما قُتل الوليد خرج الأبجر إلى مصر فمات بها .

إبراهيم بن المهدى

أبو إسحاق

كان إبراهيم بن المهدى أول أولاد الخلفاء وأتقنهم صنعة وأشهرهم ذكراً فى الغناء ، فإنه كان يتحفَّى بهم تحفِّيًا شديداً ، ويبتذل نفسه ولا يستتر منه ولا يُحاشى أحداً . وكان فى أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء ستر وعلى حال تَصوّن عنه وترفع ، إلا أن يدعوه إليه الرشيد فى خلوة والأمين بعده . فلما أمّنه المأمون تهتك بالغناء وشرب النبيذ بحضرته والخروج من عنده ثملا .

وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات ، وأطبعهم فى الغناء وأحسنهم صوتاً . وهو من المعدودين فى طيب الصوت خاصة ؛ فإن المعدودين منهم فى الدولة العباسية : ابن جامع ، وعمرو بن أبى الكنات ، وإبراهيم بن المهدى ، ومخارق . وهؤلاء من الطبقه الأولى ، وإن كان بعضهم يتقدم .

وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مقصراً عن أداء الغناء القديم وعن أن ينحوه فى صنعته . فكان يحذف نغم الأغانى الكثيرة العمل حذفا شديداً ، ويحققها على قدر ما أصلح له ويفى بأدائه . فإذا عيب ذلك عليه قال : أنا ملك وابن ملك أغنى كما اشتهى وعلى ما ألتذ .

فهو أول من أفسد الغناء القديم وجعل للناس طريقاً إلى الجسارة على تغييره .

وكان إسحاق الموصلى يقول : ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله ابن العباس رجلا أفضل من إبراهيم بن المهدى . فقيل له : مع ماتبذله من الغناء؟ فقال : وهل تم فضله إلا بذاك .

يوسف بن إبراهيم قال : حضرت أبا إسحاق إبراهيم بن المهدى وعنده إسحاق الموصلى، فقال إسحاق : غنى ابن سريج ثمانية وستين صوتاً . فقال له أبو إسحاق: ما تجاوز قط ثلاثة وستين صوتاً . فقال : بلى . ثم جعلا ينشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثة وستين صوتاً وهما متفقان على ذلك ، ثم أنشد إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصوات أيضا . فقال له أبو إسحاق : صدقت هذا من غنائه ، ولكن لحن هذا الصوت نقله من لحنه فى الشعر الفلانى . ولحنه الثانى من لحنه الفلانى ، حتى عدّ له الخمسة الأصوات . فقال له إسحاق : صدقت . ثم قال له إبراهيم : إن ابن سريج كان رجلا عاقلا أديباً ، وكان يغنى الناس بما يشتهون ، فلا يغنيهم صوتاً مدح به أعداؤهم ، ولا صوتاً عليهم فيه عار أو غضاضة ، ولكنه يعدل بتلك الألحان إلى أشعار فى أوزانها . فالصوتان واحد لا ينبغى أن نعدهما اثنين عند التحصيل منا لغنائه . فصدقه إسحاق .

ذكر يوسف بن إبراهيم أنه حضر إسحاق بن إبراهيم الموصلى ليلة وهو يذكر إبراهيم بن المهدى إلى أن قال إسحاق فى بعض مخاطبته إياه : هذا صوت قد تمعبد فيه ابن سريج . فقال له ابراهيم : ماظننت أنك ياأبا محمد مع علمك وتقدمك تقول مثل هذا فى ابن سريج ، فكيف يجوز أن تقول : تمعبد ابن سريج ؟ وإنما معبد إذا أحسن قال : أصبحت سريجيّا . قد أغنى الله ابن سريج عن هذا ، ورفع قدره عن مثله ، وأعيذك بالله أن تستشعر مثله فى ابن سريج .

قال : فما رأيت إسحاق دفع ذلك ولا أباه ولا زاد على أن قال : هى كلمة يقولها الناس لم أقلها اعتقاداً لها فيه ، وإنما تكلمت بها على العادة .

قال أبو إسحاق إبراهيم بن المهدى : كنت مع الرشيد فى السنة التى نزل فيها

على عون العبادى ، فأتانى عون بابن ابن حنين وهو شيخ ، فغنانى عدة أصوات لجده ، فما استحسنتها ، لأن الشيخ كان مشوه الخلق ظنّ الغناء قليل الحلاوة ، إلا أنه كان لا يفارق عمود الصوت أبداً حتى يفرغ منه ، فغنانى صوت ابن سريج :

فتركته جزَرَ السِّباع يَنُشْنه ما بين قُلة رأسه للمِعْصَمِ

فما أذكر أنى سمعته من أحد قط أحسن مما سمعته منه ، فقلت له : لقد أحسنت فى هذا الصوت ، وما هو من أغانى جدك ولا من أغانى بلدك ، وإنى لأعجب من ذلك ! فقال لى الشيخ : ما صُنع هذا الصوت إلا فى منزلنا وفى سرداب لجدى .

قال إبراهيم بن المهدى : كنت بمكة فى المسجد الحرام ، فاذا شيخ قد طلع وقد قلب إحدى نعليه على الأخرى وقام يصلى . فسألت عنه ، فقيل لى : هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلت لبعض الغلمان : احصبْه . فَحَصبه . فأقبل عليه وقال : مايظن أحدكم إذا دخل المسجد إلا أنه له . فقلت للغلام : قل له : يقول لك مولاكَ بالغنى . فقال ذلك له . فقال له أبو سعيد : من مولاك حفظه الله ؟ قال : مولاى إبراهيم بن المهدى ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد . وقام فجلس بين يدى وقال : لاوالله ما عرفتك . فقلت : لاعليك أخبرنى عن هذا الصوت :

أفاض المدامعَ قتلَى كُدى وقتلَى بكُثْوة لم تُرْمَسِ (١)

قال : هو لى ، ورب هذه البنية ، لاتبرح حتى تغنيه . قال : ورب هذه البنية لاتبرح حتى نسمعه . ثم قلب إحدى نعليه وأخذ بعقب الأخرى وجعل يقرع بحرفها على الاخرى ويغنيه حتى غلبه ، فأخذته منه .

---

(١) كدى ، بالضم : موضع فى أسفل مكة . وكثوة ، بالضم : موضع .

قال إبراهيم بن المهدى: انصرفت ليلة من الشماسية[1] فمررت بدار إبراهيم الموصلى، وإذا هو فى روشن[2] له وقد صنع لحنه:

ألاَ رُب نَدمان علىّ دموعُه تَفيض على الخدّين سحًّا سُجومها

وهو يعيده ويلعب به، ينغمه ويكرره لتستوى له أجزاؤه، وجواريه يضربن عليه. فوقفت تحت الروشن حتى أخذته. ثم انصرفت إلى منزلى، فما زلت أعيده حتى بلغت فيه الغاية. وأصبحت فغدوت إلى الشماسية واجتمعنا عند الرشيد، فاندفع إبراهيم فغناه أول شىء غنى. فلما سمعه الرشيد طرب واستحسنه وشرب عليه. ثم قال له: لمن هذا يا إبراهيم؟ قال: لى ياسيدى. صنعته البارحة. فقلت كذب يا أمير المومنين، هذا الصوت قديم وأنا أغنيه. فقال لى: غنِّه. فغنيته كما غناه. فبهت إبراهيم وغضب الرشيد. فظل إبراهيم بأسوأ حال. فلما صليت العصر قلت للرشيد: الصوت وحياتك له وما كذب. فدعا به الرشيد ورضى عنه.

غنى مخارق بين يدى الرشيد صوتا فأخطأ فى قسمته. فقال له إسحاق: أعده، فأعاده. وكان الخطأ خفيًّا. وقال للرشيد: ياسيدى، قد أخطأ فيه. فقال لإبراهيم ابن المهدى: ماتقول فيما ذكره إسحاق. فقال إسحاق: أترضى بأبى؟ قال: إى والله. وكان إبراهيم الموصلى فى بقايا علة. فأمر الرشيد بإحضاره ولو محمولاً. فجىء به فى محفّة. فقال لمخارق: أعد الصوت، فأعاده. فقال: ما عندك يا إبراهيم فى هذا الصوت؟ فقال: قد أخطأ فيه. فقال: هكذا قال ابنك إسحاق وذكر أخى إبراهيم أنه صحيح.

---

(١) الشماسية: مجاورة لدار الروم التى فى أعلى مدينة بغداد.
(٢) الروشن: الكوة.

قال الرشيد لإبراهيم بن المهدى وابراهيم الموصلى وابن جامع وابن أبى الكَنّات: باكرونى غداً وليكن كل واحد قد قال شعراً. إن كان يقدر أن يقوله، وغنى فيه لحنا، وإن لم يكن شاعراً غنى فى شعر غيره. قال إبراهيم بن المهدى: فقمت فى السحر وجهدت أن أقدر على شىء أصنعه، فلم يتفق لى. فلما خفت طلوع الفجر دعوت بغلمانى وقلت لهم: إنى أريد أن أمضى إلى موضع ولا يشعر بى أحد حتى أصير إليه. فقمت فركبت وقصدت إلى إبراهيم الموصلى، وكان قد حدثنى أنه إذا أراد الصنعة لم ينم حتى يدبر ما يحتاج إليه، وإذا قام لحاجة فى الحُش اعتمد على خشبة له فى المُستراح، فلم يزل يقرع عليها حتى يفرغ من الصوت ويرسخ فى قلبه. فجئت حتى وقفت تحت مستراحه، فاذا هو يردد هذا الصوت:

إذا سُكبت فى الكأس قبل مِزاجها ترى لونها فى جلدة الكأس مُذهبا

قال: فما زلت واقفاً أستمع منه الصوت حتى أخذته. ثم غدونا إلى الرشيد. فلما جلسنا لنشرب خرج الخادم إلىّ فقال: يقول لك أمير المؤمنين: يابن أم، غنّنى. فاندفعت فغنيته هذا الصوت، والموصلى فى الموت، حتى فرغت منه. فأمر لى بثلاثمائة ألف درهم. فوثب إبراهيم الموصلى فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أن الشعر له قاله البارحة وغنى فيه، ما سبقه إليه أحد. فقال إبراهيم: ياسيدى، فمن أين هو لى، وإبراهيم يضطرب ويضج. فلما قضيت أربا من العبث به قلت للرشيد: الحق أحق أن يتبع، وصدّقته. فقال للموصلى: أما أخى فقد أخذ المال ولا سبيل إلى رده، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم.

قال إسحاق: كنت عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهدى. فغنى إبراهيم صوتا لابن جامع أخلّ ببعضه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ترك ابن جامع الناس

يحجلون خلفه ولا يلحقونه ، وفى هذا الصوت خاصة . فقلت : والله يا أمير المؤمنين ما صدق وما هذا الصوت بتام الأجزاء . فقال : كذب والله يا أمير المؤمنين . فقال : يا سيدى ، أنا أوقفه على نقصانه ، فمرَه فَلْيعد . فأعاد البيت الأول فأقامه ، وطمع فى الإصابة . فقلت : آفته فى البيت الثانى فليردّده ، فرده فنقص من أجزائه وقِسْمته . فعرّفته ، فأقرّ به .

قال إسحاق الموصلى : كنت عند الرشيد ، وعنده ندماؤه وخاصته وفيهم إبراهيم بن المهدى ، فقال لى الرشيد : يا إسحاق ، تغنَّ :

شربت مدامة وسُقيت أخرى وراح المنتشون وما انتشيتُ

فغنيته . فأقبل علىّ إبراهيم بن المهدى فقال لى : ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت . فقلت : ليس هذا مما تحسنه ولا تعرفه ، وإن شئت فغنّه ، فإن لم أجدك أنك تخطىء فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدمى حلال .

وفصد إبراهيم يوما فكتب إليه إسحاق يتعرف خبره ويدعو له بالسلامة وحسن العقبى ، وكتب إليه : إنى سأهدى إليك هدية للفصد حسنة . فوجه اليه بُديحاً غلامه بلحنه فى :

* هزئت أسماء منى وقالت *

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبلنا الهدية ، فإن كان أذن لك فى طرحه على الجوارى فافعل .

وكان إبراهيم بن المهدى منازع إسحاق فى هذه الصناعة ولم يبلغه فيها .

وكتب إبراهيم بن المهدى إلى اسحاق فى شىء خالفه فيه من التجزئة والقسمة : إلى من أحاكمك والناس بيننا حمير ؟

قال محمد بن المكى لزوزور الكبير : كيف كان إسحاق يَنْفُق على الخلفاء معكم وأنت و إبراهيم بن المهدى ومخارق أطيب أصواتاً وأحسن نغمة ؟ قال : كنا والله يابنى نحضر معه فنجتهد فى الغناء ونقيم الوهج فيه، و يقبل علينا الخلفاء حتى نطمع ونظن أنا قد غلبناه، فإذا غنى عمل فى غنائه أشياء من مداراته وحذقه ولطفه حتى يسقطنا كلنا، و يقبل عليه الخليفه دوننا و يجيزه دوننا، و يصغى اليه ونرى أنفسنا اضطرارا دونه .

وكان إبراهيم بن المهدى و إسحاق الموصلى إذا خلوا فهما أخوان، و إذا التقيا عند خليفة تكاشحا أقبح تكاشح .

ولابن المهدى فى شعر لإسحاق مدح به الرشيد صوت كان الناس يتهادونه كما يتهادون الطرفة والبا كورة ، والشعر هو :

لأسماء رسمٌ عفَا باللِّوى أقام رهيناً لطول البِلَى
تعاوره الدهرُ فى صَرّفه بَكِرِّ الجديدَيْن حتى عفَا

قال أحمد بن المكىّ : غنيتُ إبراهيم بن المهدىّ لسياط :

ضاف قلبى الهوى فأكثر سهوى

فاستحسنه جدا .

سأل إبراهيم بن المهدى جماعةمن إخوانه أن يصطبحوا عنده . قال حمدون : و كنت فيهم . وكان فيمن دعا مخارق . فسار إليه وهو سكران لا فضل فيه لطعام ولا شراب . فاغتم لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع . فقال : لا والله أيها الأمير ما كان آفتى إلا سليم بن سلام ، فإنه مر بى فدخل علىّ فغنانى صوتا له صنعه قريباً، فشربت عليه إلى السحر حتى لم يبق فىّ فضل .فقال له إبراهيم : فغنناه إملالا . فغناه :

إذا كنتَ نَدْمانى فبا كِرْ مُدامةً معتَّقة زُفت إلى غير خاطبِ

إذا عُتِّقت فى دَنِّها العامَ أقبلت تردَّى رداء الحُسن فى عين شارب

زار حكم الوادى الرشيد فبرَّه و وصله بثلاثمائة ألف درهم، وسأله عمن يختار أن يكتب له بها إليه . فقال : اكتب لى بها إلى ابراهيم بن المهدى، وكان عاملا له بالشأم . قال إبراهيم : فقدم علىّ حكم بكتاب الرشيد، فدفعت إليه ما كتب به و وصلته بمثل ما وصله، إلا أنى نقصته ألفاً من الثلاثمائة وقلت له : لا أصلك بمثل صلة أمير المؤمنين . فأقام عندى ثلاثين يوما أخذت منه فيها ثلاثمائة صوت، كل صوت منها أحب إلى من الثلاثمائة الألف التى وهبتها له .

كانت مثيم ذات يوم جالسة بين يدى المعتصم ببغداد، و إبراهيم بن المهدى حاضر . فغنت :

لزينبَ طيفٌ تَعنزينى طوارقُه هُدوًّا إذا ما النجمُ لاحتْ لواحقُهْ

فأشار إليها إبراهيم أن تُعيده . فقالت مثيم للمعتصم : ياسيدى، إبراهيم يستعيدنى الصوت وكأنه يريد أن يأخذه . فقال لها : لا تعيديه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضرا مجلس المعتصم ومثيم غائبة، فانصرف إبراهيم بعد حين إلى منزله، ومثيم فى منزلها بالميدان وطريقه عليها، وهى فى منظرة لها مشرفة على الطريق، وهى تغنى هذا الصوت وتطرحه على جوارى علىّ بن هشام، فتقدّم إلى المنظرة وهو على دابته، فتطاول حتى أخذ الصوت، ثم ضرب باب المنظرة بمقرعته وقال : قد أخذناه بلا حمدك .

قال إبراهيم : دخلت يوما إلى الرشيد وفى رأسى فضلة خُمار، و بين يديه ابن

جامع و إبراهيم الموصلى . فقال : بحياتى يا إبراهيم غنّنى . فأخذت العود ولم ألتفت إليهما ، لما فى رأسى من الفضلة ، فغنيت :

أسْرَى بخالدةَ الخيالُ ولا أرى شيئاً ألذَّ من الخيال الطارِق

فسمعت إبراهيم يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلب لما أكلنا خبزاً أبداً . فقال ابن جامع : صدقت . فلما فرغت من غنائى وضعت العود ثم قلت : خذا فى حقكما ودعا باطلنا .

قال احمد بن الحارث بن بُسْخَنَّر : لما قدم المأمون من خراسان لم يظهر لمغن غيرى بمدينة السلام ، فكنت أنادمه سرًّا ، ولم يظهر للندماء أربع سنين حتى ظفر بإبراهيم بن المهدى . فلما ظفر به وعفا عنه ظهر للندماء . ثم جمعنا ووجه إلى إبراهيم . فحضر فى ثياب مبتذلة . فلما رآه المأمون قال : ألقى عمى رداء الكبر عن منكبيه . ثم أمر له بخلع فاخرة . وقال : يافتح ، غدٍّ عمّى . فتغدّى إبراهيم بحيث يراه المأمون . ثم تحول إلينا ، وكان مخارق حاضراً . فغنّى مخارق :

هذا وُرب مُسوِّقين صبحتُهم من خمر بابلَ لذةً للشارب

فقال له إبراهيم : أسأت فأعده . فأعاده . فقال : قاربت ولم تُصب . فقال له المأمون : إن كان أساء فأحسن أنت . فغناه إبراهيم . ثم قال لمخارق : أعده . فأعاده . فقال : أحسنت . فقال للمأمون : كم بين الأمرين ؟ فقال : كثير .

قالت أسماء بنت المهدى : قلت لأخى إبراهيم : يا أخى ، أشتهى والله أن أسمع من غنائك شيئاً . فقال : إذن والله يا أختى لا تسمعين مثله . علىّ وعلىّ ،

وغلّظ فى اليمين ، إن لم يكن إبليس ظهر لى وعلّمنى النقر والنغم وصافحنى وقال لى : اذهب فأنت منى وأنا منك .

كتب إسحاق إلى إبراهيم بن المهدى بجنس صوت صنعه و إصبعه ومجراه وأجزاء لحنه . فعناه إبراهيم من غير أن يسمعه، فأدّى ماصنعه . والصوت :

حبذا أمُّ يَعمرا قبل شحطٍ من النوى
قلت لا تعجلوا الروا ح فقالوا ألا بلى
أجمع الحىُّ رحلةً ففؤادى كذى الأسى

إبراهيم الموصلى

هو إبراهيم بن ميمون — أو ابن ماهان — بن بهمن بن نسك . قال : وأصلنا من فارس ، ولنا بيت شرف فى العجم . وكان جدنا ميمون هرب من جور عمال بعض بنى أمية فنزل بالكوفة فى بنى عبد الله بن دارم . فكان بين إبراهيم و بين ولد نضلة بن نعيم رضاع . وأم إبراهيم امرأة من بنات الدهاقين الذين هربوا من فارس لما هرب ميمون .

وكان مولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة . وتوفى ببغداد سنة ثمان وثمانين ومائة ، وله ثلاث وستون سنة .

وكان سبب قولهم إبراهيم الموصلى أنه لما نشأ وأدرك صحب الفتيان واشتهى الغناء فطلبه ، واشتد أخواله عليه فى ذلك وبلغوا منه . فهرب منهم إلى الموصل فأقام بها نحوا من سنة . فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان : مرحبا بالفتى الموصلى . فلقِّب به .

وكان سبب طلبه الغناء أنه لما خرج إلى الموصل صحب جماعة من الصعاليك كانوا يصيبون الطريق و يصيبه معهم ، و يجمعون ما يفيدونه فيقصفون و يشربون و يغنون ، فتعلم منهم شيئاً من الغناء وشدا فكان أطيبهم وأحذقهم . فلما أحس بذلك من نفسه اشتهى الغناء وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه .

وهناك بالموصل تزوج شاهك أم إسحاق ابنه وسائر ولده .

قال : أول شىء أعطيته بالغناء أنى كنت بالرى أنادم أهلها بالسوية ، لا أرزؤهم شيئاً ولا أنفق إلا من بقية مال كان معى انصرفت به من الموصل . فمر

بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عماله برسالة، فسمعنى عند رجل من أهل الرى فشغف بى وخلع علىّ ، ومضى بالرسالة و رجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكساه كسوة كثيرة . فجاءنى إلى منزلى الذى كنت أسكنه، ووهب لى نصف الكسوة التى معه وألفى درهم .

ووصف لى رجل بالأبلة فخرجت إليه وصحبت فتيانها ، فأخذت عنهم وغنيتهم فشغفوا بى .

قال : وأول هاشمىّ صحبته عيسى بن سليمان بن علىّ ، أخو جعفر ومحمد ، وكان فتاهم ظرفاً ولهوا وسماحة . وأول خليفة سمعنى المهدى ، وصفت له فأخذنى من عيسى بن سليمان وماسمع قبلى من المغنين أحداً سوى فليح بن أبى العوراء وسياط

ونُظر إلى ما صار إليه من الأموال والغلات وثمن ما باع من جواريه فوجد أربعة وعشرين ألف ألف درهم ، سوى أرزاقه الجارية ، وهى عشرة آلاف درهم فى كل شهر ، وسوى غلات ضياعه وسوى الصلات النزرة التى لم يحفظها .

ومارئى أكمل مروءة منه، كان له طعام معد فى أكل وقت . فكان له فى كل يوم ثلاث شياه ، واحدة مقطعة فى القدور ، وأخرى مسلوخة ومعلقة ، وأخرى حية . فإذا أتاه قوم طعموا ما فى القدور، وذبحت الحية فعلقت، وأتى بأخرى فجعلت وهى حية فى المطبخ .

وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يتخذ له فى كل شهر ثلاثين ألف درهم ، سوى ما كان يجرى وسوى كسوته .

ولم يكن الناس يعلمون الجارية الحسناء الغناء و إنما كانوا يعلمونه الصُّفر والسود، وأول من علم الجوارى المثمنات أبى . فإنه بلغ بالقيان كل مبلغ، و رفع من أقدارهن .

وقال : دخلت الرى فكنت آلف فتيانا من أهل النعم بها، وهم لا يعرفوننى

فطال ذلك علىّ . إلى أن دعانى أحدهم ليلة إلى منزله فبت عنده . فأخرج جارية له ومد لها ستارة فتغنت خلفها. فرأيتها صالحة الأداء كثيرة الرواية . فشوقتنى إلى العراق وذكرتنى أيامى بها ، فدعوت بعود . فلما جىء به اندفعتُ فغنيت صوتى فى شعرى :

أنا بالرىّ مقيم فى قرى الرىّ أهيمُ

وقد كنت صنعت هذا اللحن قديماً بالرى . فخرجت الجارية من وراء الستارة مبادرة إلىّ ، فأكبّت على رأس وقالت : أستاذى والله . فقال لها مولاها : أى أستاذيك هذا ؟ قالت : إبراهيم الموصلى . فإذا هى إحدى الجوارى اللاتى أخذن عنى وطال العهد بها . فأكرمنى مولاها وبرّنى وخلع علىّ . فأقمت مدة بعد ذلك بالرى وانتشر خبرى بها . وكتب بحملى إلى والى البلدة فأشخصت .

وصنع تسعمائة صوت ، منها دينارية ومنها درهمية ومنها فلسية . فأما ثلاثمائة منها فإنه تقدم الناس جميعاً فيها . وأما ثلاثمائة فشاركوه وشاركهم فيها . وأما الثلاثمائة الباقية فلعب وطرب .

وقال : أول من تعلمت منه الغناء مجنون كان إذا صيح به: يا مضر . يهيج ويرجم . فبلغنى أنه يغنى أصواتا فيجيدها أخذها عن قدماء أهل الحجاز. فكنت أدخله إلىّ فأطعمه وأسقيه وأخدعه حتى آخذ عنه ، وكاد حاذقا . فأول صوت أخذته عنه :

أرْسلى بالسلام يا سَلْم إنى منذ علّقتكم غنىٌّ فقيرُ
فالغِنى إنْ ملكتُ أمرَكِ والفقـ ـر بأنّى أزور مَن لا يزور

ثم مكثت زمانا آخذ عنه . وكان إذا عاد إليه عقله من أحذق الناس وأقومهم على ما يؤديه .

وسأله الرشيد : كيف يصنع إذا أراد أن يصوغ الألحان . فقال : يا أمير المؤمنين ، أخرج الهم من فكرى، وأمثّل الطرب بين عينى ، فتسرع إلى مسالك الألحان ، فأسلكها بدليل الإيقاع ، فأرجع مصيباً ظافراً بما أريد . فقال : يحق لك يا إبراهيم أن تصيب وتظفر . وإنّ حُسنّ وصفك لمشاكل حسن صنعتك وغنائك .

وقال إبراهيم : أدركت يونس الكاتب ، وهو شيخ كبير ، فعرضت عليه غنائى . فقال : إن عشتَ كنت مغنى دهرك .

زار ابن جامع إبراهيم . فأخرج إليه ثلاثين جارية . فضرب جميعاً فى طريقة واحدة وغنين . فقال ابن جامع: فى الأوتار وتر غير مستوٍ . فقال إبراهيم : يافلانه شُدِّى مثناك . فشدّته فاستوى .

ولما دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة اشتد أمر القولنج على إبراهيم ولزمه، وكان يعتاده . فقعد عن خدمة الخليفة وعن نوبته فى داره وقال فى ذلك :

مَلّ والله طبيبى عن مُقاساة الذى بى
سوف أُنعَى عن قريب لعدوٍّ وحبيب

وغنى فيه لحناً . فكان آخر شعر وآخر لحن صنعه .

ومات إبراهيم الموصلى سنة ثمان وثمانين ومائة . ومات فى ذلك اليوم الكسائى النحوى، والعباس بن الأحنف الشاعر، وهشيمة المحارة . فرفع ذلك إلى الرشيد ، فأمر المأمون أن يصلى عليهم . فخرج ، فصفوا بين يديه ، فقال : من هذا الأول ؟ قيل : إبراهيم . فقال : أخروه وقدموا العباس بن الأحنف ، فقدم، فصلّى عليهم.

فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعى فقال : ياسيدى ، كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر ؟ قال : لقوله :

وسعى بها ناسٌ فقالوا إنها لهى التى تَشقى بها وتكابد

فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم إنى ليعجبنى المحب الجاحد

ثم قال : أليس من قال هذا الشعر حقيقا بالتقدمة ؟

وقال إسحاق : دخلت إلى الرشيد بعقب وفاة أبى ، وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلما جلست ورأيت موضعه الذى كان يجلس فيه خاليا دمعت عينى ، فكففتها وتصبرت . ولمحنى الرشيد ودعانى إليه وأدنانى منه . فقبلت يده ورجله والأرض بين يديه . فاستعبر ، وكان رفيقاً ، وقال لى : لن تفقد من أبيك مادمتُ حيّا إلا شخصه . وأمر بإضافة رزقه إلى رزقى .

المالكى

أحمد بن سعيد بن قادم

أحد القواد مع طاهر بن الحسين بن عبد الله بن طاهر . فكان معه بالرى . وكان مع محله من خدمة السلطان مغنيًا حَسَن الغناء منقطعاً إلى طاهر وولده ، وله صنعة .

حضر مجلس طاهر بن عبد الله وهو متنزه بظاهر الرى بموضع يعرف بشادمهر ، وقيل بل حَضره بالشاذباخ ، فغنّى هذا الصوت :

* اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقا *

فطرب طاهر ، واستعاده مرات وشرب عليه حتى سكر ، وأسنى لأحمد ابن سعيد الجائزة .

وقال أحمد : حضرت يحيي المكى يوما وقد غنى صوتا ، فسئل عنه فقال : هذا لمالك . ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت . ثم غنى لحناً لمالك ، فسئل عن صانعه ، فقال : هذا لى . قال أحمد بن سعيد : والاختلاف الواقع فى كتب الأغانى إلى الآن من بقايا تخليط يحيى .

قال أحمد بن سعيد : وكانت صنعة يحيي ثلاثة آلاف صوت ، منها زهاء ألف صوت لم يقارب فيها أحد ، والباقى متوسط .

الطنبورى

أحمد بن صدقة بن أبى صدقة

كان أبوه حجازيّا مغنيًّا ، قدم على الرشيد وغنى له . وكان أحمد طنبوريّا محسناً مقدما حاذقا حسن الغناء محكم الصنعة ، وله غناء كثير من الأرمال والأهزاج وما جرى مجراها من غناء الطنبوريين .

وكان ينزل الشام ، فوصف للمتوكل ، فأمر بإحضاره . فقدم عليه وغناه . فاستحسن غناءه وأجزل صلته .

واشتهاه الناس وكثر من يدعوه . فتكسب بذلك أكثر مما كسبه مع المتوكل أضعافا .

وقال أحمد : اجتزت بخالد بن يزيد الكاتب فقلت له : أنشدنى بيتين من شعرك حتى أغنى فيهما . قال : وأى حظ لى فى ذلك ، تأخذ أنت الجائزة وأحصل أنا الإثم . فحلفت له : إنى إن أفدت بشعرك فائدة جعلت لك فيها حظا وأذكرت بك الخليفة وسألت فيك . فقال : أما الحظ من جهتك فأنت أنزل من ذلك ، ولكن عسى أن تفلح فى مسألة الخليفة . ثم أنشدنى :

تقول سلا فمن المدنَفُ ومن عينه أبداً تذرفُ
ومن قلبه قلق خافق عليك وأحشاؤه ترجف

فلما جلس المأمون للشرب دعانى ، وقد كان غضب على حظيّة له . فحضرت مع المغنين . فلما طابت نفسه وجهتْ إليه بتفاحة عنبر عليها مكتوب بالذهب : يا سيدى ، سلوت . وما علم الله أنى عرفت شيئاً من الخبر . وانتهى الدور إلىّ فغنيت البيتين . فاحمر وجه المأمون وانقلبت عيناه وقال : يابن الفاعلة ، ألك علىّ وعلى حُرمى صاحب خبير . فوثبت وقلت : يا سيدى ، ما السبب ؟ فقال لى : من أين عرفت قصتى مع جاريتى فغنيتَ فى معنى ما بيننا . فحلفت له أنى لا أعرف شيئاً من ذلك وحدثته حديثى مع خالد . فلما انتهيتُ إلى قوله « أنت أنزل من ذلك » ضحك وقال : صدق ، وإن هذا الاتفاق ظريف . ثم أمر لى بخمسة آلاف درهم ولخالد بمثلها .

قال أحمد : دخلت على المأمون فى يوم السعانين وبين يديه عشرون

وصيفة روميات ، وقد تزين بالديباج الرومى ، وعلّقن فى أعناقهن صلبان الذهب ، وفى أيديهن الخوص والزيتون . فقال لى المأمون : ويلك يا أحمد ! قد قلتُ فى هؤلاء أبياتاً فغننى فيها . ثم أنشدنى :

ظبـاءٌ كالدّنانير ... مِلاحٌ فى المقاصيرِ
جلاهنّ السعـانين ... علينـا فى الزّنانير
وقد زرّفن أصداغا ... كأذناب الزرازير
وأقبلنَ بأوساط ... كأوساط الزنابير

فحفظتها وغنيته فيهـا . فلم يزل يشرب وترقص الوصائف بين يديه أنواع الرقص حتى سكر . فأمر لى بألف دينار وأمر أن ينثر على الجوارى ثلاثة آلاف دينار . فقبضتُ الألف ونثرت الثلاثة الآلاف عليهن فانتهبتُها معهن .

ولم يزل أحمد مقيما حتى بلغه موت بنيه بالشام ، فشخص نحو منزله ، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه .

وقال بعض الشعراء يهجو أحمد بن صدقة ، وكانت له صديقة قطعته . فعيّره بذلك ونسبها إلى أنها هربت منه لأنه أبخر :

هربتْ صـديقة أحمـد ... هربت من الرِّيق الردِى
هربت فإن عادت إلى ... طنبوره فاقطع يدى

ابن أبى العلاء

أحمد بن عبيد الله

أحد المحسنين المتقدمين . أخذ عن مخارق وعلويه وطبقتهما ، وعُمر إلى آخر أيام المعتضد . وكان فيه عربدة . وكان هو وطبقته دون أكابر المغنين ، مثل القاسم بن زرزور واحمد المكى .

قال : غنيت يوماً بين يدى الواثق لحن إسحاق فى :

هزئت أسماء منى وقالت أنت يابن الموصلىّ كبيرُ

فنظر إلىّ مخارق نظراً شزراً وعض شفته علىّ . فلما خرجنا من بين يدى الواثق . قلت : يا أستاذ ، لم نظرت إلىّ ذلك النظر ؟ أأنكرت علىّ شيئاً أم أخطأتُ فى غنائى ؟ فقال لى : ويحك ! أتدرى أى صوت غنيت ؟ إن إسحاق جعل صيحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيق وعر صعب المرتقى ، أحد جانبى ذلك الطريق حرف الجبل ، وعن جانبه الآخر الوادى ، فإن مال مرتقيه عن محجّته إلى جانب الوادى هوى ، وإن مال إلى الجانب الآخر لطمه حرف الجبل فتكسّر ، فصِر إلىّ غداً حتى أصححه لك .

وقال : غنيت المعتضد يوما ، وهو أمير ، صوت إسحاق :

يا سَرحة الماء قد سُدّت مواردُه أمَا إليك طريقٌ غير مسدود

فطرب واستعاده مراراً . وقال : هذا والله الغناء الذى يخالط الروح ويمازج اللحم والدم .

وقال : عنيت المعتضد صوتا فى شعر له ، ثم أتبعته بشعر الوليد بن يزيد :

كلِّلانى تَوِّجانى وبشعرى غنيانى

فقال : أحسن والله ! هكذا يقول الملوك المترفون ، وهكذا يضربون ، وبمثل هذا يشيرون ، وإليه يرتاحون . أحسنت يا أحمد الاختيار لما شاكل الحال ، وأحسنت الغناء ، أعد ، فأعدته . فأمر لى بعشرة آلاف درهم وشرب رطلا ، وفعل مثل ذلك حتى استعاده ست مرات .

المكى

احمد بن يحيى بن مرزوق

ويكنى أبا جعفر ، وكان يلقب ظنيناً . وهو أحد المحسنين المبرزين ، الرواة للغناء ، المحكمى الصنعة . وكان إسحاق يقدمه ويؤثره ويشيد بذكره ويجهر بتفضيله . وكتابه المجرد فى الأغانى ونسبها أصل من الأصول المعول عليها . فكان مع جودة غنائه وحسن صنعته أحد الضراب الموصوفين المتقدمين .

قال . كنت عند الفضل بن الربيع فغنى بعضُ من كان عنده :

كل شىء منك فى عينى حسن ونصيبى منك همّ وحزَن

لا تظنى أنه غيّرنى قِدَم العهد ولا طول الزمن

فقال : أتدرى لمن هذا ؟ فقلت : لبعض الطنبوريين . فقال : لا ، ولكنه لذلك الشيطان إسحاق .

وقال : غنيت إبراهيم بن المهدى لسياط :

* ضاف قلبى الهوى فأكثر سهوى *

فاستحسنه جدا وقال لى : ممن أخذته ؟ قلت : من جارية أبيك : قرشية الزباء . فقال : أشعرت أنه كان لأبى ثلاث جوار محسنات كلهن تسمى قرشية ، هن قرشية الزباء وقرشية السوداء وقرشية البيضاء ، وكانت الزباء أحسنهن . يعنى التى أخذت منها الصوت .

والعمل على كتاب أحمد . فإنه صحح كثيراً مما أفسده أبوه، وأزال ماعرفه من تخاليط، وحقق ما نسبه من الأغانى إلى صانعه . وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

وقال : غنيت المتوكل صوتا شعره لأبى الشبل البُرجمى ، وهو :

أقبلى فالخيرُ مقبل ودَعى قولَ المعلِّل

فأمر لى بعشرين ألف درهم . فقلت : يا سيدى ، أسأل الله أن يبلغك الهنيدة . فسأل عنها الفتح ، فقال: يعنى مائة سنة . فأمر لى بعشرة آلاف أخرى.

وقال : دعانى عبد الله بن موسى يوما فقال لى : أتقوّم غلاما ضاربا مغنياً قيمة عدل لا حيف فيه على البائع ولا على المشترى ؟ فقلت : نعم . فأخرج إلىّ ابنه القاسم ، وكنت قد عرفته ، وهو أحسن من القمر ليلة البدر . فأخذ عوداً فضرب . فأكببت على يديه أقبلهما . فقال لى عبد الله : أتقبل يد غلام مملوك ؟ قلت : بأبى وأمى هو من مملوك ! فقال : أمّا إذ عرفته فأحب أن تضاربه . ففعلت . فلما رأى الغلام زيادتى عليه فى الضرب اغتم وأقبل على أبيه

فقال ، كالمعتذر من ذنبه : أنا متلذذ وهذا متكسب . فضحكت وعجبت من حدة جوابه معتذراً على صغر سنه .

وقال على بن يحيى : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلى ، وقد جرى ذكر أحمد المكى : يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكى مملوكا كم كان يساوى ؟ فقال : أخبرك عن ذلك : انصرفت ليلة من دار الواثق فاجتزت بدار الحسن بن وهب . فدخلت إليه فاذا أحمد عنده . فلما قام لصلاة العشاء الآخرة قال لى الحسن بن وهب : كم يساوى أحمد لو كان مملوكا ؟ قلت : يساوى عشرين ألف دينار . قال : ثم رجع فغنى صوتا . فقال لى الحسن ابن وهب : يا أبا محمد ، أضعفها . قال : ثم تغنى صوتا آخر . فقلت للحسن : يا أبا على ، أضعفها . ثم أردت الانصراف فقلت لأحمد : غننى :

لولا الحياء وأنّ السير من خلقى ... إذا قعدت إليك الدهرَ لم أقمِ

أليس عندك سكر للتى جعلت ... ماأبيضّ من قادمات الرأس كالحمم

فغناه أحمد فأحسن فيه كل الإحسان . فلما قمت للانصراف قلت للحسن : يا أبا على ، أضعف الجميع .

وناظره بعض المغنين ذات ليلة بين يدى المعتصم وطال تلاحيهما فى الغناء ، فقال أحمد للمعتصم : يا أمير المؤمنين ، مَن شاء منهم فليغن عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة ، وأنا أغنى عشرة وعشرة لا يعرف أحد منهم صوتا منها . فقال إسحاق : صدق يا أمير المؤمنين .

وقال محمد بن عبد الله بن مالك : سألنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى يوما :

من بقى من المغنين ؟ قلت : وجه القرعة محمد بن عيسى بن جعفر . فقال : صالح كيّس . ومن أيضاً ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكى . فقال : بخ بخ ، ذاك المحسن المجمل الضارب ، المغنى القائم بمجلسه لا يحوج أهل المجلس إلى غيره .

وتوفى احمد فى خلافة المستعين فى أولها .

النصبى

أحمد بن أسامه الهمدانى

من رهط الأعشى الأدنين . وكان يغنى بالطنبور فى الإسلام . وكان فيما يقال : ينادم عبيد الله بن زياد سرا و يغنيه . وله صنعة كثيرة حسنة لم يلحقها أحد من الطنبوريين ولا كثير ممن يغنى بالعود .

وقيل إنه لم يكن بالكوفة أبخل منه مع يساره ، مع أنه كان يقرض الناس بالربا.

وكان مؤاخيا لأعشى همدان مواصلاً له ، فأكثر غنائه فى أشعاره ، مثل صنعته فى شعره :

* حيِّيا خولة منى بالسلام *

و : * لمن الظعائن سيرهن ترجُّف *

و : * يأيها القلب المطيع الهوى *

وهذه الأصوات قلائد صنعته وغرر أغانيه .

وخرج أحمد النصبى مع أعشى همدان ، وكان قرابته و إلفه ، فى عسكر ابن الأشعث فقُتل فيمن قتل .

الموصلى

إسحاق بن إبراهيم

ويكنى أبا محمد . وكان الرشيد يولع فيكنيه أبا صفوان . وهذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب مزحا .

وموضعه من العلم ومكانه من الأدب ومحله من الرواية وتقدمه فى الشعر ومنزلته فى سائر المحاسن أشهر من أن يدل عليه فيها بوصف

وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به ، وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه . فإنه كان له فى سائر أدواته نظراء وأكفاء ، ولم يكن له فى هذا نظير ، فإنه لحق بمن مضى فيه وسبق من بقى . ولحب للناس جميعاً طريقه فأوضحها ، وسهل عليهم سبيله وأنارها .

فهو إمام أهل صناعته جميعاً ورأسهم ومعلمهم ، يعرف ذلك منه الخاص والعام ، ويشهد به الموافق والمفارق . على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدهم بغضاً لأن يدعى إليه أو يسمى به . وكان يقول : لوددت أن أضرب كلما أراد مريد منى أن أغنى ، وكلما قال قائل : إسحاق الموصلى المغنى ، عشر مقارع ، لأطيق أكثر من ذلك ، وأعفى من الغناء ولا ينسبنى من يذكرنى إليه .

وكان المأمون يقول : لولا ما سبق على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتى ، فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة .

وقد روى الحديث ولقى أهله ، مثل : مالك بن أنس وسفيان بن عيينه وهشيم

ابن بشير ، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز .

وكان إسحاق يُجرى على ابن الأعرابى فى كل سنة ثلاثمائة دينار . وأهدى له ابن الأعرابى شيئاً من كتاب النوادر ، كتبه له بخطه ، فمر ابن الأعرابى يوما على باب دار الموصلى فقال : هذه دار الذى نأخذ من ماله ومن أدبه .

وكان مع كراهة الغناء أضن خلق الله وأشدهم بخلاً به على كل أحد، حتى على جواريه وغلمانه ومن يأخذ عنه منتسباً إليه متعصباً له ، فضلا عن غيرهم .

وهوالذى صحح أجناس الغناء وطرائقه وميزه تمييزاً ، لم يقدر عليه أحد قبله، ولاتعلق به أحد بعده . ولم يكن قديما مميزاً على هذا الجنس ، إنما كان يقال: الثقيل وثقيل الثقيل، والخفيف وخفيف الخفيف فميز إسحاق الأجناس فجعلها أصنافا.

قال إسحاق : بقيت دهرا من دهرى أغلس فى كل يوم إلى هشيم فأسمع منه ، ثم أصير إلى الكسائى أو الفراء أو ابن غزالة فأقرأ عليه جزءا من القرآن ، ثم أتى منصورا زلزلا فيضار بنى طرفين أو ثلاثة ، ثم آتى عاتكة بنت شهدة فأخذ منها صوتا أو صوتين ، ثم آتى الأصمعى وأبا عبيدة فأناشدهما وأحدثهما فأستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبى فأُعلمه ماصنعت ومن لقيت وما أخذت . وأتغدى معه ، فإذا كان العشاء رحت إلى أمير المؤمنين الرشيد .

وقال : أخذ منى منصور زلزل إلى أن تعلمت مثل ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم .

وقال: دخلت على المأمون يوما وعقيد يغنيه ارتجالا وغيره يضرب عليه . فقال : يا إسحاق ، كيف تسمع مغنينا هذا ؟ فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أدام

الله سرورك . قد أكثروا فى أمرى حتى نسبتنى فرقةٌ إلى التزيد فى علمى. فقال له : لا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لزمك . فقلت لعقيد : اردد هذا الصوت الذى غنيته آنفا وتحفظ فيه . وضرب ضارب عليه . فأقبلت على عقيد فقلت له حين استوفاه : فى أى طريقة هذا الصوت الذى غنيته ؟ قال : فى الرمل . فقلت للضارب : فى أى طريقة ضربت أنت ؟ قال : فى الهزج الثقيل . فقلت: ياأمير المؤمنين ، ما عسيت أن أقول فى صوت يغنى مغنيه رملا و يضرب ضاربه هزجا ، وليس هو صحيحاً فى إيقاعه الذى ضرب عليه .

وقال إسحاق : كانت عندى صناجة كنت بها معجباً واشتهاها أبو إسحاق المعتصم فى خلافة المأمون . فبينا أنا ذات يوم فى منزلى إذا ببابى يدق دقا شديداً فقلت : انظروا من هذا ؟ قالوا : رسول أمير المؤمنين . فقلت : ذهبت صناجتى ، تجده ذكرها له ذاكر فبعث إلىّ فيها . فلما مضى بى الرسول انتهيت إلى الباب وأنا مثخن فدخلت فسلمت . فرد السلام، ونظر إلى تغير وجهى فقال :اسكن . فسكنت . وسألنى عن صوت وقال : أتدرى لمن هو ! فقلت : أسمعه ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك . فأمر جارية من وراء الستارة فغنته وضربت . فإذا هى قد شبهته بالقديم . فقلت : زدنى معها عوداً آخر فإنه أثبت لى . فزاد لى عوداً آخر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة . فقال : من أين قلت ذلك ؟ فقلت : لما سمعته وسمعت لينه عرفت أنه من صنعة النساء ، ولما رأيت جودة مقاطعة علمت أن صاحبته ضاربة . فقال : صدقت ، الغناء لعريب .

وقال : دعانى المأمون وفى مجلسه عشرون جارية ، قد أجلس عشرا عن

يمينه وعشراً عن يساره، معهن العيدان يضربن بها . فلما دخلت سمعت من الناحية اليسرى خطأ فأنكرته . فقال المأمون: يا إسحاق ، أتسمع خطأ ؟ فقلت : نعم والله يا أمير المؤمنين و إنه لفى الجانب الأيسر . ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، مُر الجوارى اللواتى على اليمين يمسكن . فأمرهن فأمسكن . ثم قلت: يا أمير المؤمنين ، يمسكن وتضرب الثامنة . فأمسكن وضربت الثامنة . فعرف الخطأ .

وكان المغنون جميعاً يحضرون مجلس الواثق وعيدانهم معهم إلا إسحاق ، فإنه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة . فإن أمره الخليفة أن يغنى أحضر له عودا . فإذا غنى وفرغ سل من بين يديه إلى أن يطلبه .

وقال : غضب علىّ المخلوع فأقصانى وجفانى ، فاشتد ذلك علىّ ، وكان يومئذ بالأنبار ، فحملت عليه بالفضل بن الربيع . فطلب إليه فشفعه المخلوع . ودعانى وهو مصطبح . فلم أزل متوقفاً وقد لبست قباء وخفا أحمر ، واعتصبت بعصابة صفراء ، وشددت وسطى بشقة حمراء من حرير . فلما أخذوا فى الأهزاج دخلت وفى يدى صفاقتان وأنا أتغنى :

إسمع لصوت طريب من صنعة الأنبار
صوت مليح خفيف يطير فى الأوتار

فسر بذلك محمد ، وكان صوتهم فى يومهم ذلك ، وأمر لى بثلاثمائة ألف درهم.

وسئل زرزور : كيف كان إسحاق ينفق على الخلفاء معكم ، وأنت و إبراهيم ابن المهدى ومخارق أطيب أصواتاً وأحسن نغمة ؟ قال : كنا والله نحضر معه فنجتهد فى الغناء ونقيم الوهج فيه ، و يقبل علينا الخلفاء حتى نطمع فيه ونظن أنا

قد غلبناه ، فإذا غنى عمل فى غنائه أشياء من مداراته وحذقه ولطفه حتى يسقطنا كلنا ، ويقبل عليه الخليفة دوننا ، ويجيزه دوننا ، ويصغى إليه ونرى أنفسنا اضطراراً دونه .

وقال إسحاق : أول جائزة أخذتها من الرشيد ألف دينار فى أول يوم دخلت اليه فغنيته :

* علق القلب بزوعا *

فاستحسنه واستعاده ثلاث مرات وشرب عليه وأمر لى بألف دينار ، فكان أول جائزة أجازنيها .

وكان إسحاق بن إبراهيم الموصلى كثير الغشيان لإسحاق بن إبراهيم بن مصعب والحضور لسمره . وكان إسحاق بن مصعب يرى ذلك له ويسنى جوائزه ويواتر صلاته ويشاوره فى بعض أموره ويسمع منه . فأصيب إسحاق ببصره قبل موته بسنتين ، فترك زيارة إسحاق وغيره ممن كان يغشاهم ولزم بيته .

وقال إسحاق : أنشدتنى أم محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاج . فاستحسنتهما وصنعت فيها لحناً غنيته الواثق . فاستعاده حتى أخذه وأمر لى بثلاثين ألف درهم ، وهما :

عسى الله ياظبياء أن يعكس الهوى فنلقين ما قد كنت منك لقيتُ

ثراء فتحتاجى إلىّ فتعلمى بأن به أجزيك حين غنيتُ

وكان إسحاق الموصلى وإبراهيم بن المهدى إذا خلوا فهما أخوان ، وإذا التقيا عند خليفة تكاشحا أقبح تكاشح .

وقال إسحاق : دخلت يوماً على الواثق ، فقال لى : يا إسحاق ، إنى أصبحت قرماً إلى غنائك ، فغننى ، فغنيته :

من الظباء ظباءٌ همّها السحبُ ترعى القلوب وفى قلبى لها عشبُ
لا يغتربن ولا يسكن بادية وليس يدرين ماضرع ولا حلب
إذا يد سرقت فالقطع يلزمها والقطع فى سرق بالعين لايجب

قال : فشرب عليه بقية يومه و بعض ليله وخلع على خلعة من ثيابه .

وكان الواثق يعرض صنعته على إسحاق فيصلح فيها الشئ بعد الشئ

وقال إسحاق : كنت مع الرشيد حين خرج إلى الرقة ، فدخل يوماً إلى النساء وخرجت فمضيت إلى تل عزاز، فنزلت عند خمارة هناك ، فسقتنى شراباً لم أر مثله حسناً وطيباً وطيب رائحة ، و برزت بنت لها كأنها خوط بان أو جدل عنان ، لم أر أحسن منها قدا ، ولا أسيل خدا، ولا أعتق وجهاً ، ولا أبرع ظرفاً ، ولا أفتن طرفاً ، ولا أحسن كلاما، ولا أتم تماما . فأقمت عندها ثلاثة ، والرشيد يطلبنى فلا يقدر علىّ . ثم انصرفت فذهبت بى رسله . فدخلت عليه وهو غضبان . فلما رأيته خطرت فى مشيتى و رقصت ، وكانت فىّ فضلة من السكر وغنيت :

إن قلبي بالتل تل عزاز عند ظبى من الظباء الجوازى
شادن يسكن الشآم وفيه مع دلّ العراق ظرف الحجاز
يا لقومى لبنت قس أصابت منك صفو الهوى وليست تجازى
حلفت بالمسيح أن تنجز الوعـ ـد وليست تجود بالإنجاز

فسكن غضبه . ثم قال له : أين كنت ؟ فأخبرته ، فضحك .

وقال محمد بن الحسن ، وذكر إسحاق الموصلى : كانت صنعته محكمة الأصول ، ونفحته عجيبة الترتيب ، وقسمته معتدلة الأوزان ، وكان يتصرف فى جميع بسط الإيقاعات . فأى بساط منها أراد أن يتغنى فيه صوتا قصد أقوى صوت جاء فى ذلك البساط لحذاق القدماء فعارضه . وقد كان يذهب مذهب الأوائل ، ويسلك سبيلهم ، ويقتحم طرقهم ، فيبنى على الرسم ليصنعه ، ويحتذى على المثال فيحكمه ، فتأتى صنعته قوية وثيقة يجمع فيها حالتين : القوة فى الطبع وسهوله المسلك .

وقال يحيى بن على بن يحيى : كان إسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء وأنفذهم فى جميع فنونه ، وأضربهم بالعود وبأكثر آلات الغناء ، وأجودهم صنعة . وقد تشبه بالقديم وزاد فى بعض ما صنعه عليه ، وعارض ابن سريج ومعبداً فانتصف منهما . وكان إبراهيم بن المهدى ينازعه فى هذه الصناعة ولم يبلغه فيها ولم يكن بعد إسحاق مثله .

وقال له وكيل بن الحرونى : يا أبا محمد ، كم يكون غناؤك ؟ قال : نحواً من أربعمائة صوت .

قال : وقال له رجل بحضرتى : مالك لا تكثر الصنعة كما يكثر الناس ؟ قال : لأنى إنما أنقر فى صخرة .

وتوفى إسحاق ببغداد فى أول خلافة المتوكل . فأصابه ذرب فى شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين ، فكان يتصدق فى كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم ، ثم ضعف عن الصوم فلم يطقه . ومات فى شهر رمضان .

ونعى إسحاق إلى المتوكل فى وسط خلافته، فغمه وحزن عليه وقال : ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته .

وقال إدريس بن أبى حفصة :

سقى الله يابن الموصلى بوابل من الغيث قبراً أنت فيه مقيمُ
ذهبت فأوحشت الكرام فما ينى بعبرته يبكى عليك كريم

وقال محمد بن عمرو الجرجانى يرثيه :

على الجدث الشرقى عُوجا فسلِّما ببغداد لما ضَمّن عنه عوائده
وقولا له لو كان للموت فدية فداك من الموت الطريف وتالده

أشعب بن جبير

واسمه شعيب ، وكنيته أبو العلاء . كان يقال لأمه أم الخلندج . وقيل : بل أم جميل . وهى مولاة أسماء بنت أبى بكر واسمها حميدة . وكان أبوه خرج مع المختار ابن أبى عبيدة ، وأسره مصعب فضرب عنقه صبراً وقال : تخرج علىّ وأنت مولاى .

ونشأ أشعب بالمدينة فى ديوان آل أبى طالب . وتولت تربيته وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفان .

وأخبر أشعب أن أباه وجده كانا مولي عثمان ، وأن أمه كانت مولاة لأبى

سفيان بن حرب ، وأن ميمونة أم المؤمنين أختها معها ، لما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت تدخل إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيستظرفنها . ثم إنها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض وتغرى بينهن ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليها فماتت .

وذكر أنه كان مع عثمان فى الدار ، فلما حُصر جرّد مماليكه السيوف ليقاتلوا ، فقال لهم عثمان : من أغمد سيفه فهو حُرّ . قال أشعب : فلما وقعت والله فى أذنى كنت أول من أغمد سيفه .

وقال الفضل بن الربيع : كان أشعب عند أبى سنة أربع وخمسين ومائة ثم خرج إلى المدينة ، فلم يلبث أن جاء نعيه . وهو أشعب بن جبير . وكان أبوه مولى لأبى الزبير ، فخرج مع المختار ، فقتله مصعب صبراً مع من قتل .

وقال أشعب : نشأت أنا وأبو الزناد فى حجر عائشة بنت عثمان . فلم يزل يعلو ، وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة .

وقال محمد بن عثمان بن عفان : قلت لأشعب : لى إليك حاجة . فحلف بالطلاق لا سألته حاجة إلا قضاها . فقلت له : أخبرنى عن سنك . فاشتد ذلك عليه حتى ظننت أنه سيطلق . فقلت له : على رسلك . وحلفت له أنى لا أذكر منه مادام حيا . فقال له : أما إذ فعلت فقد هوّنت علىّ . أنا والله حيث حصر جدك عثمان بن عفان أسمى فى الدار .

وقال أشعب : كنت ألتقط السهام من دار عثمان يوم حوصر . وكنت فى شبيبتى ألحق الحمر الوحشية عدوا .

وكان أشعب من القراء للقرآن . وكان حسن الصوت بالقرآن ، وربما صلى بهم القيام .

وكان أشعب مع ملاحته ونوادره يغنى أصواتا فيجيدها . وفيه يقول عبد الله ابن مصعب :

إذا تمـزرت صراحيّـةً كمثل ريح المسك أو أطيبُ
ثم تغنّى لى بأهزاجـه زيد أخو الأنصار أو أشعب
حسبتُ أنّى ملك جالس حفّت به الأملاك والموكب
ومـا أبالى و إلهِ الورى أشرّق العـالم أم غـرّبوا

وقال أشعب : استنشدنى ابنُ سالم بن عبد الله بن عمر غناءَ الركبان بحضرة أبيه سالم . فأنشدته ، و رأس أبيه سالم فى بت ، فلم ينكر ذلك .

ودفعت عائشة بنت عثمان أشعبَ فى البزازين فقالت له بعد حول : أتوجهت لشىء ؟ قال : نعم . تعلمت نصف العمل و بقى نصفه . وقالت : وما تعلمت ؟ قال : تعلمت النشر و بقى الطى .

وقال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهم أذهب عنى الحرص والطلب إلى الناس . فمررت بالترشيين وغيرهم فلم يعطنى أحد شيئاً . فجئت إلى أمى ، فقالت : مالك قد جئت خائبا . فأخبرتها . فقالت : لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقبل ربك . فرجعت فقلت : يارب ، أقلنى . ثم رجعت . فلم أمر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطونى . ووهب لى غلام ، فجئت إلى أمى بحمار موقر من كل

شيء ، فقالت : ما هذا الغلام ؟ فخفت أن أخبرها بالقصة فتموت فرحا ، فقلت: وهبوا لى . قلت: أى شيء ؟ قلت : غين . قالت : أى شيء غين ؟ قلت : لام . قالت : وأى شيء لام ؟ قلت : ألف . قالت : وأى شيء ألف . قلت : ميم . قالت : وأى شيء ميم . قلت: غلام . فغشى عليها ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحا .

وكان أشعب يقول : سمعت الناس يموجون فى أمر عثمان . ثم أدرك المهدى.

وكان أشعب أزرق أحول أكشف أقرع . وكان يقول : كنت أسقى الماء فى فتنة عثمان بن عفان .

وأصاب أشعب ديناراً بالمدينة ، فاشترى به تطيفة ، ثم قام على باب المسجد الجامع فقال : من يتعرف الومذة [1] ؟

قال الأصمعى : رأيت أشعب يغنى وكأن صوته صوت بلبل .

وقال أشعب : قدم علينا قاصٌّ كوفى يقص فى رفقة ، وفيها ألف بعير ، فخرجنا وأحرمنا من الشجرة بالتلبية . فأقبل الناس إلىّ وتركوه .

وتغدى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثى ، فجاءوا بمضيرة . فقال أشعب لخباز : ضعها بين يدى . فوضعها بين يديه . فقال زياد : من يصلى بأهل السجن ؟ قيل : ليس لهم إمام . قال : أدخلوا أشعب يصلّ بهم . قال أشعب : أوَ غير ذلك أصلح الله الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قال : أحلف ألا آكل مضيرة أبدا .

---

(١) ومذ الثوب ، إذا أخلق .

وأتى أشعب بفالوذجة عند بعض الولاة فأكل منها . فقيل له : كيف تراها يا أشعب ؟ قال : امرأته طالق إن لم تكن عملت قبل أن يوحى الله عز وجل إلى النحل .

وجاء أشعب إلى أبى بكر بن يحيى ، من آل الزبير ، فشكا إليه . فأمر له بصاع من تمر . وكانت حال أشعب رثة ، فقال له أبو بكر بن يحيى : يا أشعب ، فى سنك وشهرتك تجىء فى هذه الحال فتضع نفسك فتعطى مثل هذا ! اذهب فادخل الحمام فاخضب لحيتك . قال: ففعلت ثم جئت . فألبسنى ثياب صوف له وقال: اذهب الآن فاطلب . قال : فذهبت إلى هشام بن الوليد صاحب البغلة من آل أبى ربيعة ، وكان رجلا شريفاً موسراً ، فشكوت إليه . فأمر لى بعشرين ديناراً . فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد وطفق كلما جلس فى حلقة يقول : أبو بكر بن يحيى جزاه الله عنى خيراً أعرف الناس بمسألة ، فعل بى وفعل . فبلغ ذلك أبا بكر فقال : يا عدو نفسه ! فضحتنى فى الناس ، فكان هذا جزائى .

وكان لأشعب خرق فى بابه فينام ويخرج يده من الخرق ويطمع أن يجىء إنسان فيطرح فى يده شيئاً ، من الطمع .

وصلى أشعب يوما إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان ، وكان مروان عظيم الخلق والعجيزة . فأفلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت . فانصرف أشعب من الصلاة . فوهم الناس أنه هو الذى خرجت منه الريح . فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له : الدية . فقال : ماذا ؟ فقال: دية الضرطة التى تحملتُها عنك ، والله وإلاّ شهرتك . فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحا .

وكبر أشعب فملّه الناس وبرد عندهم . ونشأ ابنه فتغنى وبكى وأنذر . فاشتهى الناس

ذلك، وأخصب وأجدب أبوه . فدعاه يوما ، وجلس هو وعجوز، وجاء ابنه وامرأته ، فقال له : بلغنى أنك قد تغنيت وأنذرت وأن الناس قد مالوا إليك فهلم حتى أخايرك . فتغنى أشعب فإذا هو قد انقطع وأرعد، وتغنى ابنه فإذا هو حسن الصوت مطرب، وانكسر أشعب .

وقال أشعب مرة للصبيان : هذا عمرو بن عثمان يقسم مالا ، فمضوا . فلما أبطئوا عنه تبعهم ، يحسب أن الأمر قد صار حقًّا كما قال .

وقيل لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت اثنين يتساران قط إلا كنت أراهما يأمران لى بشىء .

وكان لأشعب أصوات حكيت عنه، وكان ابنه عبيدة يغنيها. فمن أصواته هذه :

أرونى من يقوم لكم مقامى إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب
إلى من تفزعون إذا حثوتم بأيديكم علىّ من التراب

وحدّث عبد الله بن أبى بشر بن عثمان بن المغيرة قال : سمعت جلبة شديدة مقبلة من البلاط ، وأسرعت فإذا جماعة مقبلة وإذا امرأة قد فرعتهم طولا ، وإذا أشعب بين أيديهم بكفه دف وهو يغنى به ويرقص ويقول :

ألا حىٍّ التى خرجت قبيلَ الصبح فاختمرت
يقال بعينها رمدٌ ولا والله مارمدت

فإذا تجاوز فى الرقص الجماعة رجع اليهم حتى يخالطهم، ويستقبل المرأة فيغنى فى وجهها وهى تبسم وتقول : حسبك الآن . فسألت عنها فقالوا : هذه جارية

صريم المغنية ، استلحقها صريم عند موته واعترف بأنها بنته ، فحاكمت ورثته إلى السلطان ، فقامت لها البينة، فألحقها به وأعطاها الميراث منه .

وبلغ أشعب أن الناضرى قد أخذ فى مثل مذهبه ونوادره ،وأن جماعة قد استطابوه ، فرقبه حتى علم أنه فى مجلس من مجالس قريش يحادثهم و يضحكهم، فصار إليه ثم قال له : قد بلغنى أنك قد نحوت وشغلت عنى من كان يألفنى . فإن كنت مثلى فافعل كما أفعل ، ثم غضن وجهه وعرضه وشنّجه ، حتى صار عرضه أكثر من طوله وصار فى هيئة لم يعرفه أحد بها ، ثم أرسل وجهه وقال له : افعل كذا ، وطوّل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره وصار كأنه وجه الناظر فى سيفه ، ثم نزع ثيابه وتحادب فصار فى ظهره حدبة كسنام البعير وصار طوله مقدار شبر أو أكثر ، ثم قام فتطاول ونمدّد حتى صار أطول مايكون من الرجل . فضحك القوم حتى أغمى عليهم، وقطع الناضرى فما تكلم بنادرة ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء ، لا أعاود ما تكره ، إنما أنا تلميذ لك وخريجك . ثم انصرف أشعب وتركه .

وكان مولده فى سنة تسع من الهجرة . وكان أطيب أهل زمانه عشرة وأكثرهم نادرة . وكان أحسن الناس أداء لغناء سمعه ، وأقوم دهره بحجج المعتزلة، وكان امرأ منهم .

وقال رجل لأشعب : إن سالم بن عبد الله قد مضى إلى بستان فلان ومعه طعام كثير . فبادر حتى لحقه . فأغلق الغلام الباب دونه . فتسوّر عليه . فصاح سالم : بناتى بناتى ! فناداه أشعب : لقد علمت مالنا فى بناتك من حق و إنك لتعلم مانريد . فأخرج إليه منه ما كفاه

وحدّث أشعب قال : جاءنى فتية من قريش فقالوا : إنا نحب أن تسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتا من الغناء وتُعلمنا مايقول لك ، وجعلوا لى على ذلك جعلا . فدخلت على سالم فقلت : يا أبا عمر ، إن لى مجالسة وحرمة ومودة وسنا ، وأنا مولع بالترنم . قال : وما الترنم ؟ قلت : الغناء . قال : فى أى وقت ؟ قلت: فى الخلوة ومع الإخوان فى المنزه ، فأحب أن أسمعك . فإن كرهته أمسكت عنه.وغنيته . فقال : ما أرى بأساً . فخرجت فأعلمتهم . قالوا : وأى شىء غنّيته قلت : غنيته :

قرّبا مَربط النعامة منى لقحتْ حربُ وائل عن حِيالِى

فقالوا : هذا بارد ولا حركة فيه ولسنا نرضى . فلما رأيت دفعهم إياى وخفت ذهاب ماجعلوه لى رجعت فقلت : يا أبا عمر ، آخر . فقال : مالى ولك . فلم أملكه كلامه حتى غنيت . فقال : ما أرى بأساً . فخرجت اليهم فأعلمتهم . فقالوا : وأى شىء غنيته ؟ فقلت : غنيته قوله :

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النِّزالا

فقالوا : ليس هذا بشىء . فرجعت إليه فقال : مه . قلت : وآخر . فلم أملكه أمره حتى غنيت قوله :

غَيَّضْن من عَبَراتهنّ وقلن لى ماذا لقيتَ من الهوى ولَقِينَا

فقال : نهلا نهلا . فقلت : لا والله إلا بذاك السداك:[1] وفيه تمر عجوة من

---

(١) السداك : الزبيل الكبير .

صدقة عمر . فقال : هولك . فخرجت به عليهم وأنا أخطر فقالوا : مه ! فقلت: غنيت الشيخ :

* غَمَّضْن من عبراتهن وقلن لى *

فطرب وفرض لى[1] فأعطانى هـذا . وكذبتهم ، والله ما أعطانيه إلا استكفافاً ، حتى صمت .

وقدم أشعب أيام أبى جعفر ، فأطاف به فتيان بنى هاشم وسألوه أن يغنيهم ، فغنى . فاذا ألحانه مطربة وحلقه على حاله فقال له جعفر بن المنصور : لمن هـذا الشعر والغناء :

لمن طلل بذات الجيـ ـش أمسى دارساً خلقا

فقال له : أخذت الغناء عن سعيد ، وهو للدلال . ولقـد كنت آخذ اللحن عن معبد ، فإذا سئل عنه ، قال: عليكم بأشعب فإنه أحسن تأدية له منى .

وقدم جرير المـدينة فاجتمع إليه الناس يستنشدونه و يسألونه عن شعره ، فينشدهم و يأخذون عنه وينصرفون عنه . ولزمه أشعب من بينهم فلم يفارقه . فقال له جرير : أراك أطولهم جلوساً وأكثرهم سؤالا ، وإنى لأظنك ألأمهم حسباً . فقال : يا أبا حَزْرة . أنا والله أنفعهم لك . قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنا آخـذ شعرك فأحسنه وأجوده . قال : كيف تحسنه وتجوده ؟ قال: فاندفع فغناه فى شعره :

يا أختَ ناجية السلامُ عليـكمُ قبل الرحيل وقبل لوم العُذّلِ

---

(١) فرض لى ، أى نقطنى . يعنى مايهبه الناس للمغنين، ويسمونه النقط .

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلتُ مالم أفعلِ

قال : فطرب جرير وبكى وجعل يزحف إليه حتى لصقت ركبته بركبته وقال: أشهد أنك تحسنة وتجوده . فأعطاه من شعره ما أراد ، ووصله بدنانير وكسوة .

وقيل لأشعب : كيف ترى أهل زمانك هذا ؟ قال : يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون إعطاء العبيد .

وبعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلّق امرأته سعدة فقال له : يا أشعب، لك عندى عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتى سعدة . فقال له: أحضر المال حتى أنظر اليه . فأحضر الوليد بدرة ، فوضعها أشعب على عنقه ثم قال : هات رسالتك يا أمير المؤمنين . قال : قل لها : يقول لك :

أسُعدة هل إليك لنا سبيلُ وهل حتى القيامة من تلاق
بلى ولعل دهراً أن يواتى بموت من حليلك أو طلاق
فأصبح شامتاً وتقرّ عينى ويجمع شملنا بعد افتراق

قال : فأتى أشعب الباب ، فأخبرت بمكانه ، فأمرت ففرشتْ لها فُرش وجلستْ فأذنت له . فدخل فأنشدها ما أمره . فقالت لخدمها : خذوا الفاسق . فقال . يا سيدتى ، إنها بعشرة آلاف درهم . قالت : والله لأقتلنك أو تبلغه كما بلّغتنى . قال : وما تبين لى ؟ قالت : بساطى الذى تحتى . قال : قومى عنه . فقامت فطواه ثم قال : هاتى رسالتك جُعلت فداءك . قالت : قل له :

أتبكى على لُبنى وأنت تركتها فقد ذهبت لبنى فما أنت صانع

فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت . فقال : أوه ! قتلتنى والله . ما ترانى صانعاً بك يابن الزانية ، اختر : إما أن أدليك منكساً فى بئر ، أو أرمى بك من فوق القصر منكساً ، أو أضرب رأسك بعمودى هذا ضربة . فقال : ما كنت فاعلا بى شيئاً من ذلك . قال : ولم ؟ قال : لأنك لم تكن لتعذب رأسا فيه عينان قد نظرتا إلى سعدة . فقال : صدقت يابن الزانية . اخرج عنى .

وقيل لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما زفت عروس بالمدينة إلى زوجها قط إلا فتحتُ بابى رجاء أن تهدى إلىّ .

وكانت بالمدينة عجوز شديدة العين لا تنظر إلى شىء تستحسنه إلا عانته . فدخلت على أشعب وهو فى الموت وهو يقول لبنته : يا بنية ، إذا مت فلا تندبينى والناس يسمعونك فتقولين : واأبتاه ! أندبك للصوم والصلوات . واأبتاه ! أندبك للفقه والقراءة . فيكذبك الناس و يلعنونى . والتفت أشعب فرأى المرأة فغطى وجهه بكمه وقال لها : يا فلانة ، بالله إن كنت استحسنت شيئاً مما أنا فيه فصلِّى على النبى صلى الله عليه وسلم لا تهلكينى . فغضبت المرأة وقالت : سخنت عينك ، فى أى شىء أنت مما يستحسن ؟ أنت فى آخر رمق . قال : قد علمت ولكن قلت لئلا تكونى قد استحسنت خفة الموت على وسهولة النزع فيشتد ما أنا فيه . وخرجت من عنده وهى تشتمه . وضحك من كان حوله من كلامه ، ثم مات .

بديح المليح

هو مولى عبد الله جعفر . وله صنعة يسيرة . وإنما كان يغنى أغانى غيره ،

مثل : سائب خاثر ، ونشيط ، وطويس ، وهذه الطبقة . وقد روى الحديث عن عبد الله بن جعفر .

وكان ابن جعفر يحب أن يسمع عبد الملك غناء بديح، فدخل إليه يوما فشكا إليه عبد الملك ركبته . فقال له ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن لى مولى كانت أمه بربرية وكانت ترقى من هذه العلة وقد أخذ ذلك عنها . قال : فادع به . فدعى بديح . فجعل يتفل على ركبة عبد الملك ويمسحهم . ثم قال : قم يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك . فقام عبد الملك لايجد شيئاً فقال عبد الله : ياأمير المؤمنين ، مولاك لابد له من صلة . قال : حتى يكتب رقيته . ثم أمر جارية له فكتبت : بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم . قال : كيف تكون ويلك رقية ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : فهو ذلك . قال : فاكتبيها على ما فيها . فأملى عليها قوله :

ديار سليمى بين عيقة فالهدى ... سُقيت وإن لم تنطق سبل الرَّعدِ

ثم قال له ابن جعفر : لو سمعته منه . قال : أو يجيد ؟ قال : نعم . قال : هات . فما برح والله حتى أفرغها فى مسامعه .

وكان ممن خرج مع جميلة حين حجت من المغنين مشيعين حتى وافوا مكة ورجعوا معها . وأقبلت جميلة عليه وعلى نافع فقالت : أحب أن تغنيانى صوتا واحداً . فغنيا جميعاً بصوت واحد ولحن واحد :

وما كان بينى لو لقيتُك سالماً ... وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل

بديح

غلام إسحاق الموصلى

قصد إبراهيم بن المهدى يوما فكتب إليه إسحاق يتعرف خبره ويدعو له بالسلامة وحسن العقبى ، وكتب إليه : إنى سأهدى إليك هدية للقصد حسنة . فوجّه إليه بديحاً غلامه فغناه لحنه فى :

* هزئت أسماء منى وقالت *

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبلنا الهدية ، فإن كان أذن لك فى طرحه على الجوارى فافعل . فقال له : بذلك أمرنى وقال لى إنك ستقول لى هذا القول ، وقال لى : إن قاله لك فقل له : لو لم آمرك بطرحه لم يكن هدية . فضحك إبراهيم . وألقاه بديح على جواريه .

وحدث بعض أصحاب عمر بن شبة قال : كنا فى منزل محمد بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس ، وكان عالما بالغناء والفقه جميعاً . وقد كان يحيى بن أكثم وصفه للمأمون بالفقه ووصفه أحمد بن يوسف بالعلم والغناء . فقال المأمون : ما أعجب ما اجتمع فيه : العلم بالفقه والغناء ! فكتب إلى إسحاق الموصلى أن يتحول إلينا ، وكان فى جوارنا ، وعندنا يومئذ محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان ، وذكاء وصغير ، غلاما أحمد بن يوسف الكاتب . فكتب إلينا إسحاق : جعلت فداكم ، قد أخذت دواء فإذا خرجت منه حملت قدرى وصرت إليكم ، وكتب فى أسفل كتابه :

أنا شماطيط الذى حُدثتَ به متى أُنبّه للغداء أنتبهْ

ثم جاءنا ومعه بديح غلامه فتغدينا وشربنا . فغنى ذكاء غلام أحمد بن يوسف

* أبهار قد هيجت لى أوجاعا *

فسأله إسحاق أن يعيده مرارا . ثم قال له : ممن أخذت هذا ؟ فقال : من معاذ بن الطبيب . قال : والصنعة فيه له . فقال له إسحاق : أحب أن تلقيه على بديح ففعل

بديح

غلام محمد بن راشد الخناق

قال محمد بن راشد : إنى لفى منزلى يوما مع الظهر ، إذ دخل على إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، فسررت بمكانه . فقال : قد جاءت بى إليك حاجة . قال : قلت : قل ما شاء الله . قال : دعنى فى بيتك ودع غلاميك عندى : بديحاً وسليمان ، وكانا خادمين مغنيين ، ومرهما أن يغنيانى .

بذل

كانت بذل صفراء مولدة من مولدات المدينة ، وربيت بالبصرة . إحدى

المحسنات المتقدمات الموصوفات بكثرة الرواية . يقال إنها كانت تغنى ثلاثين ألف صوت . ولها كتاب فى الأغانى منسوب الأصوات غير مجنس ، يشتمل على اثنى عشر ألف صوت ، يقال إنها عملته لعلى بن هشام .

وكانت حلوة الوجه ظريفة ضاربة متقدمة . وابتاعها جعفر بن موسى الهادى ، فأخذها منه محمد الأمين وأعطاه مالا جزيلا .

أخذت بذل عن أبى سعيد مولى فائد ودحمان وفليح وابن جامع و إبراهيم وطبقتهم . وقرأت على جحظة عن أبى حشيشة فى كتابه الذى جمعه من أخباره وما شاهده .

و بقيت بذل فى دار محمد إلى أن قتل ، ثم خرجت . فكان ولد جعفر و ولد محمد يدعون ولاءها . فلما ماتت ورثها عبد الله بن محمد بن زبيدة .

وكان محمدٌ وهب لها من الجواهر شيئاً لم يملك أحد مثله ، فسلم لها . فكانت تخرج منه الشىء فتبيعه بالمالِ العظيم . فكان ذلك معتمدها مع ما يصل إليها من الخلفاء ، إلى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة . ورغب إليها وجوه القواد والكتاب والهاشميين فى التزوج ، فأبت وأقامت على حالها حتى ماتت .

قال أبو حشيشة : وكنت عند بذل يوما وأنا غلام ، وذلك فى أيام المأمون ببغداذ ، وهى فى طارمة لها تمشط . ثم خرجت إلى الباب فرأيت المواكب فظننت أن الخليفة يمر فى ذلك الموضع . فرجعت إليها فقلت : الخليفة يمر على بابك . فقالت : انظروا أى شىء هذا . إذ دخل بوابها فقال : على بن هشام بالباب . فقالت : وما أصنع به . فقامت إليها وشيكة جاريتها ، وكانت ترسلها إلى الخليفة

وغيره فى حوائجها ، فأكبت على رجلها وقالت : الله الله ! أتحجبين على بن هشام . فدعت بمنديل فطرحته على رأسها ولم تقم إليه . فقال : إنى جئتك بأمر سيدى أمير المؤمنين ، وذلك أنه سألنى عنك فقلت : لم أرها منذ أيام . فقال : هى عليك غضبى ، فبحياتى لا تدخل منزلك حتى تذهب إليها فترضيها . فقالت : إن كنت جئت بأمر الخليفة فأنا أقوم . فقامت فقبلت رأسه ويديه ورجليه ، وقعد ساعة وانصرف . فساعة خرج قالت : يا وشيكة : هاتى دواة وقرطاسا . فجعلت تكتب فيه يومها وليلتها حتى كتبت اثنى عشر ألف صوت . ثم كتبت إليه : يا على بن هشام ، تقول : قد استغنيت عن بذل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها ، وقد كتبت هذا وأنا ضجرة ، فكيف لو فرغت لك قلبى كله . وختمت الكتاب وقالت لها : امضى به إليه . فما كان أسرع من أن جاء رسوله خادم أسود بالجواب يقول فيه : لا والله ما قلت الذى بلغك ، ولقد كذب علىّ عندك . إنما قلت : لا ينبغى أن يكون فى الدنيا غناء أكثر من أربعة آلاف صوت . وقد بعثت إلى بديوان لا أؤدى شكرك عليه أبدا . وبعث إليها بعشرة آلاف درهم وتختوتا فيها خزّ ووشى ومُلَح .

ولعلى بن هشام يعاتب بذلا :

تغيرتِ بعدى والزمان مغيرّ ... وخستِ بعهدى والملوك تخيسُ

وأظهرت لى هجراً وأخفيت بغضةً ... وقربت وعداً واللسان عبوس

ومما شجانى أننى يوم زرتكم ... حُجبت وأعوانى لديك جلوس

وفى دون ذا ما يُستذل به الفتى ... على العذر من أحبابه ويقيس

كفرت بدين الحب إن طُرت بابكم ... وتلك يمين ما علمت غموس

فإن ذهبت نفسى إليكم تشوقا فقد ذهبت للعاشقين نفوس
ولو كان نجمى فى السعود وصلتكم ولكن نجوم العاشقين نحوس

وقالت لى بذل : كنت أروى ثلاثين ألف صوت ، فلما تركت الدرس أنسيت نصفها . فذكر قولها لزرزور الكبير فقال : كذبت الزانية .

وكان إبراهيم بن المهدى يعظمها ، ثم تغير بعد ذلك استغناء عنه نفسه عنها . فصارت إليه فدعت بعود فغنت فى طريقة واحدة وإيقاع واحد وإصبع واحدة مائة صوت لم يعرف إبراهيم منها صوتا واحداً . ووضعت العود وانصرفت فلم تدخل داره ، حتى طال طلبه لها وتضرعه إليها فى الرجوع إليه .

وخالف إسحاق الموصلى بذلا فى نسبة صوت غنته بحضرة المأمون . فأمسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات فى الثقيل الثانى واحداً بعد واحد ، وسألت إسحاق عن صانعها فلم يعرفه . فقالت للمأمون : يا أمير المؤمنين ، هى والله لأبيه ، أخذتها من فيه ، فإذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره . فاشتد ذلك على إسحاق حتى رئى فيه .

وغنت بذل يوما بين يدى إسحاق :

إن ترينى ناحل البدن فلطول الهم والحزن
كان ما أخشى بواحدتى ليته والله لم يكن

فطرب طربا شديداً .

وكانت مثيم الهاشمية من تخريجها وتعليمها ، وعلى ما أخذت عنها كانت تعتمد .

وكان سبب موتها أنها كانت ذات يوم دالة عند المأمون فغنته ، وكان حاضراً فى ذلك المجلس موسوس يكنى بأبى الكركور من أهل طبرستان يضحك منه المأمون ، فعبثوا به ، فوثب عليهم وهرب الناس من بين يديه فلم يبق أحد حتى هرب حتى المأمون ، و بقيت بذل جالسة والعود فى حجرها ، فأخذ العود من يدها وضرب به رأسها فشجها فى شايورتها اليمنى . فانصرفت وحمت وكان سبب موتها .

بذل الكبيرة

لما مات على بن هشام ومات المأمون أخذ المعتصم جوارى على بن هشام كلهن فأدخلهن القصر . ولما مات خرجت بذل الكبيرة .

بربر

بربر جارية آل سليمان ، أعتقت . وكان لها جوار مغنيات .

وكان سلمة بن عياش وأبو سفيان بن العلاء عند محمد بن سليمان ، وجارية تغنيهم وتسقيهم يقال لها بربر ، فقال سلمة :

إلى الله أشكو ما ألاقى من القِلى لأهلى وما لاقيتُ من حب بربر

على حين ودعت الصبابة والصبي وفارقت أخدانى وشمرت مئزرى

نأى جعفر عنا وكان لمثلها وأنت لنا فى التائبات كجعفر

فقال محمد بن سليمان لسلمة : خذها هى لك . فاستحيا وارتدع ، وقال : لا أريدها . فألح عليه فى أخذها . فقال : أعتق ما أملك إن أخذتها . فقال له أبو سفيان : ياسخين العين ، اعتق ما تملك وخذها فهى خير من كل ما تملك .

وفيها يقول سلمة بن عياش ، وقيل إنه لمطيع بن إياس :

أظن الحب من وجدى سيقتلنى على بربرْ
وبَربر دُرّة الغوّا ص من يملكها يُحبر
فخافى الله يا بربرْ فقد أفتنت ذا العسكر
بحسن الدَّل والشِّكل وريح المسك والعنبر
ووجه يشبه البدر وعينى جؤذر أحور

البردان

لقب غلب عليه . من أهل المدينة، وكان متولى السوق بها . أخذ الغناء عن معبد وجميلة وعزة الميلاء . وكان معدلا مقبول الشهادة .

وكان بُرْدان خفيف الروح ، طيب الحديث، مليح النادرة ، وقد لقى الناس.

وقدم إليه رجل خصما يدعى عليه حقا ، فوجب الحكم عليه، فأمر به إلى الحبس. فقال له الرجل : أنت بغير هذا أعلم منك بهذا . فقال : ردوه ، فرُد ، فقال :

لعلك تعنى الغناء ، إنى والله به لعارف ، ولو سمعت شيئاً جاء الباحة لازددت علما بأنى عارف ، ومهما جهلت فإنى بوجوب الحق عليك عالم ، اذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقه

وقال سياط : رأيت البردان بالمدينة يتولى بسوقها وقد أسنّ ، فقلت له : ياعم ، إنى رويت لك صوتا صنعته وأحببت أن تصححه لى . فضحك ثم قال : نعم يابنى حبا وكرامة ، لعله :

* كم أتى دون عهد أم جميله *

فقلت : نعم . قال : مل بنا إلى ها هنا ، فمال بى إلى دار السوق ثم قال : غنّه . فقلت : بل تتم إحسانك ياعم وتغنينى به فإنه أطيب لنفسى ، فإن سمعته كما أقول غنيته وأنا غير متهيب ، وإن كان فيه مستصلح استعدته . فضحك ثم قال : أنت لست تريد أن تصحح غناءك ، إنما تريد أن تقول سمعتنى وأنا شيخ وقد انقطعت وأنت شاب . فقلت للجماعة : إن رأيتم إن تسألوه أن يشفعنى فيم طلبت منه . فسألوه فاندفع فغناه ، فأعاده ثلاث مرات ، فما رأيت أحسن من غنائه على كبر سنه وتقصان صوته . ثم قال : غنّه ، فغنيته . فطرب الشيخ حتى بكى و قال : اذهب يا بنى فأنت أحسن الناس غناء ، ولئن عشت ليكونن لك شأن .

وكان بعد ذلك إذا رآنى يدعونى فيأخذنى معه إلى منزله ويسألنى أن أغنيه فأفعل ، فإذا طابت نفسه سألته أن يطرح علىّ شيئاً من أغانى القدماء ، فيفعل . إلى أن أخذت عنه عدة أصوات

بصبص

جارية ابن نفيس

كانت بصبص هذه جارية مولدة من مولدات المدينة ، حلوة الوجه حسنة الغناء، قد أخذت عن الطبقة الأولى من المغنين . وكان يحيي بن نفيس مولاها — وقيل : نفيس بن محمد ، والأول أصح — صاحب قيان يغشاه الأشراف ويسمعون غناء جواريه. وكانت بصبص هذه أنفسهن وأشدهن تقدما .

وكان مولاها صاحب قصر نفيس الذى يقول فيه الشاعر :

شاقنى الزائرات قصر نفيس مُثقلات الأعجاز قُب البطون

وذُكر أن المهدى اشتراها ، وهو ولى العهد سرًّا من أبيه ، بسبعة عشر ألف دينار . فولدت منه علية بنت المهدى . وذكر أن الذى صح أن المهدى اشترى بهذه الجملة جارية غيرها وولدت علية ، وأنها كانت مكنونة جارية المروانية .

واتعد محمد بن يحيي بن زيد بن على بن الحسين، وعبد الله بن يحيي بن عباد بن عبدالله بن الزبير، وعبد الله بن مصعب الزبيرى، وأبو بكر بن محمد بن عثمان الربعى، ويحيي بن عقبة أن يأتوا بصبص جارية ابن نفيس، فعجل محمد بن يحيي ، وكان من أصحاب عيسى بن موسى ، ليخرج إلى الكوفة . فقال عبد الله بن مصعب :

أرائحٌ أنت أبا جعفر من قبل أن تسمع مِن بَصبصا

هيهات أن تسمع منها إذا جاوزتِ العيس بك الأعوصا
فخذ عليها مجلسى لذة ومجلساً من قبل أن تشخصا
أحلف بالله يميناً ومن يحلف بالله فقد أخلصا
لو أنها تدعو إلى بيعة بايعتها ثم شققت العصا

وقيل كان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيها فيسمع منها ، وكان يأتيها فتيان قريش فيسمعون منها . فقال عبد الله بن مصعب حين قدم المنصور منصرفا من الحج ومر بالمدينة يذكر بصبص :

أراحل أنت أبا جعفر من قبل أن تسمع من بصبصا

(الأبيات)

فبلغت أبا جعفر ، فغضب فدعا به فقال : أما إنكم يا آل الزبير قديما ماقادتكم النساء وشققتم معهن العصا ، حتى صرت أنت آخر الحمق تبايع المغنيات. فدونكم يا آل الزبير وهذا المرتع الوخيم . ثم بلغ أبا جعفر بعد ذلك أن عبد الله بن مصعب قد اصطبح مع بصبص وهى تغنيه بشعره .

واجتمع ذات يوم عند بصبص عبد الله بن مصعب ومحمد بن عيسى الجعفرى فى أشراف من أهل المدينة ، فتذاكروا مزيدا المدينى صاحب النوادر وبخله . فقالت : بصبص : أنا آخذ لكم منه درهما . فقال لها مولاها : أنت حرة إن فعلت إن لم أشترلك مخنقة بمائة ألف دينار ، وإن لم أشترلك ثوب وشى بما شئت ، وأجعل لك مجلساً بالعقيق أنحر لك فيه بدنة لم تقتب ولم تركب . فقالت : جيء به وارفع عنى الغيرة . فقال : أنت حرة . فقال عبد الله بن معصب : فصليت الغداة فى مسجد المدينة فإذا أنا به ، فقلت : أبا إسحاق ، أما تحب أن ترى

بصبص ؟ فقال : امرأته الطلاق إن لم يكن الله ساخطاً علىّ فيها ، و إن لم أكن أسأله أن يرينيها منذ سنة فما يفعل . فقلت له : اليوم إذا صليت العصر فوافنى هاهنا . قال : امرأته الطلاق إن برحت من هاهنا حتى تجىء صلاة العصر . قال: فانصرفت فى حوائجى حتى كانت العصر ودخلت المسجد فوجدته فيه ، فأخذت بيده فأتيتهم به. فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا . فأقبلت بصبص على مزيد فقالت : أبا إسحاق ، كأن فى نفسك تشتهى أن أغنيك الساعة :

لقد حثُّوا الجمالَ ليه رُبوا منّا فلم يَئِلوا

فقال : زوجته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى اللوح المحفوظ . قال . فغنته ثم مكثت ساعة فقالت : أبا إسحاق ، كأن فى نفسك تشتهى أن تقوم من مجلسك فتجلس إلى جانبى فتقرصنى قرصات وأغنيك :

قالت وأبثثتها وجدى أبحتَ به قد كنتَ قِدْمًا تحت الستر فاستتر

ألست تبصر مَن حولى فقلت لها غطَّى هواكِ وما ألقىَ على بصرى

فقال : امرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام وما تكسب الأنفس غداً و بأى أرض تموت : فغنته ثم قالت : برح الخفاء ، أنا أعلم أنك تشتهى أن تقبلنى وأغنيك هزجا :

أنا أبصرتُ بالليل غلاماً حسنَ الدَّلِّ

كغصن البان قدأصبـ ـح مسقيًّا من الطلِّ

فقال : أنت نبية مرسلة . فقبلها وغنت . ثم قالت : أبا إسحاق ، أرأيت

أسقط من هؤلاء ، يدعونك و يخرجونى إليك ولا يشترون ريحاناً بدرهم ! أى أبا إسحاق، هلم درهما نشترى به ريحاناً . فوثب وصاح : واحر باه ، انقطع والله عنك الوحى الذى كان يوحى إليك. وعطعط القوم بها وعلموا أن حيلتها لم تنفذ عليه . ثم خرج فلم يعد إليها . وعاود القوم مجلسهم فكان أكثر شغلهم فيه حديث مزيد معها والضحك منه .

ولابن أبى الزوائد فى بصبص :

بصبص أنت الشمس مزدانةٌ ... فإن تبدّلتِ فأنتِ الهلال

سبحانك اللهم ما هكذا ... فيما قضى كان يكون الجمال

إذا دعتْ بالعود فى مَشهد ... وعاونت يمنى يديها الشمال

غنت غناء يستفزّ الفتى ... حذفاً وزان الحذق منها الدلال

ولعزيز بن طلحة يهجو مولاها :

ياويح بصبص من حىّ لقد رُزقت ... وجهاً قبيحا وأنفاً من جعاميس

يمج من فيه فى فيها إذا هجعت ... ريقاً خبيثاً كأرواح الكرابيس

وهوى محمد بن عيسى الجعفرى بصبص جارية، فهام بها وطال ذلك عليه ، فقال لصديق له : لقد شغلننى هذه عن صفتى وكل أمرى ، وقد وجدت مسّ السلو ، فاذهب بنا حتى أكاشفها بذلك فأستريح .فأتياها . فلما غنت لهما، قال لها محمد بن عيسى ، أتغنين :

وكنت أحبكم فسلوت عنكم ... عليكم فى دياركمُ السلامُ

فقالت : لا ، ولكنى أغنى :

تحمل أهلها عنها فبانوا على آثار من ذهب العفاءُ

فاستحيا وزاد بها كلفا ولها عشقا . فأطرق ساعة ثم قال : أتغنين :

وأخضع بالعتيب إذا كنت مذنباً وإن أذنبتُ كنت الذى أتنصّلُ

قالت : نعم ، وأغنى أحسن منه :

فان تقبلوا بالود نقبل بمثله وننزلكم منا بأقرب منزلِ

وحضر أبو السائب المخزومى مجلساً فيه بصيص فغنت :

قلبى حبيسٌ عليك موقوفُ والعينُ عبرى والدمعُ مدروفُ

والنفس فى حسرة بغُصّتها قد شفّ أرجاءها التساويفُ

إن كنت بالحس قد وصفتِ لنا فإننى بالهوى لموصوف

ياحسرتى حسرة أموت بها إن لم يكن لى لديك معروف

فطرب أبو السائب وقال : لا أعرف لله قدرة إن لم أعرف لك معروفك . ثم أخذ قناعها عن رأسها وجعل يلطم ويبكى ويقول لها : بأبى والله أنت ؛ إنى لأرجو أن تكونى عند الله أفضل من الشهداء لما توليناه من السرور . وجعل يصيح : واغوثاه بالله لما يلقى العاشقون .

وكان يوما فى مجلس ابن نفيس فتى يحب بصبص ، فسألته حاجة فقام ليأتيها بها ، فنسى أن يلبس نعله ومشى حافيا . فقالت : يافلان ، نسيت نعلك . فلبسها وقال : أنا والله كما قال الأول :

وحبك يُنسينى عن الشئ فى يدى ويشغلنى عن كل شيء أحاوله

فأجابته فقالت:

وبى مثل ما تشكوه منى وإننى لأشفق من حُب أراك تزاوله

بليلة

لما حجت جميلة خرجت معها من النساء المغنيات.

وقالت جميلة، لما حجت، لقرعة وبليلة ولذة العيش: هاتين. فغنين فاندفعن بصوت واحد:

لعمرى لئن كان الفؤاد من الهوى بغى سقما إنى إذاً لسقيمُ

على دماء البُدن إن كان حُبها على النأى فى طول الزمان يَريم

تُلم مُلماتٌ فينُسين بعدها ويُذكر منها العهدُ وهو قديم

فأُقسم ما صافيتُ بعدك خلةً ولا لك عندى فى الفؤاد قَسيم

قالت: أحسنتن، وهو لعمرى حسن.

بنان

جارية محمد بن حماد

قال الحسن بن وهب لبنان : غنينى :

أتأذنون لصبٍّ فى زيارتكم ... فعندكم شهوات السمع والبصرِ

لا يُضمر السوء إذ طال الجلوس به ... عفّ الضمير ولكن فاسق النظر

قال : فضحكت ثم قالت : فأى خير فيه إذ كان كذا، أو أى معنى ؟ فخجل الحسن من بادرتها عليه ، وعجب من كان حاضراً من حدة جوابها وفطنتها .

وجاء عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع إلى الحسن بن وهب ،وعنده بنان جارية محمد بن حماد وهى نائمة سكرى ، وهو يبكى عندها . فقال له : مالك؟ قال : قد كنت نائماً فجاءتنى فأنبهتنى وقالت : اجلس حتى تشرب ، فجلستُ . فو الله ما غنّتْ عشرة أصوات حتى نامت وما شربت إلا قليلا . فذكرت قول أشعر الناس وأظرفهم العباس بن الأحنف :

أبكى الذين أذاقونى مودّتهم ... حتى إذا أيقظونى للهوى رقدوا

فأنا أبكى وأنشد هذا البيت .

وقالت بنان : اتكأ المتوكل على يدى و يد فضل الشاعرة وجعل يمشى بيننا : ثم قال : أجيزا لى قول الشاعر :

تعلّمتُ أسبابَ الرضى خوفَ عَتْبها ... وعلّمها حُبى لها كيف تغضبُ

فقالت له فضل :

تصدّ وأدنو بالمودة جاهداً وتبعد عنى بالوصال وأقربُ

فقلت أنا :

وعندى لها العُتبى على كل حالة فما منه لى بُدٌّ ولا عنه مَذْهَبُ

بنان بن عمرو

التفت المنتصر إلى بنان بن عمرو ، وقال له : غن ، وكان العود فى يده :

غدرت ولم أغدر وخُنتُ ولم أخن ورمت بديلا بى ولم أتبدّل

فغناه بنان .

وقال بنان : غنيت يوما بين يدى المنتصر :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالَها

فقال لى : إياك وأن تغنى بحضرتى هذا الصوت وأشباهه ، فما أحب أن أغنى إلا فى أشعار آل أبى حفصة خاصة .

وكان المعتز على بستان مملوء من النمام ، وبين النمام شقائق النعمان ، فدخل عليه يونس بن بغاء وعليه قباء أخضر . فقال المعتز :

شبّهتُ حمرة خده فى ثوبه بشقائق النعمان فى النّمام

ثم قال :أجيزوا . فابتدر بنان ، وكان ربما عبث بالبيت بعد البيت ، فقال:

والقدّ منه إذا بدا فى قرطق كالغصن فى لين وحسن قوام

فقال له المعتز : فغن فيه الآن . فعمل فيه لحنا .

وكان قد ابتدأ مابين سعيد بن حميد وبين فضل الشاعرة أن يتشعب ، وقد بلغه ميلها إلى بنان ، وهو بين المصدق والمكذب بذلك . فأقبل على صديق له فقال : أصبحت والله من أمر فضل فى غرور ، أخدع نفسى بتكذيب العيان .

وبويع للمعتز بالخلافة وله سبع عشرة سنة كاملة وأشهر . فلما انقضت البيعة قال :

توحّدك الرحمن بالعز والعلا فأصبحت فوق العالمينا أميرا

قال أبو الفرج: هكذا ذكر الصولى فى قافية الشعر . ووجدته فى أغانى بنان مرفوع القافية وله فيه صنعة . ولعل المعتز قال البيت فأضاف بنان إليه آخر وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتز فقال :

توحدك الرحمن بالعز والعلا فأنت على كل الأنام أميرُ

تقاتل عنك الترك والخزر كلها كأنهمُ أسد لهن زئير

وكان المنتصر طرد مروان الأصغر وأخرجه عن جلسائه فقال أبياتا، وسأل بنان بن عمرو، فغنى فيها المنتصر ليستعطفه .

البيذق الأنصارى

كان يعرف حبابة و يدخل عليها بالحجاز . فلما صارت إلى يزيد بن عبدالملك وارتفع أمرها عنده ، خرج إليها يتعرض لمعروفها و يستميحها . فذكرته ليزيد وأخبرته بحسن صوته . فدعاه يزيد ليلة . فدخل عليه وهو على فرش مشرفة قد ذهب فيها إلى قريب من ثدييه ، وإذا حبابة على فرش أخرى مرتفعة وهى دونه . وقالت حبابة : يا أمير المؤمنين ، هذا أبى ، وأشارت اليه بالجلوس ، فجلس . وقالت له حبابة : اقرأ يا أبة . فقرأ . ثم قالت : إيه يا أبة حدث أمير المؤمنين . وأشارت إليه أن غنه . فاندفع فى صوت ابن سريج :

من لصبٍّ مصيد هائم القلب مقصد

فطرب يزيد وحذفه بمدهن فيه فصوص من ياقوت و زبرجد .

ابن جامع

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبى معاعة ابن صبيرة بن سعد بن سهم بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب .

ومات صبيرة السهمى وله مائة سنة ولم يظهر فى لحيته ولا رأسه شيب فقال بعض شعراء قريش يرثيه :

حجاج بيت الله إن صبُ يرة السهمى ماتا
سبقت منيته المشيـ ب وكان ميتته افتلاتا
فتزو والا تهلكوا من دونكم أهلكم خفاتا

وأُسر أبو وداعة كافراً يوم بدر ففداه ابن المطلب . وكان المطلب رجل صدق . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم الحديث .

ويكنى ابن جامع أبا القاسم . وأمه امرأة من بنى سلمة . وتزوجت بعد أبيه رجلا من أهل اليمن .

وحدث عون ، صاحب معن بن زائدة قال : رأيت أم ابن جامع وابن جامع معها عند معن بن زائدة وهو ضعيف يتبعها ويطأ ذيلها ، وكانت من قريش ، ومعن يومئذ على اليمن . فقالت : أصلح الله الأمير ، إن عمى زوّجنى زوجا ليس بكفء ، ففرق بينى وبينه . قال : من هو ؟ قالت : ابن ذى مناجب . قال : علىّ به . قال : فدخل أقبح من خلق الله وأشوهه خلقا . فقال : من هذه منك ؟ قال : امرأتى . قال : خل سبيلها . ففعل . فأطرق معن ساعة ثم رفع رأسه فقال :

لعمرى لقد أصبحت غير محبَّب ولا حسن فى عينها ذا مناجبِ

فما لمتها لما تبيّنت وجهه وعينا له خوصاء من تحت حاجب

وأنفاً كأنف البكر يقطر دائبا على لحية عصلاء شابت وشارب

أتيتَ بها مثل المهاة تسوقها فيا حُسن مجلوب ويا قُبح جالب

وأمر لها بمائتى دينار وقال لها : تجهزى بها إلى بلادك .

وسأل الرشيد ابنَ جامع يوما عن نسبه وقال له : أىّ بنى الإنس ولدك يا إسماعيل ؟ قال : لا أدرى ، ولكن سل ابن أخى ، يعنى إسحاق ، وكان يماظّ إبراهيم الموصلى ويميل إلى ابنه إسحاق . قال إسحاق : ثم التفت إلىّ ابن جامع فقال : أخبره يابن أخى بنسب عمك . فقال له الرشيد : قبحك الله شيخاً من قريش تجهل نسبك حتى يخبرك به غيرك ، وهو رجل من العجم .

وكان ابن جامع من أحفظ خلق الله لكتاب الله ، وأعملهم بما يحتاج إليه . كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلى الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس ، ولا يصلى الناس الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله .

وقدم ابن جامع قدمةً له من مكة على الرشيد . وكان ابن جامع حسن السمت كثير الصلاة قد أخذ السجود جبهته . وكان يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حماراً مريسيًّا فى زى أهل الحجاز . فبينما هو واقف على باب يحيي بن خالد يلتمس الإذن عنيه ، فوقف على ما كان يقف الناس عليه فى القديم حتى يأذن لهم أو يصرفهم ... أقبل أبو يوسف القاضى بأصحابه أهل القلانس . فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه . فوقعت عينه على ابن جامع ، فرأى سمته وحلاوة هيئته . فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال : أمتع الله بك ، توسمت فيك الحجازية والقرشية . قال : أصبت . قال : فمن أى قريش أنت ؟ قال : من بنى سَهم . قال : فأى الحرمين منزلك ؟ قال : مكة . قال : ومن لقيت من فقهائهم ؟ قال : سل عمن شئت . ففاتحه الفقه والحديث فوجد عنده ما أحب ، فأعجب به . ونظر الناس إليهما فقالوا : هذا القاضى قد أقبل على المغنى . وأبو يوسف لا يعلم أنه ابن جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه . ثم قالوا : لا ، لعله لا يعود إلى مرافقته بعد اليوم فلم نغمه ؟ فلما كان الإذن الثانى ليحيي ، غدا عليه الناس وغدا عليه أبو يوسف ، فنظر يطلب ابن جامع فرآه . فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويلا كما فعل فى المرة الأولى . فلما انصرف قال له بعض أصحابه : أيها القاضي ، أتعرف هذا الذى تواقف وتحادث ؟ قال : نعم ، رجل من قريش من أهل مكة من الفقهاء . قالوا : هذا ابن جامع المغنى . قال إنا لله . قال : إن الناس قد شهروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك . فلما

كان الإذن الثالث ، جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكّبه ، وعرف ابن جامع أنه قد أنذر به ، فجاء فوقف فسلّم عليه . فرد السلام عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذى كان يلقاه به ثم انحرف عنه ، فدنا منه ابن جامع ، وعرف الناس القصة . وكان ابن جامع جهيراً ، فرفع صوته ثم قال : يا أبا يوسف ، مالك تنحرف عنى ؟ أى شىء أنكرت ؟ قالوالك : ابن جامع المغنى فكرهت مواقفتى لذلك ! أسألك عن مسألة ثم اصنع ماشئت . ومال الناس فأقبلوا نحوهما يستمعون . فقال : يا أبا يوسف ، لو أن أعرابيّاً جلفا وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال:

يادار مَيّة بالعَلياء فالسَّنَدِ أقوتْ وطال عليها سالفُ الأمدِ

أكنت ترى بذلك بأساً ؟ قال ، لا . أقد روى عن النبي صلى الله عليه سلم فى الشعر قولٌ ورُوى فى الحديث . قال ابن جامع ، فإذا قلت أنا هكذا . ثم اندفع يتغنى حتى أتى عليه . ثم قال ، يا أبا يوسف ، رأيتنى زدت فيه أو نقصت منه ؟ قال ، عافاك الله ، اعفنا من ذلك . قال ، يا أبا يوسف ، أنت صاحب فُتيا ، ما زدتُه على أن حسّنته بألفاظى فحسن فى السمع ووصل إلى القلب ، ثم تنحّى عنه ابن جامع .

ومر ابن جامع بسفيان بن عُيينة يسحب الخزّ ، فقال لبعض أصحابه : أبلغنى أن هذا القرشى أصاب مالا من بعض الخلفاء ، فبأى شىء أصابه ؟ قالوا . بالغناء . قال : فمن منكم يذكر بعض ذلك . فأنشد بعض أصحابه مايغنى فيه :

وأصحب بالليل أهل الطوافِ وأرفعُ من مئزرى المُسْبلِ

قال : أحسن ، هيه . قال :

وأسجد بالليل حتى الصباح وأتلو من المُحكم المُنزل

قال : أحسن ، هيه . قال :

عسى فارجُ الكرب عن يوسف يُسخِّر لى ربة المحمل

قال : أمّا هذا فدعه .

وقال ابن جامع : لولا أن القمار وحب الكلاب قد شغلانى لتركت المغنين لا يأكلون الخبز .

وقال ابن جامع : أخذت من هارون ببيتين غنيته بهما عشرة آلاف دينار .

وخرج ابن أبى عمرو الغفارى وعبد الرحمن بن أبى قباحة وغيرهما من القرشيين عُمّارا يريدون مكة . فلما كانوا بفخ[1] نزلوا على البئر التى هناك ليغتسلوا فيها . فبينما هم يغتسلون إذ سمعوا صوت غناء . فقالوا : لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم . فأتوهم فإذا ابن جامع وأصحاب له يغنون وعندهم فضيخ لهم يشربون منه . فقالوا : تقدموا يافتيان . فتقدم ابن أبى عمرو فجلس مع القوم ، وكان رأسهم ، فجلسوا يشربون . وطرب ابن أبى قباحة فغنى . فقال ابن جامع : وأبابى وأمى ، ابن أبى قباحة وإلا فهو ابن الفاعلة . فقام ابن عمرو فأخرج من وسطه هميانا فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابن أبى قباحة . فقال ابن جامع : امضوا بنا إلى المنزل . فمضينا فأقمنا عنده شهراً ، مانبرح ونحن على إحرامنا ذلك .

وذكر برصوما الزامر إبراهيم الموصلى وابن جامع فقال : الموصلى بستان تجد فيه الحلو والحامض وطريًّا لم ينضج ، فتأكل منه من ذا وذا . وابن جامع زق عسل إن فتحت فمه خرج عسل حلو ، وإن خرقت جنبه خرج منه عسل حلو ، وإن فتحت يده خرج عسل حلو ، كله جيد .

وصاح الرشيد بالمغنين : من فيكم يعرف :

---

(١) فخ : واد بمكة

وكعبة نجران حتم علي ك حتى تُناخى بأبوابها

فجاء بشيء عجيب . فغضب ابن جامع وقال لزلزل : دع العود ، أنا من جحاش وجَرة لا أحتاج إلى بيطار . ثم غنى الصوت . فصاح اليه مسرور : أحسنت يا أبا القاسم، ثلاث مرات .

ولما مات المهدى وملك موسى الهادى أعطى الفضلُ بن الربيع الطرازَ ، وكان بريده ، دنانير وقال : الحق بمكة فأتنى بابن جامع واحمله فى قبة ولا تعلمن بذا أحداً . ففعل وأنزله عنده . فذكره موسى ذات ليلة ، وكان هو والحرانى منقطعين إلى موسى أيام المهدى ، فضربهما المهدى وطردهما ، فقال لجلسائه : أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع ، وقد علمتم موقعه منى . فقال له الفضل بن الربيع : هو والله عندى يا أمير المؤمنين ، وقد فعلت الذى أردت ، وبعث إليه فأتى به فى الليل . فوصل الفضل تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاّه حجابته .

وكان ابن جامع بارًّا بوالدته ، وكانت مقيمة بالمدينة وبمكة . فدعاه إبراهيم ابن المهدى وأظهر له كتابا إلى أمير المؤمنين فيه نعى والدته . فجزع لذلك جزعاً شديداً وجعل أصحابه يعزونه ويؤنسونه . ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طعم وشرب ، وسألوه الغناء فامتنع . فقال له إبراهيم بن المهدى : إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين فابذله لإخوانك . فاندفع يغنى :

كم بالدُّروب وأرض الروم من قَدم ومن جماجمَ صَرْعى ماهمُ قُبروا
بقُندهار ومَن تُقدر منيّته بقندهار يرجم دونه الخبر

وجعل إبراهيم يستردّه حتى صلح له . ثم قال : لا والله ما كان مما خبرناك شيء ، إنما مزحنا بك . قال : ثم قال له : رد الصوت . فغناه ، فلم يكن من الغناء الأول فى شيء .

وبلغ أم جعفر أن الرشيد جالس وحده ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين ، فأرسلت اليه : يا أمير المؤمنين ، إنى لم أرك منذ ثلاث وهذا اليوم الرابع . فأرسل اليها : عندى ابن جامع . فأرسلت اليه : أنت تعلم أنى لا أتهنأ بشراب ولا بسماع ولا غيرهما إلا أن تشركنى فيه ، فما كان عليك أن أشركك فى الذى أنت فيه . فأرسل اليها . إنى سائر اليك الساعة . ثم قام وأخذ بيد ابن جامع وقال لحسين الخادم : امض اليها فأعلمها أنى قد جئت . وأقبل الرشيد ، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله . فوجه إليها : إن معى ابن جامع . فعدلت إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيد ، وصيّر ابن جامع فى بعض المواضع التى يسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم . وجاءت أم جعفر فدخلت على الرشيد وأهوت على يده . فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها واعتنقته . ثم أمر ابن جامع أن يغنى فاندفع فغنى :

ما رعدت رعدةٌ ولا برقت ... ولكنها أنشأت لنا خلقه
الماء يجرى على نظام له ... لو يجد الماء مخرقاً خرقه
بتنا وباتت على نمارقها ... حتى بدا الصبحُ عينها أرقه
أن قيل إنّ الرحيل بعد غدٍ ... والدّار بعد الجميع مفترقه

فقالت أم جعفر للرشيد : ما أحسن ما اشتهيت والله يا أمير المؤمنين . ثم قالت لمسلم خادمها : ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائة ألف درهم . فقال الرشيد: غلبتنا يا بنت أبى الفضل، وسبقتنا إلى برّ ضيفنا وجليسنا . فلما خرج حمل اليها مكان كل درهم دينارا .

وقال ابن جامع : بينما أنا فى غرفة لى باليمن ، وأنا مشرف على مشرعة ، إذ

أقبلت أمة سرداء على ظهرها قربة فملأتها ووضعتها على المشرعة لتستريح ، وجلست فغنت :

فرُدِّى مصاب القلب أنت قتلته ولا تبعدى فيما تجشمت كلثما
إلى الله أشكو بُخلها وسماحتى لها عسلٌ منى وتبذل علقما
أبى الله أن أُمسى ولا تذكرينني وعيناك من ذكراك قد ذرفت دما
أبيتُ فما تنفك لى منك حاجةٌ رمى الله بالحب الذى كان أظلما

ثم أخذت قربتها لتمضى . فاستفزنى من شهوة الصوت مالا قوام لى به . فنزلت إليها فقلت لها : أعيديه . فقالت: أناعنك فى شغل بخراجى . قلت : وكم هو ؟ قالت : درهمان فى كل يوم . قلت : فهذان درهمان ورُدِّيه علىّ حتى آخذه منك. وأعطيتها درهمين. فقالت : أما الآن فنعم . فجلست فلم تبرح حتى أخذته منها . وانصرفت فلهوت يومى به . وأصبحت من غد لا أذكر منه حرفاً . فإذا أنابالسوداء قد طلعت ، ففعلت كفعلها بالأمس . فلما وضعت القربة تغنت غيره. فغدوت فى أثرها وقلت : يا جارية ، بحقى عليك ردى علىّ الصوت فقد ذهبت عنى منه نغمة . فقالت : لا والله ما مثلك تذهب عنه نغمة ، أنت تقيس أوله على آخره ، ولكنك قد أنسيته ، ولست أفعل إلا بدرهمين آخرين . فدفعتهما إليها ، وأعادته علىّ حتى أخذته ثانية . ثم قالت : إنك تستكثر فيه أربعة دراهم وكأنى بك أصبت به أربعة آلاف دينار . فكنت عند هارون يوما وهو على سريره فقال : من غنانى فأطربنى فله ألف دينار ، وقدامه أكياس فى كل كيس ألف دينار . فغنى القوم وغنيت ، فلم يطرب ، حتى دار الغناء إلىّ ثانية ، فغنيت صوت السوداء . فرمى إلى بكيس فيه ألف دينار . ثم قال : أعده . فغنيته . فرمى إلى بثان . ثم قال : أعده . فرمى إلى بثالث ، وأمسك . فضحكت . فقال :

ما يضحكك؟ فقلت: لهذا الصوت حديث عجيب يا أمير المؤمنين. فقال: وماهو؟ فحدثته به وقصصت عليه القصة، فرمى إلى برابع وقال: لاتكذب قولها.

جميلة

هى جميلة مولاة بنى سليم، ثم مولاة بطن منهم يقال لهم: بتو نهز. وكان لها زوج من موالى بنى الحارث بن الخزرج، وكانت تنزل فيهم فغلب عليهم عليها ولاء زوجها، فقيل إنها مولاة للأنصار تنزل بالسُّنح [1]، وهو الموضع الذى كان ينزله أبو بكر الصديق. وقيل إنها مولاة للحجاج بن علاط السلمى.

وهى أصل من أصول الغناء، وعنها أخذ معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيقية والشماسيتان: خليدة و ربيحة. وفيها يقول عبد الرحمن بن أرطاة:

إنّ الدلالَ وحسنَ الغنا ... ء وَسْطَ بيوت بنى الخزرج

وتلكم جميلة زينُ النساء ... إذا هى تزدان لِلمَخرج

إذا جئتَها بذلتْ وُدها ... بوَجهٍ مُنير لها أبلج

وكانت جميلة أعلم خلق الله بالغناء. وكان معبد يقول: أصل الغناء جميلة وفرعه نحن، ولولا جميلة لم نكن مغنين.

وسئلت جميلة: أنى لك هذا الغناء؟ قالت: والله ما هو إلهام ولا تعليم، ولكن أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنت أسمعه يغنى و يضرب بالعود فلا أفهمه. فأخذت تلك النغمات فبنيت عليها غنائى. فجاءت أجود من تأليف ذلك

---

(١) السنح بالضم: احدى محال المدينة، كان بها منزل أبي بكر رضى الله عنه

الغناء ، فعلمت وألقيت . فسمعنى مولياتى يوم وأنا أغنى سرًّا ، ففهمننى ودخلن علىّ وقلن : قد علمنا ما تكتمينا ، فأقسمن علىّ . فرفعت صوتى وغنيتهن بشعر زهير بن أبى سلمى :

وما ذكرتك إلا هجت لى طرباً إنّ المحب ببعض الأمر معذورُ

ليس المحب كمن إن شطّ غيّره هجرُ الحبيب وفى الهجران تغيير

فحينئذ ظهر أمرى وشاع ذكرى . فقصدنى الناس وجلست للتعليم . فكان الجوارى يتكادسننى . فربما انصرف أكثرهن ولم يأخذن شيئاً سوى ما سمعننى أطارح لغيرهن . ولقد كسبتُ لموالىّ ما لم يخطر لهن ببال ، وأهل ذلك كانوا وكنت .

وكانت جميلة ممن لا يشك فى فضيلتها فى الغناء . ولم يدّع أحدٌ مقاربتها فى ذلك . وكل مدنى ومكى يشهد لها بالفضل .

وقال أبو عباد : أتيت جميلة يوما ، وكان لى موعد ظننت أنى سبقت الناس اليها ، فإذا مجلسها غاص . فسألتها أن تعلمنى شيئاً . فقالت لى : إن غيرك قد سبقك ولا يجمل تقديمك على من سواك . فقلت : جعلت فداك ، إلى متى تفرغين ممن سبقنى ؟ فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر ، وإنه لأول يوم رأيته وآخره ، وكنت صغيراً كيساً ، وكانت جميلة شديدة الفرح ، فقامت وقام الناس ، فتلقته وقبلت رجليه ويديه ، وجلس فى صدر المجلس على كوم لها ، وتحوق أصحابه حوله ، وأشارت إلى من عندها بالانصراف . وتفرق الناس ، وغمزتنى ألا أبرح ، فأقمت . وقالت : ياسيدى وسيد آبائى وموالى ، كيف

نشطت إلى أن تنقل قدميك إلى أمتك ؟ قال : يا جميلة ، قد علمتُ ما آليتِ على نفسك ألا نغنى أحداً إلا فى منزلك ، وأحببت الاستماع ، وكان ذلك طريقاً مادًّا فسيحا . قالت : جعلت فداك ، فأنا أصير إليك وأكفر . قال: لا أكلفك ذلك ، و بلغنى أنك تغنين بيتين لأمرىء القيس تجيدين الغناء فيهما ، وكان الله أنقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت: ياسيدى ، نعم . فاندفعت تغنى، فغنت بعودها . فما سمع منها قبل ذلك ولا بعد إلى أن ماتت مثل ذلك الغناء . فسبح عبد الله بن جعفر والقوم معه ، وهما :

ولما رأت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائصها دامى

تَيمّمت العين التى عند ضارج يضىء عليها الظل عرمضها طامى (١)

وأتى ابن أبى عتيق وابن أبى ربيعة والأحوص بن محمد الأنصارى منزل جميلة ، فاستأذنوا عليها . فأذنت لهم جميعاً . فلما جلسوا سألت عمر وأحفت . فقال لها عمر : إنى قصدتك من مكة للسلام عليك . فقالت له : أهل الفضل أنت . قال : فقد أحببت أن تفرغى لنا نفسك اليوم وتخلى لنا مجلسك . قالت : أفعل . قال لها الأحوص : أحب ألا تغنى إلا ما أسألك . قالت : ليس المجلس

---

(١) أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبى صلى الله عليه وسلم فأضلوا الطريق ووقعوا على غيرها ثلاثا لا يقدرون على الماء وجعل الرجل منهم يستدرىء بقىء السمر والطلح يائسا من الحياة ، إذ أقبل راكب على بعير له ، وأنشد بعض القوم هذين البيتين . فقال الراكب من يقول هذا ؟ قالوا : امرؤ القيس . قال : ما كذبت ، هذا والله خارج عندكم وأشار لهم اليه . فحبوا على الركب . فاذا ماء عذب وإذا عليه العروش والظل يفىء عليه فشربوا منه وحملوا منه ما اكتفوا به حتى يلقوا النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه وانشدوه الشعر ،

لك والقوم شركاؤك فيه . قال : أجل . قال عمر : إن ترد أن تفعل ذلك بك يكن . قال الأحوص : كلا . قال عمر : فإنى أرى أن نجعل الخيار إليها . قال ابن أبى عتيق : وفقك الله . فدعت بالعود وغنت :

تمشى الهُوينى إذا مشتْ فضلا مشى النزيف المخمور فى الصعد
تظل من زور بيت جارتها واضعةً كفّها على الكبد

فسمع للبيت زلزله وللدار همهمة . فقال عمر : لله درك يا جميلة ، ماذا أعطيت ، أنت أول الغناء وآخره . ثم سكتت ساعة وأخذوا فى الحديث . ثم أخذت العود وغنت :

شطّت سُعاد وأمسى البين قد أفدا وأورثوك سقاماً يَصدع الكبدا
لا أستطيع لها هجراً ولا برة ولا تزال أحاديثى بها جُددا

فاستخف القوم أجمعين وصفقوا بأيديهم وفحصوا بأرجلهم وحركوا رءوسهم وقالوا : نحن فداؤك من السوء ووقاؤك من المكروه ، ما أحسن ماغنيت وأجمل ما قلت . ثم أحضر الغداء فتغدى القوم ، ثم دعت بأنواع الأشربة ، فشرب القوم أجمعون ، فغنت صوتا بشعر لعمر :

ولقد قالت لجارات لها كلمها يلعبنَ فى حجرتها
خذن عنىَ الظلُ لايتبعنى ومضت تسعى إلى قبتها
لم تعانقْ رجلاً فيما مضى طفلة غيداء فى حلتها
لم يطش قط لها سهم ومن ترمه لاينج من رميتها

فصاح عمر : ويلاه : ثلاثا . ثم عمد إلى جيب قميصه فشقه إلى أسفله فصار

قباء . ثم آب إليه عقله فندم واعتذر . وانصرف القوم . ووجه عمر إلى جميلة بعشرة آلاف درهم و بعشرة أثواب كانت معه، فقبلتها جميلة .

وحجت جميلة فخرج معها من المغنين مشيعين حتى وافوا مكة و رجعوا معها، من الرجال المشهورين الحذاق بالغناء : هيت وطويس والدلال و برد الفؤاد ونومة الضحى وفند و رحمة وهبة الله ، هؤلاء مشايخ وكلهم طيب الغناء ، ومعبد ومالك وابن عائشة ونافع بن طنبورة و بديح المليح ونافع الخير . ومن النساء المغنيات : الفرهة عزة الميلاد وحبابة وسلامة وخليدة وعتيلة والشماسية وقرعة و بلبلة ولذة العيش وسعيدة والزرقاء ، ومن غير المغنين : ابن أبي عتيق والأحوص وكثير عزة ونصيب وجماعة من الأشراف وكذلك من النساء ، من مواليها وغيرهم.

وقيل فيما قال أهل المدينة : إنهم ما رأوا مثل ذلك الجمع سفراً طيباً وحسناً وملاحة .

ولما قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسجح وابن سريج والغريض وابن محرز والهذليون وجماعة من المغنين من أهل مكة وقيان كثيرة . ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وجماعة من الأشراف وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم .

فلما قضت حجها سألها المكيون أن تجعل لهم مجلسا ، فقالت : للغناء أم للحديث ؟ قالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخلط جدا بهزل. وأبت أن تجلس للغناء .

وقال عمر بن أبي ربيعة : أقسمت على من كان في قلبه حب لاستماع غنائها

إلاّ خرج معها إلى المدينة فإنى خارج . فخرجت فى جمع أكثر من جمعها بالمدينة. فلما قدمت المدينة تلقاها أهلها وأشرافهم من الرجال والنساء . فدخلت أحسن مما خرجت به منها .

وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دورهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها . فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ونزل أهل مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلمين ، وما استنكف من ذلك كبير ولا صغير . فلما مضى لمقدمها عشرة أيام جلست للغناء .

جوانويه

قال إبراهيم الموصلى : وصف لى رجل بالأبلة يقال له : جوانويه ، كان حاذقا فخرجت إليه .

وقال : لما أتيت جوانويه لم أصادفه فى منزله ، فانتظرته حتى جاء . فلما رآنى احتشمنى ، وكان مجوسيا . فأخبرته بصناعتى والحال التى قصدته فيها . فرحب بى وأفرد لى جناحاً فى داره .

جـــوهر

جارية بربر

كان مطيع بن إياس يشبب بها وله فيها :

يا بأبى وجهك من بينهم فانه أحسن ما أبصر

يا بأبى وجهك من رائع يشبهه البدر إذا يزهر
جاريةٌ أحسن من حليها والحلى فيه الدرُّ والجوهر
وجرمها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر
جاءت بها بربر مكنونةً ياحبذا ما جلبت بربر
كأن ريقتها قهوةٌ صُبَّ عليها بارد أسمر

وبيعت جوهر ، فاشترتها امرأة هاشمية من ولد سليمان بن علي ، كانت تغنى بالبصرة وأخرجتها ، فقال مطيع فيها :

لا تبعدى يا جوهر عنّا وإن شطّ المزار
ويلى لقد بعدت ديا رك سلمت تلك الديار
يشفى بريقتها السّقام كأن ريقها العُقار
بيضاء واضحة الجبين كأن غرتها نهار
القلب قلبى وهو عند الهاشمية مستعار

وله فيها لما بيعت :

صاح غرابُ البين باليين فكدتُ أنقدُّ بنصفين
قد صار لى خدنين من بعدهم همٌّ وغمٌّ شرُّ خدنين
أفدى التى لم ألق من بعدها إنساً وكانت قرة العين

وحدث صباح بن خاقان قال : دخلت علينا جوهر المغنية جارية بربر ، وكانت محسنة جميلة ظريفة ، وعندنا مطيع بن إياس ، وهو يلعب بالشطرنج ، وأقبل عليها بنظره وحديثه ثم قال :

ولقد قلتُ معلناً لسعيد وجعفر
إن أتتنى منيتى فدمى عند بربر
قتلتنى بمنعها من وصال جوهر

واجتمع حماد الراوية ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحكم الوادى يوما على شراب لهم فى بستان بالكوفة ، وذلك فى زمن الربيع ، ودعوا جوهر المغنية ، وهى التى يقول فيها مطيع :

أنت يا جوهر عندى جوهره فى قياس الدرر المشتهره

فشربوا تحت كرم معروش حتى سكروا ، فقال مطيع فى ذلك :

خرجنا نمتطى الزّهرا ونجعل سقفنا الشجرا
ونشربها معتقة تخال بكأسها شررا
وجوهر عندنا تحكى بدارة وجهها القمرا
يزيدك وجهها حُسنا إذا مازدته نظرا
وجوهر قد رأيناها فلم نَرَ مثلها بشرا

فلم يزالوا يشربون عليه بقية يومهم .

وجاء يوما مطيع فاحتجبت عنه ، فسأل عن خبرها فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له : ابن الصحاف يهواها متخلٍّ معها ، فقال مطيع يهجوها :

نال والله جوهرَ الصحاف وعليها قميصها الأفواف

وكان حماد عجرد يحبها ويجن بها وفيها يقول :

إنى لأهوى جوهرا ويُحب قلبى قلبها
وأحب من حبى لها مَن ودّها وأحبها

وأحب جارية لها تخفى وتكتم ذنبها

وله فيها :

إنى أحبك فاعلمى إن لم تكونى تعلمينا
حُبًّا أقلُّ قليله كجميع حُب العالمينا

حبابة

كانت حبابة مولدة من مولدات المدينة ، لرجل من أهلها يعرف بابن رمانة ، وقيل ابن مينا ، وهو خرجها وأدبها : وقيل بل كانت لآل لاحق المكيين .

وكانت حلوة جميلة الوجه ظريفة حسنة الغناء طيبة الصوت ضاربة بالعود . وأخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز ومالك ومعبد ، وعن جميلة وعزة الميلاء .

وكانت تسمى العالية ، فسماها يزيد لما اشتراها حبابة .

وأدخلت حبابة على يزيد بن عبد الملك فى إزار له ذنبان و بيدها دف ترمى به وتتلقاه وتتغنى :

ما أحسن الجيدَ من مُلَيلة والّلبات إذ زانها ترائبُها
يا ليتنى ليلةً إذا هجع النا س ونام الكلابُ صاحبها
فى ليلة لا يُرى بها أحدٌ يسعى علينا إلا كواكبُها

ثم خرج بها مولاها إلى إفريقية . فلما كان بعد ما ولى يزيد اشتراها .

وقال يزيد بن عبد الملك : ما تقر عينى بما أوتيت من الخلافة حتى أشترى سلامة جارية مصعب بن سهل الزهرى وحبابة . فأرسل فاشتُريتا له . فلما اجتمعنا عنده قال : أنا الآن كما قال القائل :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

وعن شيخ من أهل ذى خُشُب[1] قال : خرجنا نريد ذا خشب ونحن مشاة ، فإذا قبة فيها جارية وإذا هى تغنى :

سلكوا بطن مَخيض ثم ولّوا راجعينا[2]

أورثونى حين ولوا طول حزن وأنينا

فخرج رجل معها فسألناه ، وإذا هى حبابة . فلما صارت إلى يزيد أخبرته بنا . فكتب إلى والى المدينة أن يعطى كل واحد منا ألف ألف درهم .

ولما اشتراها وأراد الخروج بها قال الحارث بن خالد فيها :

قد سل جسمى وقد أودى به سقم من أجل حىّ خلوا عن بلدة الحرم

يحن قلبى إليها حين أذكرها وما تذكرت شوقاً آب من أمم

إلا حنيناً إليها أنها رشأ كالشمس رُود ثقال سهلة الشّيم

فضّلها الله رب الناس إذ خلقت على النساء من اهل الحزم والكرم

وقال فيها الشعراء فأكثروا ، وغنى فى أشعارهم المغنون من أهل مكة والمدينة . وبلغ ذلك يزيد فاستشنعه فقال : هذا قبل رحلتنا وقد همنا ، فكيف لو ارتحلنا وتذكر القوم شدة الفراق .

ولما ارتفعت منزلة حبابة عند يزيد أقبل يوما إلى البيت الذى هو فيه فقام من وراء الستر فسمعها ترنم وتغنى وتقول :

كان لى يا يزيدُ حُبك حيناً كاد يقضى علىّ لما التقينا

---

(١) ذو خشب : واد على سيرة ليلة من المدينة .

(٢) مخيض : فى طريق البتراء .

فرفع الستر فوجدها مضطجعة مقبلة على الجدار ، فعلم أنها لم تعلم به ولم يكن ذاك لمكانه . فألقى نفسه عليها وحركت منه .

وأقبل مسلمة على يزيد يلومه فى الإلحاح على الغناء والشرب وقال له : إنك وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله ، وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر فى الأمور والوفود ببابك ، وأصحاب الظلامات يصيحون وأنت غافل عنهم . فقال: صدقت والله ، وأعتبه وهمّ بترك الشرب ، ولم يدخل على حبابة أياما . فدست حبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتا فى ذلك ، وقالت له : إن رددته عن رأيه فلك ألف دينار . فدخل الأحوص إلى يزيد فاستأذنه فى الإنشاد . فأذن له . فقال الأحوص :

ألا لا تلُمه اليومَ أن يتبلّدا ... فقد غلب المحزون أن يتجلّدا
بكيتُ الصبا جهدى فمن شاء لامنى ... ومن شاء آسى فى البكاء وأسعدا
وإنى وإن فنّدت فى طلب الغنى ... لأعلم أنى لستُ فى الحب أوحدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فكن حجراً من يابس الصخر جامدا
فما العيش إلا ما تلذ وتشتهى ... وإن لام فيه ذو الشنان وفندا (١)

وسكت جمعة لا يرى حبابة ولا يدعو بها . فلما كان يوم الجمعة قالت لبعض جواريها : إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلمينى . فلما أراد الخروج أعلمتها . فتلقته والعود فى يدها . فغنت البيت الأول . فغطى وجهه وقال : مه ، لاتفعلى . ثم غنت :

* وما العيش إلا ما تلذ وتشتهى *

فعدل إليها وقال : صدقت والله . فقبح الله من لا منى فيك . ياغلام ،

---

(١) الشنان ، بالضم : لغة فى الشنآن ، بمعنى البغض والكراهية .

مُرْ مسلمة أن يصلى بالناس . وأقام معها يشرب وتغنيه ، وعاد إلى حبابة .

ولما غلب يزيدُ بن عبد الملك أهله وأبى أن يسمع منهم ، كلموا مولى له خراسانيا ذا قدر عندهم ، وكانت فيه لسكنة ، فأقبل على يزيد يعظه وينهاه عما قد ألح عليه من السماع للغناء والشراب . فقال له يزيد : فإنى أحضرك هذا الأمر الذى تنهى عنه ، فإن نهيتنى بعد ما تبلوه وتحضره انتهيت ، وإنى مخبر جوارى أنك عم من عمومتى ، فإياك أن تتكلم فيعلمن أنى كاذب وأنك لست بعمى . ثم أدخله عليهن فغنين والشيخ يسمع لا يقول شيئاً ، حتى غنين :

وقد كنت آتيكم بعلّة غيركم فأفنيت علاتى فكيف أقول

فطرب الشيخ وقال : لا ، قيف ؟ جعلنى الله فداكن — يريد : لا ، كيف — فعلمن أنه ليس عمه ، وقمن إليه بعيدانهن ليضربنه بها حتى حجزهن يزيد عنه . ثم قال بعد ما مضى أمرهن : ما تقول الآن : أدع هذا أم لا ؟ قال : لا تدعه .

وكانت حبابة فائقة فى الجمال والحسن ، وكان يزيد لها عاشقا . فقال لها يوما : قد استخلفتك على ما ورد علىّ ونصبتُ لذلك مولاى فلانا واستخلفيه لأقيم معك أياما وأستمتع بك . قالت : فإنى قد عزلته . فغضب عليها وقال : قد استعملته وتعزلينه ! وخرج من عندها مغضبا . فلما ارتفع النهار وطال عليه هجرها دعا خصيّا له وقال : انطلق فانظر أى شىء تصنع حبابة . فانطلق الخادم ثم أتاه فقال: رأيتها بإزار قد جعلت له ذنبين وهى تلعب بلعبها . فقال : ويحك ! احتل لها حتى تمر بها علىّ . فانطلق الخادم إليها فلاعبها ساعة ثم استلب لعبة من لعبها وخرج ، فجعلت تحضر فى إثره فمرت بيزيد . فوثب وهو يقول : قد عزلته . وهى تقول : قد استعملته . فعزل مولاه وولاه وهو لا يدرى . فمكث

معها خالياً أياما حتى دخل عليه أخوه مسلمة فلامه وقال : ضيعت واحتجبت عنهم ، أترى هذا مستقيما لك ؟ وهى تسمع مقالته . فغنت لما خرج :

* ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا *

فذكرت الأبيات . فطرب وقال : قاتلك الله! أبيت إلا أن تردينى إليك . وعاد إلى ما كان عليه .

وكانت سلامة المتقدمة فى الغناء ، وكانت حبابة تنظر إليها بتلك العين . فلما حظيت عند يزيد ترفعت عليها . فقالت لها سلامة : ويحك! أين تأدبك الغناء وحق التعليم ؟ أنسيت قول جميلة لك : خذى أحكام ما أطارحك بها إياه من سلامة ؟ قلن تزالى بخير ما بقيت لك وكان أمركما مؤتلفا . قالت : صدقت يا خليلتى ، والله ما أعود إلى شىء تكرهينه . فما عادت إلى مكروه . وماتت حبابة وعاشت سلامة بعدها دهراً .

ورأى يزيد يوما حبابة جالسة فقال : مالك ؟ فقالت : أنتظر سلامة . قال : أتحبين أن أهبها لك ؟ قالت : لا والله . ما أحب أن تهب لى أختى .

وكانت حبابة إذا غنت وطرب يزيد قال لها : أطير . فتقول له : فإلى من تدع الناس ؟ فيقول : إليك .

وغنت حبابة يزيد صوتا لابن سريج وهو قوله :

ما أحسن الجيد من مليكة والـ ـسلبات زانها ترائبها

فطرب يزيد وقال : هل رأيت أحدا أطرب منى ؟ قالت : نعم ، ابن الطيار معاوية بن عبد الله بن جعفر . فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضحاك . فحمل إليه . فلما قدم أرسلت إليه حبابة : إنما بعث إليك لكذا وكذا ، وأخبرته ، فإذا دخلت عليه فلا تظهرن طربا حتى أغنيه الصوت الذى غنيته . فقال :

سوأة على كبر سنى. فدعا به يزيد وهو على طنفسة خز ووضع لمعاوية مثلها . فجاءوا بجامين فيهما مسك . فوضعت إحداهما بين يدى يزيد والأخرى بين يدى معاوية . فقال : فلم أدر كيف أصنع . فقلت : أنظر كيف يصنع فأصنع مثله . فكان يقلبه فيفوح ريحه ، وأفعل مثل ذلك . فدعا بحبابة فغنت . فلما غنت ذلك الصوت ، أخذ معاوية الوسادة وقام يدور وينادى : الدُّخْن بالنوى . يعنى اللوبيا . قال : فأمر له بصلات عدة كان مبلغها ثمانية آلاف دينار .

ونزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأس[1] بالشام ومعه حبابة . فقال : زعموا أنه لا تصفو لأحد عيشة يوما إلى الليل إلا يكدرها شىء عليه، وسأجرب ذلك . ثم قال لمن معه : إذا كان غد فلا تخبرونى بشىء ولا تأتونى بكتاب . وخلا هو وحبابة ، فأتيا بما يأكلان . فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت . فأقام لا يدفنها ثلاثا حتى تغيرت وأنتنت وهو يشمها ويرشفها . فعاتبه على ذلك ذوو قرابته وصديقه وعابوا عليه ما يصنع وقالوا : قد صارت جيفة بين يديك . حتى أذن لهم فى غسلها ودفنها . فأمر فأخرجت فى نطع . وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها . فلما دفنت قال : أصبحت والله كما قال كثير :

فإن يسهل عنك القلب أو يدع الصبا فباليأس نسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل راءنى فهو قائل من اجلك: هذا هامة اليوم أو غد

فما أقام إلا خمس عشرة ليلة حتى دفن إلى جنبها .

وجزع عليها يوما فقال : انبشوها حتى أنظر إليها . فقيل : تصير حديثاً . فرجع فلم ينبشها .

---

(١) بيت رأس : اسم لقريتين فى كل واحدة منهما كروم كثيرة ، ينسب إليها الخمر . أحدهما ببيت المقدس والاخر من نواحى حلب . وظاهر أن المراد الثانية

وضم يزيد جُويرية لها كانت تخدمها إليه ، فكانت تحدثه وتؤنسه ، فبينا هو يوما يدور فى قصره قال لها : هذا الموضع الذى كنا فيه . فتمثلت :

كفى حزنا للهائم الصبِّ أن يرى منازل من يهوى معطَّلة قفرى

فبكى حتى كاد يموت . ثم لم تزل تلك الجويرة معه يتذكر بها حبابة حتى مات .

حجاج

غلام محمد بن مشفوف

كان فحلا حسن الوجه رومىّ الغناء .

حسين بن محرز المدينى

قال الرشيد لبرصوما الزامر ، وكانت فيه لكنة : ماتقول فى حسين بن محرز ؟ قال : ماأهسن خظامه . يريد : ما أحسن خضابه .

وقال إسحاق الموصلى فى سليم بن سلام : سليم بن سلام على برد خلقه أحر غناء من حسين بن محرز .

وقال حسين : دخلت يوما على المأمون فى يوم نوبتى وهو ينشد :

فما أقصر اسم الحب ياويح ذى الحبّ وأعظم بلواه على العاشق الصَّبّ

يمر به لفظُ اللسان مشمِّراً ويغرق من ساقاه فى لجج الكرب

فلما بصر بى قال : تعالى يا حسين . فجئت . فأنشدنى البيتين ثم أعادهما على حتى حفظتهما . ثم قال : اصنع فيهما لحناً فإن أجدت سررتك . فخلوت

وصنعت فيهما لحنى المشهور ، وعدت فغنيته إياه . فقال : أحسنت . وشرب عليه بقية يومه . وأمر لى بألف دينار .

ولما قفل الحارث بن بسخنر من الأهواز مر بالمدائن . فلقيه الحسين ابن محرز فغناه :

قد علم الله علا عرشهُ أنى إلى الحارث مشتاقُ

فقال له: دعنى من شوقك إلىّ وسلنى حاجة فإنى مبادر . فقال له : علىّ دين مائة ألف درهم . فقال : هى علىّ ، وأمر له بها .

أبو حشيشة الطنبورى

كان الواثق يعجبه غناء أبى حشيشة الطنبورى . فوجد المسدود من ذلك ، فكان يبلغه عنه ما يكره ويجاوز . وكان المسدود هجاه ببيتين ، فكانا معه فى رقعة ، وفى رقعة أخرى حاجة له يريد أن يدفعها إلى الواثق . فغلط بين الرقعتين ، فناوله رقعة الشعر وهو يرى أنها رقعة الحاجة . فقرأها وفيها :

من المسدود فى الأنف إلى المسدود فى العين

أنا طبل له شق فيا طبلا بشقين

فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه . فقال للمسدود : غلطت فى الرقعتين فهات الأخرى وخذ هذه واحترز من مثل ذلك . والله ما زاد على هذا القول ، ولم يكن فى الخلفاء أحد أحلم منه ، ولا أصبر على أذى وخلاف .

وكان أبو حشيشة يعظم عبيدة الطنبورية ويعترف لها بالرياسة والأستاذية .

ابن أبى حشيشة الطنبورى

رب وعد منك لا أنساه لى أوجب الشكر وإن لم تفعل
أقطع الدهر بظن حسن وأجلِّى غمرةً ما تنجلى
كلما أملت يوما صالحا عرض المكروه لى فى أملى
وأرى الأيام لا تدنى الذى أرتجى منك وتدنى أجلى

الشعر لمحمد بن أمية . والغناء لابن أبى حشيشة رمل طنبورى .

حكم الوادى أبو يحيى

هو الحكم بن ميمون ، مولى الوليد بن عبد الملك ، وكان أبوه حلافا يحلق رأس الوليد ، فاشتراه فأعتقه ، وقيل هو الحكم بن يحيى بن ميمون . وكان أصله من الفرس .

وكان حكم طويلا أحول أجنأ يخضب بالحناء ، يكرى الجمال ينقل عليها الزيت من الشام إلى المدينة . وكان واحد دهره فى الحذق . وكان ينقر بالدف ويغنى مرتجلا .

وعمر عمراً طويلا ، غنى الوليد بن عبد الملك وغنى الرشيد ، ومات فى الشطر من خلافته . وذكر أنه أخذ الغناء من عمر الوادى .

وحدث حماد قال : قالى لى أبى : أحذق من رأيت من المغنين أربعة : جدل وحكم وفليح بن العوراء وسياط . قلت : وما بلغ عن حذقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيحسنون ، ويؤدون غناء غيرهم فيحسنون .

قال إسحاق : وقال لى أبى : ما فى هؤلاء الذين تراهم من المغنين أطبع من لحكم وابن جامع .

وقال حكم : أدخلنى عمر الوادى على الوليد بن يزيد ، وهو على حمار وعليه جبة وشى ورداء وشى وفى يده عقد جوهر وفى كمه شىء لا أدرى ما هو . فقال : من غنانى ما أشتهى فله ما فى كمى وما علىّ وما تحتى . فغنوه كلهم فلم يطرب . فقال . غن ياغلام : فغنيت :

إكليلها ألوان ووجهها فتان
وخالها فريد ليس له جيران
إذا مشت تثنت كأنها ثعبان

فطرب وأخرج ما كان فى كمه ، وإذا كيس فيه ألف دينار ، فرمى به إلىّ مع عقد الجوهر . فلما دخل بعث إلى بالحمار وجميع ما كان عليه .

وقال إسحاق : سمعت حكما الوادى يغنى صوتا أعجبنى فسألته : لمن هو ؟ فقال : ولمن يكون هذا إلا لى .

وسمع شيخ حكم الوادى يغنى فقال له : أحسنت . فألقى الدفّ وقال للرجل : قبحك الله ! ترانى مع المغنين منذ ستين سنة وتقول لى أحسنت !

وزار حكم الوادى الرشيد ، فبرّه ووصله بثلاثمائة ألف درهم وسأله عمن يختار أن يكتب له بها إليه . فقال : اكتب لى بها إلى ابراهيم بن المهدى ! وكان عاملا له بالشام . قال ابراهيم : فقدم علىّ حكم بكتاب الرشيد . فدفعت إليه ما كتب به ووصلته بمثل ماوصله ، إلا أنى نقصت ألفا من الثلاثمائه وقلت له : لا أصلك بمثل صلة أمير المؤمنين . فأقام عندى ثلاثين يوما أخذت منه فيها ثلاثمائة صوت كل

صوت منها أحب إلىّ من الثلاثمائة الألف التى وهبتها له .

وسمع حكم بالمدينة قوما يقولون : لو ذهبنا إلى جارية ابن شقران ، فإنها حسنة الغناء . فمضوا اليها وتبعهم حكم وعليه فروة ، فدخلوا ودخل معهم، وصاحب المنزل يظن أنه منهم وهم يظنون أنه من قبل صاحب المنزل ولا يعرفونه . فغنت الجاريه أصواتا ثم غنت صوتا ثم صوتا . فقال لها حكم الوادى : أحسنت والله ! وصاح . فقال رب البيت : يا ماص كذا وكذا من أمه ، وما يدريك ما الغناء ؟ فوثب عليه يتعنفه وأراد ضربه . فقال له حكم : عبدالله ، دخلتُ بسلام وأخرج كما دخلت . وقام ليخرج . فقال له رب البيت: لا ، أو أضرب بك . فقال حكم :على رسلك، فأنا أعلم بالغناء منك ومنها، وقال : شدى موضع كذا وأصلحى موضع كذا واندفع يغنى . فقالت الجارية : إنه والله أبو يحيى . فقال رب المنزل : جعلت فداك ، المعذرة إلى الله و إليك ، لم أعرفك . فقام حكم ليخرج . فأبى الرجل . فقال : والله لأخرجن، فسأعود لكرامتها لا لكرامتك .

ولم يشتهر حكم بالغناء و يذهب له الصوت به حتى صار الأمر إلى بنى العباس، فانقطع إلى محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين ، وذلك فى خلافة المنصور ، فأعجبه واختاره على المغنين وأعجبته أهزاجه . وكان يقال : إنه من أهزج الناس .و يقال: إنه غنى الأهزاج فى آخر عمره وأن ابنه لامه على ذلك وقال له : أبعد الكبر تغنى غناء المخنثين . فقال له : اسكت فإنك جاهل ، غنيت الثقيل ستين سنة فلم أنل إلا القوت ، وغنيت الأهزاج منذ سنيات فأكسبتك ما لم تر مثله قط.

وقال يحيى بن خالد : ما رأينا فيمن يأتينا من المغنين أحداً أجود أداء من حكم ، وليس أحد يسمع منه غناء ثم يغنيه بعد ذلك إلا وهو يغيره و يزيد فيه

وينقص إلا حكما . فقيل لحكم . فقال : إنى لست أشرب وغيرى يشرب، فإذا شرب تغير غناؤه .

وكان خبر حكم الوادى يتناهى إلى المنصور ويبلغه ما يصله به بنو سليمان ابن علىّ ، فيعجب لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلا أن حسن شعراً بصوته وطرّب مستمعيه ؟ فماذا يكون وعلام يعطونه هذه العطايا المسرفة ؟ إلى أن جلس يوما فى مستشرف له . وقد كان حكم دخل إلى رجل من قواده وهو يراه ، ثم خرج عشيا وقد حمله على بغلة له يعرفها المنصور ، وخلع عليه ثيابا يعرفها له . فلما رآه المنصور قال : من هذا ؟ فقيل : حكم الوادى . فحرك رأسه مليا ثم قال : الآن علمت أن هذا يستحق ما يعطاه . فقيل : وكيف ذلك ياأمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه ؟ قال : لأن فلانا لا يعطى شيئا من ماله باطلا ولا يضعه إلا فى حقه .

وعارض حكم الوادى المهدى فى الطريق إلى بيت المقدس وأخرج دفه ونقر فيه وقال : أنا والله يا أمير المؤمنين القائل :

ومتى تخرج العرو س فقد طال حبسها

فتسرع اليه الحرس . فقال : دعوه ، وسأل عنه . فأخبر أنه حكم الوادى . فوصله وأحسن اليه .

وقال حكم : كان الهادى يشتهى من الغناء ما توسط وقل ترجيعه ولم يبلغ أن يستخف جدا . فأخرج ليلة ثلاث بدر وقال . من أطر بنى فهى له . فغناه ابن جامع وابراهيم الموصلى والزبير بن دحمان ، فلم يصنعوا شيئا ، وعرفت ما أراد ، فغنيته لابن السريج :

غراء كالليلة المباركة الـ ـقمراء تهدى أوائل الظلم
أكنى بغير اسمها وقد علم الـ ـله خفيات كل مكتتم
كأن فاها إذا تبسم عن طيب مشم وحسن مبتسم
يستن بالضرو من بَراقش أو هَيلان أو يانع من العُتم (١)

فوثب عن فراشه طربا وقال : أحسنت أحسنت والله . اسقونى . فسقى. ووثقت بأن البدر لى . فقمت فجلست عليها .

ومات حكم الوادى من قرحة أصابته فى صدره . فقال الدارمى فيه قبل وفاته:

إن أبا يحيى اشتكى علة أصبح منها بين عُوّاد
فقلت والقلب به موجَع يارب عافِ الحكم الوادى
فرب بيض قادة سادة كالنصل سُلّت من اغماد
نادمهم فى مجلس لاهياً فأصمت المُنشد والشادى

حوراء

غلام حماد الشعرانى

كان أحد المغنين المجيدين .

حولاء

جارية ابن جامع

عن محمد بن أحمد النوفلى عن جارية ابن جامع الحولاء قال : وكانت تتبتانى،

---

(١) يستن : يستاك . والضرو ، بالكسر : شجرة . وبراقش وهيلان : جبلان أو واديان، أو مدينتان هاديتان فى اليمن . والعتم ، بضمتين : شجر الزيتون البرى .

فتغنت يوما وطرّبت وقالت : يابنى ، ألا أغنيك هزجا لسيدى فى عشيقة له سوداء ؟ قلت : بلى . فتغنت هزجا ما سمعت أحسن منه ، وهو :

أشبهكِ المسكُ وأشبهتهِ قائمةً فى لونه قاعده
لاشك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحده

وحدثت حولاء مولاة ابن جامع قالت : انتبه مولاى يوما من قائلته فقال : علىّ بهشام ، يعنى ابنه . ادعوه لى عجلوه . فجاء مسرعا . فقال : أى بنى ، خذالعود فإن رجلا من الجن ألقى على فى قائلتى صوتا أخاف أن أنساه . فأخذ هشام العود وتغنى عليه رملا ، لم أسمع له رملا أحسن منه وهو :

أمست رسومٌ بالدار غيّرها هوج الرياح الزعازع العُصف
وكل حَنانة لها زجل مثل حنين الروائم الشغف

فأخذه عنه هشام ، فكان بعد ذلك يتغنّاه وينسبه إلى الجن

خالد صامة

كان من أحسن الناس غناء على عود.

قال : بعث إلى الوليد بن يزيد فقدمت عليه . فوجدت عنده معبدا ومالكا الهذلى وعمر الوادى وأبا كامل . فغنى القوم ونحن فى مجلس يا له من مجلس ، وغلام للوليد يقال له سبرة يسقى القوم الطِّلاء . إذ جاءت نوبة الغناء إلىّ فأخذت عودى فتغنيت بأبيات قالها عروة بن أذينة يرثى أخاه بكرا :

سَرى همىّ وهمُّ الناس يسرى وغار النجمُ إلا قيدَ فِتر
أراقب فى المجرة كل نجم تعرض فى المجرة كيف يجرى

بُحزن لا أزال له مُديما كأن القلب أُشعر حرَّ جمر

على بكرٍ أخى ولّى حميداً وأى العيش يحسن بعد بكر

قال خالد : فقال لى الوليد : أعد يا صم . فأعدت . فقال : من يقوله ويحك؟ قلت : ابن أذينة . قال : هذا والله العيش الذى نحن فيه على رغم أنفه ، لقد نحجر واسعا .

وقال خالد : كنت يوما عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه :

* أرانى الله يا سلمى حياتى *

وهو يشرب ، حتى سكر ثم قال له : هات العود . فدفعته إليه فغناه أحسن غناء . فنفست عليه إحسانه ودعوت بطبل فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العود ، وأخذ الطبل فجعل يوقع به أحسن إيقاع ، ثم دعا بدف فأخذه ومشى به وجعل يغنى أهزاجا لطويس حتى قلت: قد عاش ، ثم جلس وقد انبهر . فقلت : ياسيدى ، كيف أرى ؟ إنك تأخذ عنا ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك. فقال: اسكت ويلك ، فوالله لئن سمع هذا منك أحد مادمت حيا لأقتلنك . فوالله ما حكيته عنه حتى قتل .

خلوب

جارية لعلية

دخلت إلى الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ومعهما كأسان مملوءتان، ومع خادم يتبعها عود ، فغنتهما قائمة :

حيـا كما الله خليليّا إن ميتا كنت وإن حيّا
إن قلتما خيرا فخير لكم أو قلتما غيا فلا غيّا

فشربا . ثم دفعت اليهما رقعة فإذا فيها : صنعت يا سيدى أختكما هذا اللحن اليوم ، وألقتـه على الحوارى واصطبحت فبعثت كلماته، و بعثتُ أحذق جوارى تغنيكما . هنأ كما الله وسركما وأطاب عيشكما وعيشى بكما .

خليل بن عمرو المعلم

هو خليل بن عمرو ، مكى . مولى بنى عامر بن لؤى . لايعرف له صنعةغير هذا الصوت :

ألا طرقت فى الدجى زينب وأحبب بزينب إذ تطرق
عجبت لزينب أنى سرت وزينب من ظلها تَفْرق

وكان خليل المعلم لقبه : خليلان . وكان يؤدب الصبيان و يعلم الجوارى الغناء فى موضع واحد .

وحدث من حضره قال : كنت يوما عنده وهو يردد على صبي يقرأ بين يديه: « ومِنَ النَّاس مَن يَشترى لَهوَ الحَديث ليُضِلّ عن سَبيل الله بغَير عِلْم ». ثم يلتفت إلى صبية يردد عليها :

اعتاد هذا القلبَ بلباله أن قُرِّبت للبين أجمالهُ

فضحكتُ ضحكامفرطا لما فعله . فالتفت إلىّ فقال : ويلك ! مالك ؟فقلت ضحكى مما تفعل . والله ما سبقك إلى هذا أحد . ثم قلت : انظرأىشىء أخذت

على الصبي من القرآن وأى شيء تلقى على الصغيرة . والله إنى لأظنك ممن يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله . فقال : أرجوا ألا أكون كذلك إن شاء الله.

وكان خليلان المعلم أحسن الناس غناء وأفتاهم وأنصفهم . فدخل يوما على عقبة بن سلم الأزدى العتابى، فاحتبسه عنده، فأكل معه ثم شرب. وحانت منه التفاتة فرأى عودا معلقا . فعلم أنه عرّض له به . فدعا به وأخذه ففناهم :

يابنة الأزدىّ قلبي كئيب مستهام عندها ما ينيب

وحدثت منه التفاتة فرأى وجه عقبة بن سلم متغيراً ، وقد ظن أنه عرض به ، ففطن لما أراد ، فغنى :

ألا هزئت بنا قرشـ ـية يهتز موكبها

فسرى عن عقبة وشرب . فلما فرغ وضع العود من حجره وحلف بالطلاق ثلاثا إنه لا يغنى بعد يومه ذلك إلا لمن يجوز حكمه عليه .

خمار

جارية هارون بن عبد الله بن الربيع

كانت قند هارية . اشتراها عبد الله بن الربيع وهى صبية ريض من آل يحيى بن معاذ بمائتى ألفى درهم .

قالت : ألقى علىّ إبراهيم الموصلى لحنه فى هذين البيتين :

إذا سرها أمر وفيه مساءتى قضيت لها فيما تريد على نفسى

وما مر يوم أرتجى فيه راحـة فأذكره إلا بـكيت على أمس

فسمعنى ابن جامع يوما وأنا أغنيه فسألنى : ممن أخذته ؟ فأخبرته . فقال : أعيديه. فأعدته مرارا . وما زال ابن جامع يتنغم به معى حتى ظننت أنه قد أخذه. ثم كان كلما جاء قال لى : يا صبية ، غنى ذلك الصوت . فكان صوته علىّ .

خولة

كانت عزة المبلاء تغنى أغانى القبان من القدائم ، مثل خولة .

خويلد

صوت

وأنا الأخضرُ مَن يعرفنى أخضر الجلدة فى بيت العرب
مَن يساجلنى يُساجلْ ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكَرَب[1]
إنما عبد مناف جوهرٌ زيّن الجوهرَ عبدُ المطلب
كل قوم صيغةٌ من تبرهم وبنو عبد مناف من ذهب
نحن قوم قد بنى الله لنا شرفاً فوق بيوتات العرب
بنبىّ الله وابنى عمّه وبعبّاس بن عبد المطلب

الشعر للعباس بن الفضل اللهبى . ولخويلد فى الرابع والثالث خفيف رمل ، وفى الخامس والسادس والأول رمل .

---

(١) الكرب : الحبل يشد فى وسط العراقى ليلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير .

دحمان

عبد الرحمن بن عمرو

دحمان لقب لقب به . واسمه عبد الرحمن بن عمرو ، مولى بنى ليث بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة . ويكنى أبو عمرو . ويقال له دحمان الأشقر .

كان مع شهرته بالغناء رجلا صالحا كثير الصلاة معدل الشهادة مدمنا للحج . وكان كثيرا ما يقول : ما رأيت باطلا أشبه بحق من الغناء .

وشهد دحمان عند عبد العزيز بن المطلب بن حنطب ، وهو يلى القضاء ، لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة فأجازها وعدلها . فقال له العراقى : إنه دحمان . قال : أعرفه ولو لم أعرفه لسألت عنه . قال : إنه يغنى ويعلم الجوارى الغناء . قال : غفر الله لنا ولك ، وأينا لا يغنى ؟ اخرج إلى الرجل عن حقه .

وفى دحمان يقول أعشى بنى سليم :

إذا ما هزّج الواد ... ىّ أو ثقّل دحمانْ
سمعت الشدو من هذا ... ومن هذا يميزان
فهذا سيد الإنس ... وهذا سيد الجان

وفيه يقول أيضا :

كانوا فحولا فصاروا عند حَلْبتهم ... لما اتبرى لهمُ دحمان خِصْبانا
فأبلغوه عن الأعشى مقالته ... أعشى سليم أبى عمرو سليمانا

قولوا يقول أبو عمرو لصحبته يا ليت دحمان قبل الموت غنانا

وكان دحمان من رواة معبد وغلمانه المتقدمين . وكان يخضب رأسه ولحيته بالحناء .

وقال إسحاق : كان أبى لا يضعه بحيث يضعه ويقول : لو كان عبدا ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم . وأشبه الناس به فى الغناء ابنه عبد الله . وكان يفضل الزبير ابنه على عبد الله وعلى دحمان .

وقال عبد الله بن دحمان : رجع أبى من عند المهدى وفى حاصله مائة ألف دينار.

وذكر أن المهدى أعطى دحمان فى ليلة واحدة خمسين ألف دينار ، وذلك أنه غنى فى شعر الأحوص :

قطوف المشى إذ تمشى ترى فى مشيها خرقا

فأعجبه وطرب ، واستخفه السرور حتى قال لدحمان : سلنى ماشئت . فقال : ضيعتان بالمدينة ، يقال لهما ريان وغالب ، فأقطعه إياهما . فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبى عبد الله وعمر بن بزيع راجعا المهدى فيه وقالا : إن هاتين ضيعتان لم يملكهما قط إلا خليفة ، وقد استقطعهما ولاة اليهود فى أيام بنى أميه فلم يقطعوهما. فقال : والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى. فصولح عنهما على خمسين ألف دينار .

ومر دحمان وعليه رداء جيد عدنى ، فقال له من حضر : بكم اشتريت هذا يا أبا عمرو ؟ قال: بـ

* ما ضر جيراننا إذا انتجعوا *

وكان دحمان جمالا يكرى إلى المواضع ويتجر ، وكانت له مروءة . فبينا هو ذات يوم قد أكرى جماله وأخذ ماله إذ سمع رنة . فقام واتبع الصوت ، فإذا جارية قد خرجت تبكى . فقال لها : أمملوكة أنت ؟ قالت : نعم . فقال : لمن ؟ فقالت :

لامرأة من قريش، وسمتها له . فقال: أتبيعك؟ قالت : نعم . ودخلت إلى مولاتها فقالت : هذا إنسان يشترينى . فقالت : إيذنى له . فدخل ، فسامها حتى استقر أمر الثمن بينهما على مائة دينار ، فنقدها إياها وانصرف بالجارية . قال دحمان : فأقامت عندى مدة أطرح عليها ويطرح عليها معبد والأبجر ونظراؤهما من المغنين، ثم خرجت بها بعد ذلك إلى الشام وقد حذقت ، وكنت لا أزال إذا نزلنا أنزل الأكرياء ناحية وأنزل معتزلا بها ناحية فى محمل وأطرح على المحمل من أعبية الجمالين وأجلس أنا وهى تحت ظلها ، فأخرج شيئاً فنأكله ونضع ركوة لنا، فيها لنا شراب ، فنشرب ونتغنى حتى نرحل . ولم نزل كذلك حتى قربنا من الشام . فبينا أنا ذات يوم نازل وأنا ألقى عليها لحنى :

لو ردّ ذو شفق حِمامَ مَنيّة لرددتُ عن عبد العزيز حماما
صلى عليه الله من مستودع جاورت رمساً فى القبور وهامَا

فرددته عليها حتى أخذته واندفعت تغنيه . فإذا أنا براكب قد طلع فسلم علينا. فرددنا عليه السلام . فقال : أتأذنوا لى أن أنزل تحت ظلكم هذا ساعة؟ قلنا : نعم . فنزل . وعرضت عليه طعامنا وشرابنا ، فأجاب . فقدمنا إليه السفرة فأكل وشرب معنا . واستعاد الصوت مراراً . ثم قال للجارية : أتغنين لدحمان شيئاً ! قالت : نعم . قال : فغنينى صوتاً من صنعته . فغنت أصواتاً من صنعتى ، وغمزتها ألا تعرفه أنى دحمان . فطرب وامتلأ سروراً وشرب أقداحاً ، والجارية تغنيه ، حتى قرب وقت الرحيل . فأقبل على وقال ؟ أتبيعنى هذه الجارية ؟ فقلت : نعم . قال : بكم ، قلت كالعابث : بعشرة آلاف دينار . قال : قد أخذتها بها، فهلم دواة وقرطاساً . فجئته بذلك . فكتب : ادفع إلى حامل كتابى هذا حين تقرؤه عشرة آلاف دينار واستوص به خيراً ، وأعلمنى بمكانه . وختم الكتاب

ودفعه إلى . ثم قال : أتدفع الجارية أم تمضى بها معك حتى تقبض مالك ؟ فقلت: بل أدفعها إليك . فحملها وقال. إذا جئت البخراء[1] فسل عن فلان وادفع كتابى هذا إليه واقبض منه مالك . ثم انصرف بالجارية . قال : ومضيت . فلما وردت البخراء سألت عن اسم الرجل فدللت عليه، فإذا دار ملك. فدخلت عليه ودفعت إليه الكتاب ، فقبله و وضعه على عينيه ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إلىّ وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين. وقال لى : اجلس حتى أعلم أمير المؤمنين بك . فقلت له : حيث كنت فأنا عبدك و بين يديك . وقد كان أمر لى بأنزال ، وكان بخيلا فاغتنمت ذلك فارتحلت . وقد كنت أصبت بجملين ، وكانت عدة أجمالى خمسة عشر ، فصارت ثلاثة عشر . قال : وسأل عنى الوليد . فلم يدر القهرمان أين يطلبنى . فقال له الوليد : عدة جماله خمسة عشر جملا فارددها إلىّ . فلم أوجد لأنه لم يكن فى الرفقة من معه خمسة عشر جملا ، ولم يعرف اسمى فيسأل عنى . قال: وأقامت الجارية عنده شهرا لا يسأل عنها، ثم دعاها بعد أن استبرئت وأصلح من شأنها .فظل معها يومه حتى إذا كان فى آخر نهاره . قال لها : غنينى لدحمان . فغنت . وقال لها : زيدينى فزادت . ثم أقبلت عليه . فقالت : يا أمير المؤمنين ، أوما سمعت غناء دحمان منه ؟ قال :لا . قالت : بلى والله . قال : أقول لك :لا ، فتقولين: بلى والله . فقالت: بلى والله لقد سمعته . قال : وما ذاك ويحك! قالت : إن الرجل الذى اشتريتنى منه هو دحمان . قال : أو ذلك هو ؟ قالت : نعم هو هو . قال : فكيف لم أعلم . قالت : غمزنى بأن لا أعلمك . فأمر فكتب : إلى عامل المدينة بأن يحمل إليه دحمان ، فحمل . فلم يزل عنده أسيراً .

وقال ابن الماجشون : صلينا يوماً الصبح بالمدينة ، فقال قوم : قد سال العقيق

---

(١) البخراء : ماءة على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز.

فخرجنا من المسجد مبادرين إلى العقيق فانتهينا إلى العرصة . فإذا من وراء الوادى قبالتنا دحمان المغنى وابن جنوب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً وهو :

اسكن البدو ما سكنتَ ببدو فإذا ما حضرت طاب الحضور

وإذا أطيب صوت فى الدنيا . قال : وكان آخر يكره السماع . فلما سمعه طرب طرباً شديداً وتحرك . وكان لغناء دحمان أشد استحساناً وحركة وارتياحاً. فقال لى : يا أخى ، اسمع إلى غناء دحمان ، والله لكأنه يسكب الماء على الزيت .

دراج بن عمرو بن أبى الكنات

كان يغنى . وليس بمشهور ولا كثير الغناء .

دقاق

كانت دقاق مغنية محسنة جميلة ، قد أخذت عن أكابر مغنى الدولة العباسية . وكانت ليحيى بن الربيع ، فولدت له أحمد ابنه ، وعمر عمراً طويلا . ومات يحيى ابن الربيع فتزوجت ثلاثة من القواد من وجوههم فماتوا جميعاً . فقال عيسى بن زينب يهجوها :

قلت لما رأيت دار دقاق حسنُها قد أضرّ بالعُشاق

حذِّروا الرابع الشقىَّ دقاقا لايكونن نجمه فى محاق

أَلْهُ عن بُضعها فإن دقاقا شؤم حِرها قد صار فى الآفاق[1]

لم تضاجع بعلاً فهبَّ سليما بل جريحاً وجُرحه غير راق

(١) البضع ، بالضم : الجماع ، والفرج أيضا .

وكانت متقنة الأداء والصنعة ، قد انقطعت إلى حمدونة بنت الرشيد ثم إلى غضيض . وكانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوة .

وكانت تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وترى كل واحد منهم أنها تهواه . وكانت أحسن أهل عصرها وجها ، وأشأمهم على من رابطها وتزوجها . فقال فيها أبو إسحاق إبراهيم بن المهدى :

عدمتك ياصديقة كل خلق أكل الناس ويحك تَعشقينا
فكيف إذا خلطت الغثَّ منهم بلَحم سمينهم لا تَبْشمينا

وخرج يحيي بن الربيع مولى دقاق ، وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد ، إلى بعض النواحى وترك جاريته دقاق فى داره . فعملت بعده الأوابد . فقال أبوموسى الأعمى فيه :

قل ليحيي نَعم صبرت على المو ت ولم تخش سَهم ريب المَنون
كيف قل لى أطقت ويحك يايحـ ـيى على الضعف منك حمل القرون
ويح يحيي ما مر باست دقاق بعد ما غاب من سياط البطون

الدلال

اسمه نافذ . وكنيته أبو يزيد . وهو مـدنى . مولى بنى فهم . وقيل : مولى عائشة بنت سعيد بن العاص .

ولم يكن فى المخنثين أحسن وجها ولا أنظف ثوبا ولا أظرف من الدلال . وهو أحد من خصاه ابن حزم . فلما فعل ذلك به قال : الآن تم الخنث .

ولم يـكن أهل المدينـة يعدون فى الظرفاء وأصحاب النوادر من المخنثين إلا

ثلاثة: طويس والدلال وهنب . فكان هنب أقدمهم ، والدلال أصغرهم ، ولم يكن بعد طويس أظرف من الدلال ولا أكثر ملحا .

وكان نزر الحديث فإذا تكلم أضحك الثكلى : وكان ضاحك السن، وصنعته نزرة جيدة . ولم يكن يغنى إلا غناء مضعفا ، يعنى كثير العمل .

وكان أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثه طولوا رقابهم وفخروا به . فعلم أن ذلك لفضيلة كانت فيه .

وكان يطلب فلا يقدر عليه ، فكان بديع الغناء صحيحه ، حسن الجرم .

وسُمى الدلال لشكله وحسن دله وظرفه وحلاوة منطقه وحسن وجهه وإشارته . وكان مشغوفاً بمخالطة النساء ووصفهن للرجال . وكان من أراد خطبة امرأة سأله عنها وعن غيرها ، فلا يزال يصف له النساء واحدة فواحدة حتى ينتهى إلى وصف ما يعجبه . ثم يتوسط بينه وبين من يعجبه منهن حتى يتزوجها . فكان يشاغل كل من جالسه عن الغناء بتلك الأحاديث كراهة منه للغناء .

والسبب الذى من أجله خصى الدلال أنه كان القادم يقدم المدينة فيسأل عن المرأة يتزوجها ، فيدل على الدلال ، فإذا جاءه قال له : صف لى من تعرف من النساء للتزويج . فلا يزال يصف له واحدة بعد واحدة حتى ينتهى إلى مايوافق هواه فيقول : كيف لى بهذه ؟ فيقول : مهرها كذا وكذا . فإذا رضى بذلك أتاها الدلال فقال لها : إنى قد أصبت لك رجلا من حاله وقصته وهيئته ويساره ، ولا عهد له بالنساء، وإنما قدم بلدنا آنفا . فلا يزال يشوقها ويحركها حتى تطيعه . فيأتى الرجل فيعلمه أنه قد أحكم ما أراد . فإذا سوى الأمر وتزوجته المرأة قال لها : إنّ هذا الرجل إنْ يدخل عليك دفقت عليه مثل سيل العرم ، فيقذرك ولا

يعاودك وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك . فتقول : فكيف أصنع؟ فيقول : أنت أعلم بدواء حرك ودائه وما يسكن غلمتك . فتقول : أنت أعرف. فيقول : ما أجد له شيئاً أشفى من النيك . فيقول لها : إن لم تخافى الفضيحة فابعثى إلى بعض الزنوج حتى يقضى بعض وطرك ويكف عادية حرك . فتقول له : ويلك! ولا كل هذا . فلا تزال المحاورة بينهما حتى يقول لها : فكما جاء علىّ أقوم فأخففك وأنا والله إلى التخفيف أحوج . فتفرح المرأة فتقول : هذا أمر مستور . حتى إذا قضى لذته منها ، قال لها : أما أنت فقد استرحت وأمنت العيب . ثم يجىء إلى الزوج فيقول له : قد واعدتها أن تدخل عليك الليلة ، وأنت رجل عزب ونساء المدينة خاصة يردن المطاولة، وكأنى بك كما تدخل عليها تفرغ وتقوم ، فتبغضك وتمقتك ولا تعاودك بعدها ولو أعطيتها الدنيا . فلا يزال فى مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته . فيمكنه من نفسه . فكان ذلك دأبه. إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك ، وكان غيوراً شديد الغيرة . فكتب بأن يخصى هو وسائر المخنثين .

ومر الغمر بن يزيد بن عبد الملك حاجّا ، فغناه الدلال :

بانت سعاد وأمسى حبلها انصرما واحتلت الغَمْر فالأجراع من إضما[1]

فقال له الغمر : أحسنت والله وغلبت فيه ابن سريج . فقال له الدلال : نعمة الله علىّ فيه أعظم من ذلك . قال : وما هى ؟ قال : السمعة ، لا يسمعه أحد إلا علم أنه غناء مخنث حقا .

واختصم شيعى ومرجىء ، فجعلا بينهما أول من يطلع . فطلع الدلال . فقالا له : أبا يزيد ، أيهما خير : الشيعى أم المرجىء ؟ فقال : لا أدرى ، إلا أن أعلاى شيعى وأسفلى مرجىء .

---

(١) الغمر : بئر قديمة بمكة . وإضم: ماء بين مكة واليمامه.

وكان الدلال ملازما لأم سعيد الأسلمية و بنت ليحيي بن الحكم بن أبي العاص، وكانتا من أمجن النساء ، كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدو خلاخيلهما . فقال معاوية لمروان بن الحكم : اكفني بنت أخيك . فقال : افعل . فاستزارها وأمر ببئر فحفرت في طريقها وغطيت بحصير . فلما مشت عليها سقطت في البئر فكانت قبرها . وطلب الدلال فهرب إلى مكة . فقال له نساء أهل مكة : قتلت نساء أهل المدينة وجئت لتقتلنا ؟ فقال : والله ما قتلهن أحد إلا الحكاك . فقلن : اعزب أخزاك الله ولا أدنى بك . قال : فمن لكن بعدى يدل على دائكن و يعلم موضع شفائكن . والله ما زنيت قط ولا زنى بي . و إني لأشتهي ما تشتهي نساؤكم و رجالكم .

وعن ابن الماجشون قال : كان أبي يعجبه الدلال و يستحسن غناءه و يدنيه و يقربه، ولم أره أنا، فسمعت أبي يقول : غنانى الدلال يوما بشعر مجنون بني عامر: فلقد خفت الفتنة على نفسي . فقلت : يا أبت ، وأي شعر تغني ؟. قال : قوله :

عسى الله أن يُجري المودة بيننا ... و يوصل حبلاً منكم بحبالنا
فكم من خليلَيْ جفوة قد تقاطعا ... على الدهر لما أنْ أطالا التلاقيا
و إني لفي كرب وأنت خلية ... لقد فارقت في الوصف حالُك حاليا
عتبت فما أعتبتني بمودة ... ورمت فما أسعفتني بسؤاليا

وصلى الدلال يوما خلف الإمام بمكة فقرأ: « ومالَيَ لا أعبُد الذي فَطَرَني و إليه تُرجعون ». فقال الدلال : لا أدري والله . فضحك أكثرُ الناس وقطعوا الصلاة. فلما قضى الوالي صلاته دعا به وقال له : و يلك ، لا تدع هذا المجون والسفه. فقال له : قد كان عندي أنك تعبد الله فلما سمعتك تستفهم ظننت أنك قد

تشككت فى ربك فثبتك . فقال : أنا أشك فى ربى وأنت تثبتنى ؟ اذهب لعنك الله ولا تعاود فابالغ والله فى عقوبتك .

وخرج الدلال يوماً مع فتية من قريش فى نزهة لهم ، وكان معهم غلام جميل الوجه فأعجبه . وعلم القوم بذلك فقالوا : قد ظفرنا به بقية يومنا . وكان لا يصير فى مجلس حتى ينقضى وينصرف عنه استثقالا لمحادثة الرجال ومحبته فى محادثة النساء . فغمزوا الغلام عليه وفطن لذلك، فغضب وقام لينصرف ، فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً . فجلس . وكان معهم شراب فشربوا وسقوه وحملوا عليه لئلا يبرح ، ثم سألوه أن يغنيهم . فغناهم :

زبيرية بالعرج منها منازل ... وبالخيف من أدنى منازلها رسم (١)

أسائل عنها كل ركب لقيتُه ... ومالى بها من بعد مَكّتنا علم

أيا صاحب الخيمات من بَطن أرثد ... إلى النخل من ودّان مافعلت نعم (٢)

فإن تك حرب بين قومى وقومها ... فإنى لها فى كل نائرة سلم

فاستطير القوم فرحا وسرورا وعلا نعيرهم . فنذر بهم السلطان وتعادت الأشراط . فأحسوا بالطلب فهربوا . وبقى الغلام والدلال ما يطيقان براحا من السكر . فأخذا فأتى بهما أمير المدينة . فقال للدلال : يا فاسق ، فقال له : من فمك إلى السماء . قال : جئوا فكه . قال : وعنقه أيضاً . قال : ياعدو الله ، أما وسعك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء (٣) .

---

(١) العرج : من نواحى الطائف . والخيف : بطحاء مكة .

(٢) أرثد : واد بين مكة والمدينة . وودان : ثلاثة مواضع ، أحدها بين مكة والمدينة .

(٣) للحديث بقية فيها فحش وتصريح، آثرنا الوقوف عنه . وقد ورد للدلال أخبار على هذا النحو تركناها . وحسبنا عنها اشارة أو واحدة . فهذا مايغنى قليله عن كثيره فى تعرف الرجل وماعليه . والامور تقاس على أشباهها . ثم قد يكون الحديث عن هؤلاء مصنوع على حذو غيره . يؤيد هذا أنك تجد الخبر وعلى شاكلته أخبار . وكلها لا تخرج عن أن الرجل ماجن لايتغى ولا يتستر .

وقال معبد : ماذكرت غناء الدلال فى هذا الشعر :

* زبيرية بالعرج منها منازل *

إلا جدد لى سروراً ، ولوددت أنى كنت سبقته إليه لحسنه عندى . قال يونس : فقلت له : ما بلغ من حسنه عندك ؟ قال : يكفيك أنى لم أسمع أحسن منه قط .

وكان بالمدينة عرس فاتفق فيه الدلال وطويس والوليد المخنث . فدخل عبد الرحمن بن حسان . فلما رآهم قال : ما كنت لأجلس فى مجلس فيه هؤلاء . فقال طويس : قد علمت يا عبد الرحمن نكايتى فيك وأن جرحى إياك لم يندمل ، يعنى خبره معه بحضرة عبدالله بن جعفر وذكره لعمته الفارعة ، فاربح نفسك وأقبل على شأنك ، فإنه لا قيام لك بمن يفهمك فهمى . وقال لى الدلال : يا أخا الأنصار ، إن أبا عبد النعيم أعلم بك منى ، وما علمك بعض ما أعلم به . ثم اندفع ونقر بالدف ، وكلهم ينقر بدفه معه ، فتغنى :

أتهجر يا إنسان من أنت عاشقه ... ومن أنت مشتاقٌ إليه ووامقه
ورئم أحمّ المقلتين موشّح ... زرابيّه مَبثوثة ونمارقه
ترى الرّقم والديباج فى بيته معاً ... كما زيّن الروضَ الأنيق حدائقه
وسِرب ظباء ترتعى جانب الحمى ... إلى الجوّ فالجنبين بيضٌ عقائقه[1]
وما من حِمًى فى الناس إلا لنا حِمًى ... وإلا لنا غربيّه ومشارقه

فاستضحك عبد الرحمن وقال : اللهم غفراً ، وجلس .

---

(١) الجو والجنبان : باليمامة .

وكان سليمان بن عبد الملك قد رق للدلال حين خصى غلطا [١] فوجه إليه مولى وقال له : جئنى به سرا . وكانت تبلغه نوادره وطيبه . وحذر رسوله أن يعلم بذلك أحد . فنفذ المولى إليه وأعلمه ما أمر به ، وأمره بالكتمان وحذره أن يقف على مقصده أحد . ففعل وخرج به إلى الشام . فلما قدم أنزله المولى منزله وأعلم سليمان بمكانه . فدعا به ليلا . فقال : ويلك ! ماخبرك ؟ فقال : جببت من القبل مرة أخرى ياأمير المؤمنين ، فهل تريد أن تجبنى المرة من الدبر ؟ فضحك وقال : اعزب أخزاك الله . ثم قال له : غن فقال : لا أحسن إلا بالدف . فأمر فأتى له بدف . فغنى فى شعر العرجى :

أفى رسم دار دمعك المتحدّر ... سفاهاً وما استنطاق ما ليس يُخبر
تغير ذاك الربع من بعد جدة ... وكل جديد مَرةً متغير
لأسماء إذ قلبي بأسماء مغرم ... وما ذكر أسماء الجميلة مُهجر
وممشى ثلاث بعد هَدْءٍ كواعب ... كمثل الدمى بل هن من ذاك أنضر
فسلمن تسليما خفيا وسَمَّطت ... مَصاعِبةٌ ظُلع من السير حُسَّر [٢]
لها أرج من زاهر البقل والثرى ... ويُرد إذا ما باشر الجلد يَخصر
فقالت لتربيها الغداة تَبقَّيا ... بعين [٣] ولا تستبعدا حين أبصر
ولا تُطهرا برديكما وعليكما ... كساءان من خز بنقش وأخضر
فعدّى فما هذا العتاب بنافع ... هواى ولا مُرْجِى الهوى حين يُقصر

---

(١) يقال إن سليمان كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى ، وكان عامله على المدينة : ان اخص من قبلك من المخنثين المغنين . فزعم موسى بن جعفر بن أبي كثير قال : أخبرنى بعض الكتاب قال : قرأت كتاب سليمان فى الديوان فرأيت على الخاء نقطة كتمرة العجوة . قال : ومن لا يعلم يقول : إنه صحف القارىء . فتتبعهم ابن حزم فخص معهم تسعة منهم الدلال .

(٢) مصاعبة : جمع مصعب ، وهو الفحل الذى تركبته فلم تركبه ولم يمسه حبل حتى صار صعبا .

(٣) تبقيا بعين ، أى انتظرا بمرآى منى .

فقال له سليمان : حق لك يا دلال أن يقال لك : الدلال . أحسنت وأجملت، فوالله ما أدرى أى أمر يك أعجب : أسرعة جوابك وجودة فهمك ، أم حسن غنائك ؟ بل جميعا عجب . وأمر له بصلة سنية . فأقام عنده شهرا يشرب على غنائه ثم سرحه إلى الحجاز .

وحج هشام بن عبد الملك . فلما قدم المدينة نزل رجل من أشراف أهل الشام وقوادهم تحت دار الدلال . فكان الشامى يسمع غناء الدلال و يصغى إليه و يصعد فوق الصوت ليقرب من الصوت . ثم بعث إلى الدلال : إما أن تزورنا و إما أن نزورك. فبعث إليه الدلال : بل نزورنا . فتهيأ الشامى ومضى إليه . وكان للشامى غلمان رُوقة . فمضى معه بغلامين منهم كأنهما درتان . فغناه الدلال :

قد كنت آمل فيكمُ أملا ... والمرء ليس بمدرك أمله
حتى بدا لى منكمُ خلف ... فزجرت قلبى عن هوًى جَهله
ليس الفتى بمخلد أبدا ... حقا وليس بفائت أجَله
حَىٌّ العَمود ومن بَعَقوته (١) ... وقفَا العمود و إن جلا أهلُه (٢)

فاستحسن الشامى غناءه وقال له : زدنى . فقال : أو ما يكفيك ما سمعت ؟ قال : لا والله مايكفينى . قال: فإن لى إليك حاجة . قال : وما هى ؟ قال : تبيعنى أحد هذين الغلامين أو كليهما . قال : اختر أيهما شئت . فأختار أحدهما . فقال الشامى : هو لك . فقبله الدلال ثم غناه :

دعتنى دواع من أُريا فهيَّجت ... هَوًى كان قِدْما من فؤاد طروب
لعل زمانا قد مضى أن يعود لى ... فتَغفِرَ أروى عند ذاك ذنوبى

---

(١) العمود : هضبة طويلة عندها ماء لبنى جعفر . والعقوة : الساحة.
(٢) فى البيت إقواء .

سبتنى أريا يوم نعف مُحسِّر بوجه جميل للقلوب سلوب[1]

وجاء الدلال يوما إلى منزل نائلة بنت عمار الكلبى ، وكانت عند معاوية فطلقها ، فقرع الباب فلم يفتح له . فغنى فى شعر مجنون بنى عامر ونقر بدفه عليه :

خليلىَّ لا والله ما أملك البكا إذا عَلَمُ من أرض لَألى بداليا

خليلىَّ إن بانوا بليلى فهيئا لىَ النعشَ والأكفان واستغفرا ليا

فخرج حشمها فزجروه وقالوا : تنح عن الباب ، وسمعت الجلبة ، فقالت : ما هذه الضجة بالباب ؟ فقالو : الدلال . فقالت : إيذنوا له . فلما دخل عليها شق ثيابه وطرح التراب على رأسه وصاح بويله وحر به . فقالت له : الويل ويلك ، ما دهاك وما أمرك ؟ قال : ضر بنى حشمك . قالت : ولم ؟ قال : غنيت صوتا أريد أن أسمعك إياه لأدخل إليك . فقالت : أف لهم . نحن نبلغ لك ما تحب ونحسن تأديبهم . يا جارية ، هاتى ثيابا مقطوعة . فلما طرحت عليه جلس . فقالت : ما حاجتك قال : لا أسألك حاجة حتى أغنيك . قالت : فذاك إليك فاندفع يغنى شعر جميل :

إرحمينى فقد بليتُ فحسبى بعضُ ذا يا بُثينة حسبى

لامنى فيك يا بُثينة صحبى لا تلوموا قد أقرح الحب قلبى

زعم الناس أنّ دائىَ طبى أنت والله يا بُثينة طِبّى

ثم جلس . فقال : هل من طعام ؟ قالت : على المائدة . فأتى بها كأنها كانت مهيأة عليها أنواع الأطعمة . فأكل ثم قال : هل من شراب ؟ قالت أما نبيذ فلا ولكن غيره . فأتى بأنواع الأشربة . فشرب من جميعها ، ثم قال : هل من فاكهة ؟ فأتى بأنواع الفاكهة فتفكه . ثم قال : حاجتى خمسة آلاف درهم وخمس حلل من حلل معاوية وخمس حلل من حلل حبيب بن مسلمة وخمس حلل من حلل النعمان

(١) النعف : المرتفع من الارض . ومحسر ، بكسر السين : بين مكة وعرفة .

ابن بشير[١] . فقالت : وما أردت بهذا . قال : هو ذاك والله ، ما أرضى ببعض دون ببعض . فإما الحاجة و إما الرد . فدعت له بما سأل ، فقبضه وقام ، فلما توسط الدار غنى ونقر بدقة :

ليت شعرى أجفوة أم دلال أم عدوّ أنى بُثينة بعدى
فَمُرينى أُطعك فى كل أمر أنت والله أوجه الناس عندى

ولما أراد عبد الله بن جعفر إهداء بنته إلى الحجاج ، ابن أبى عتيق عنده فجاءه الدلال متعرضاً فاستأذن : فقال له ابن جعفر : لقد جئتنا يا دلال فى وقت حاجتنا إليك . قال : ذلك قصدت . فقال له ابن أبى عتيق ، غننا . فقال ابن جعفر : ليس وقت ذلك ، نحن فى شغل عن هذا . فقال ابن أبى عتيق : ورب الكعبة ليغنين . فقال له ابن جعفر : هات . فغنى ونقر بالدف والهوادج والرواحل قد هيئت وحيرتت ثبد ابن جعفر فيها مع جواريها والمشيعين لها :

يا صاح لو كنت عالماً خبراً بما يلاقى المحب لم تَلُمُهْ
لا ذنب لى فى مُقَرط حسن أعجبنى دلهٌ ومبتسمه[٢]
شيمته البخل والبعاد لنا يا حبذا هُوَ وحبذا شيمه
مُضمخ بالعبير عارضه طوبى لمن شمه ومن لَثمه[٣]

فطرب ابن جعفر وابن أبى عتيق وقال له ابن جعفر : زدنى . فأعاد اللحن ثلاثاً ثم غنى :

---

(١) كانت نائلة عند معاوية ، فقال لفاختة بنت قرظة ؟ إذهبى فانظرى إليها . فذهبت فنظرت اليها فقالت له : ما رأيت مثلها ، ولكنى رأيت تحت سرتها حالا ليوضعن منها رأس زوجها فى حجرها . فطلقها معاوية . فتزوجها بعده رجلان : حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما فوضع رأسه فى حجرها .

(٢) المقرط : لابس القرط . (٣) لثمه ، أصل ميمة الفتح فنقلت إليها ضمة الهاء بعدها على لغة لخم لأنهم يجيزون فى الوقف نقل حركة الجزء الاخير إلى المتحرك قبله .

بكر العواذل فى الصبا ح يلمننى وألومنه

ومضت بنت ابن جعفر ، فاتبعها يغنيها بهذا الشعر :

إنا لخليط أجدّ فاحتملا وأراد غيظك بالذى فعلا

و إذا البغالُ تُشد صافنةً و إذا الحُداة قد ازمعوا الرّحلا

فهناك كاد الشوق يقتلنى لو انّ شوقا قبله قتلا

فدمعت عينا عبد الله بن جعفر ، وقال للدلال : حسبك . فقد أوجعت قلبى.

وكان الدلال لا يشرب النبيذ . فخرج مع قوم إلى متنزه لهم ومعهم نبيذ ، فشربوا ولم يشرب منه ، وسقوه عسلا مجدوحا . وكان كلما تغافل صيروا فى شرابه النبيذ فلا ينكره ، وكثر ذلك حتى سكر وطرب ، وقال : اسقونى من شرابكم . فسقوه حتى ثمل وغناهم فى شعر الأحوص :

طاف الخيال وطاف الهم فاعتكرا عند الفراش فبات الهم مُحتضرا

فاستحسن القوم وطربوا وشربوا ثم غناهم :

طربتَ وهاجك مَن تذكر ومن لستَ من حُبه تَعْتذر

وسكر حتى خلع ثيابه ونام عريانا . فغطاه القوم بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلا ، فنوموه وانصرفوا عنه . فأصبح فأنكر نفسه وحلف أن ألاّ يغنى أبدا ولا يعاشر من يشرب النبيذ . فوفى بذلك إلى أن مات .

وكان يجالس المشيخة والأشراف فيفيض معهم فى أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نحبه .

دمن

جارية إسحاق الموصلى

كانت من كبائر جوارى إسحاق وأحظى من عنده .

حدث محمد بن موسى اليزيدى قال : لقيتها فقلت لها : أى شىء أخذت عن مولاك من الغناء ؟ فقالت : لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدة من جواريه صوتا قط ، كان أبخل بذلك . وما أخذت منه قط إلا صوتا واحداً ، وذلك أنه انصرف إلى دار الخليفة وهو مثخن سكران ، فدخل إلى بيت كان ينام فيه ، فرأى عودا معلقا فأخذه بيده وقال لخادمه : يا غلام ، صح لى بدمن ، فجاءنى الغلام فخرجت . فلما بلغت الباب إذا هو مستلق على فراشه والعود فى يده وهو يصنع هذا الصوت ويردده ، وقد استحفز فى نغمة وتنوق فيها حتى استقام له ، وهو :

ألا ليلك لا يذهبْ ونيط الطرف بالكوكبْ
وهذا الصبح لا يأتى ولا يدنو ولا يقرب

فلما سمعته علمت أنى إن دخلت عليه أمسك ، فوقفت أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه ، فلما فرغ منه وضع العود من يده وذكر أنه طلبنى ، فقال : يا غلام ، أين دمن ؟ فقلت : هأنذا . فقال : مذ كم وأنت واقفة ؟ فقلت : منذ ابتدأت بالصوت وقد أخذته . فنظر إلى نظر مغضب آسف . ثم قال : غنيه . فغنته حتى استوفته . فقال لها بتوقر وخجل : قد بقيت فيه عليك بقية أنا أصلحها لك . فقلت : لست أحتاج إلى إصلاحك إياه . وقد والله أخذته على رغمك . فضحك .

دنانير

جارية ابن كناسة

أخبر على بن هشام قال : كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير ، وكان له صديق يكنى الشعثاء ، وكان عفيفاً مزاحا ، فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرض لها بأنه يهواها ، فقالت فيه :

لأبى الشعثاء حُب باطنٌ ليس فيهِ نهضةٌ للمتهم

يافؤادى فازدجر عنه ويا عَبَث الحُب به فاقعُد وقُم
زارنى منه كلامٌ صائب ووسيلاتُ المُحبين الكَلِم
صلٌ إن أحببت أن تُعطى ن المنى يا أبا الشعثاء لله وصُم
ثم ميعادك يوم الحشر فى جنة الخُلد إنِ الله رَحِم
حيث ألقاك غلاماً ناشئا يافعاً قد كملت فيه النِّعم

وحدث محمد بن على بن عثمان عن أبيه قال : كنت يوما عند ابن كناسة فقال لنا : أعرّفكم شيئا من فهم دنانير ؟ يعنى جاريته . قلنا : نعم . فكتب إليها : إنك أمة ضعيفة لكعاء، فإذا جاءك كتابى هذا فعجلى بجوابى والسلام .. فكتبت اليه : ساءنى تهجينك إياى ، وإن من أعيا العىّ . الجواب عما لا جواب له. والسلام

وحدث على بن عثمان قال : جئت يوما إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده ، ووجدت جاريته دنانير جالسة . فقالت لى : مالى أراك محزونا يا أبا الحسين؟ فقلت : رجعت من دفن أخ لى من قريش . فسكتت ساعة ثم قالت :

بكيتَ على أخ لك من قريش فأبكانا بكاؤك يا علىُّ
فمات وما خبرناه ولكن طهارةُ صَحبه الخَبر الجلِىّ

وماتت دنانير فقال ابن كناسة يرثيها :

الحمدُ لله لا شريك له ياليت ما كان منك لم يكن
إن يكن القولُ قَلَّ فيك فما أفْحمنى غيرُ شدَّة الحَزن

دنانير

مولاة يحيى البرمكى

كانت دنانير مولاةَ يحيى بن خالد البرمكى . وكانت صفراء مولدة ، من أحسن الناس وجها ، وأظرفهن وأكملهن ، وأحسنهن أدبا ، وأكثرهن رواية للغناء والشعر.

ولها كتاب مجرد فى الأغانى مشهور. وكان اعتمادها فى غنائها على ما أخذته من بذل ، وهى خرّجتها ، وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بذل عنهم ، مثل : فليح وإبراهيم وابن جامع وإسحاق ونظرائهم .

وحدث المكى عن أبيه قال : كنت أنا وابن جامع نعالى دنانير جارية البرامكة فكثيرا ما كانت تغلبنا .

قال يحيى بن خالد لإبراهيم الموصلى : إن ابنتك دنانير قد عملت صوتا اختارته وأعجبت به ، فقلت لها : لا يشتد إعجابك حتى تعرضيه على شيخك ، فإن رضيه فارضيه لنفسك ، وإن كرهه فاكرهيه ، فامض حتى تعرضيه عليه . فقال له إبراهيم : أيها الوزير ، فكيف إعجابك أنت به ؟ فإنك والله ثاقب الفطنة صحيح التمييز . قال : أكره أن أقول لك : أعجبنى ، فيكون عندك غير معجب ، إذ كنت عندى رئيس صناعتك تعرف منها ما لا أعرف ، وتقف من لطائفها على ما لا أقف ؛ وأكره أن أقول لك : لا يعجبنى ، وقد بلغ من قلبى مبلغا محمودا ، وإنما السرور به إذا صادف ذلك منك استجادة وتصويبا . قال إبراهيم : فمضيت إليها ، وقد كان تقدم إلى خدمه يعلمهم أنه سيرسل بى إلى داره ، وقال لدنانير : إذا جاءك إبراهيم فاعرضى عليه الصوت الذى صنعته واستحسنته ، فإن قال لك : أصبت ،

سررتنى بذلك ، وإن كرهه فلا تعلميني لئلا يزول سروري بما صنعت . قال إبراهيم : فحضرت الباب فأُدخلت ، وإذا الستارة قد نُصبت ، فسلمت على الجارية من وراء الستارة . فردت السلام ، فقالت : يا أبت ، أعرض عليك صوتا قد تقدم لاشك إليك خبره ، وقد سمعت الوزير يقول : إن الناس يفتنون بغنائهم فيعجبهم منه مالا يعجب غيرهم ، وكذلك يفتنون بأولادهم فيحسن فى أعينهم منهم ما ليس يحسن ، وقد خشيت على الصوت أن يكون كذلك . فقال : هات . فأخذت عودها وتغنت تقول :

نفسي أكنتُ عليكِ مدعيًّا أم حين أزمع بَيْنَهُم خُنتِ
إن كنتِ مولعةً بذكرهمُ فعلى فِراقهم ألاّ مِتِّ

قال : فأعجبنى والله غاية العجب واستخفنى الطرب حتى قلت لها : أعيديه . فأعادته وأنا أطلب لها فيه موضعا أصلحه وأغيره عليها لتأخذ عنى ، فلا والله ما قدرت على ذلك ، ثم قلت لها : أعيديه الثالثة . فأعادته ، فإذا هو كالذهب المصفى ، فقلت : أحسنت يا بنية وأصبت ، وقد قطعت عليك بحسن إحسانك وجودة إصابتك فائدة للمعلمين ، إذ قد صرت تحسنين الاختيار وتجيدين الصنعة . ثم خرج ، فلقيه يحيي بن خالد ، فقال : كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير ؟ قال : أعز الله الوزير ، والله ما يحسن كثير من حذاق المغنين مثل هذه الصنعة ، ولقد قلت لها : أعيديه ، وأعادته علىّ مرات كل ذلك أريد إعنائها لأجتلب لنفسى مدخلا يؤخذ عنى وينسب إلى ، فلا والله ما وجدته . فقال لى يحيي : وصفك لها يقوم مقام تعليمك إياها ، وقد والله سررتنى ، وسأسرك . فوجه إلىّ بمال عظيم .

وكانت دنانير لرجل من أهل المدينة ، وكان خرّجها وأدبها ، فلما رآها يحيي وقعت بقلبه فاشتراها . وكان الرشيد يسير إلى منزله فيسمعها ، حتى ألفها واشتد

عجبه بها ، فوهب لها هبات سنية ؛ منها أنه وهب لها فى ليلة عقدا قيمته ثلاثون ألف دينار ، فرُد عليه فى مصادرة البرامكة بعد ذلك .

وعلمت أم جعفر خبره فشكته إلى عمومته فصاروا جميعا إليه فعاتبوه ، فقال : مالى فى هذه الجارية من أرب فى نفسها ، وإنما أربى فى غنائها ، فاسمعوها فإن استحقت أن يُؤلف غناؤها وإلا فقولوا ما شئتم . فأقاموا عنده ونقلهم إلى يحيى حتى سمعوها عنده ، فعذروه وعادوا إلى أم جعفر فأشاروا عليها أن لا تلح فى أمرها ، فقبلت ذلك وأهدت إلى الرشيد عشر جوار ، منهن جارية أم المعتصم ، ومراجل أم المأمون ، وفاردة أم صالح .

وأخذت دنانير عن إبراهيم الموصلى حتى كانت تغنى غناءه فتحكيه فيه ، حتى لا يكون بينهما فرق ، وكان إبراهيم يقول ليحيى : متى فقدتنى ودنانير باقية فما فقدتنى . وأصابتها العلة الكلبية فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدة ، فكان يحيى يتصدق عنها فى كل يوم من شهر رمضان بألف دينار ، لأنها كانت لا تصومه . وبقيت عند البرامكة مدة طويلة .

ودعا الرشيد بدنانير البرمكية بعد قتله إياهم فأمرها أن تغنى . فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنى آليت أن لا أغنى بعد سيدى أبدا . فغضب وأمر بصفعها . فصفعت وأقيمت على رجليها وأعطيت العود ، وأخذته وهى تبكى أحر بكاء ، واندفعت فغنت :

يا دار سلمى بنازح السَّنَد ... بين الثنايا ومَسقط اللَّبَد

لما رأيت الديار قد درست ... أيقنت أن النَّعيم لم يعد

فرق لها الرشيد وأمر بإطلاقها وانصرفت ، ثم التفت إلى إبراهيم بن المهدى فقال له : كيف رأيتها ؟ قال : رأيتها تختله برفق وتقهره بحذق .

وخطب عقيل مولى صالح بن الرشيد دنانير البرمكية ، وكان هويها وشغف

بذكرها، فردّته، واستشفع عليها مولاه صالح بن الرشيد وبذل والحسين بن محرز، فلم تجبه، فأقامت على الوفاء لمولاها، فكتب إليها عقيل قوله :

يا دنانيرُ قد تنكّر عقلى وتحيّرتُ بين وَعْد ومَطْل
شفِّعى شافعى إليك وإلاّ فاقتلينى إن كنت تهوَيْن قتلى
أنا بالله والأمير وما آ مُل من موعد الحَسين وبَذْل
ما أُحب الحياة يا أخت إنْ لم يجمع الله عاجلاً بكِ شملى

فلم يعطفها ذلك على ما يحب، ولم تزل على حالها إلى أن ماتت .

دوشار

لما هرب إبراهيم الموصلى إلى الموصل تزوج هناك امرأته دوشار . وفى دوشار هذه يقول إبراهيم :

دوشار يا سيّدتى وغايتى ومنيتى
ويا سرورى من جميع النّاس ردّى منيتى

وكانت تغنى بالدف، فهويها إبراهيم وتزوجها . ولم تلد من إبراهيم إلا بنتاً .

الذلفاء

قال أبو دهبل الجمحى : كنت أنا وأبو السائب المخزومى عند مغنية بالمدينة يقال لها الذلفاء، فغنتنا بشعر جميل بن معمر العذرى :

لهن الوَجى لَمْ كُنَّ عوناً على النّوى ولا زال منها ظالع وكَسيرُ
كأنى سُقيت السم يوم تحملوا وَجدَّ بهم حادٍ وحان مَسير

فقال أبو السائب : يا أبا دهبل ، نحن والله على خَطر من هذا الغناء ، فنسأل الله السلامة ، وأن يكفينا كل محذور . فما آمَن أن يُهجم بى على أمر يَهتكنى . وجعل يبكى .

وزار معبدٌ مالكَ بن أبى السمح فقال له : هل لك أن تصير إلى جميلة ؟ فمضيا جميعاً فقصداها ، فأذنت لهما فدخلا . فأخرجت إليهما رقعة فيها أبيات ، فقالت لمعبد : بعث بهذه الرقعة إلىّ فلان أغنى بها . فقال معبد : فابتدئى . فابتدأت جميلة فغنت :

إنما الذّلْفاء همى فَليدَعنى من يلوم

فغنى معبد : أحسن الناس جميعاً حين تمشى وتقوم

فغنت جميلة: حَبّب الذّلفاء عندى مَنطق منها رخيم

فغنى معبد : أصِل الحَبل لترضى وهى للحَبْل صَروم

فغنت جميلة: حبها فى القلب داء مُستكنٌّ لا يريم

والشعر للأحوص .

وهى التى فتن بها أهل المدينة . وقال بعض من كانت عنده بعد ماطلقها :

لا بارك الله فى دار عددت بها طلاقَ ذَلفاء من دار ومن بَلد

فلا يقولنْ ثلاثاً قائلٌ أبداً إنى وجدت ثلاثاً أنكد العدد

راحة

جارية عبد الله بن العباس الربيعى

صنع عبد الله بن العباس صوته :

أتانى يؤامرنى فى الصّبو ح ليلاً فقلت له غادها

فلما تأتى له وضرب عليه، عرضه على راحة جاريته فاستحسنته وأخذته عنه. وكانت تختلف إلى ابراهيم الموصلى . فسمعها يوما تغنيه وتناغى به جارية من جواريه . فاستعادها إياه ، وأعادته عليه .

رائقة

كانت الميلاء تغنى أغانى القيان من القدائم، مثل رائقة ، وكانت رائقة أستاذتها.

رباب

جارية الواثق

حدث يزيد بن محمد المهلبى قال : دخلت على الواثق يوما وهو خليفة، ورباب فى حجره جالسة وهى صبية وهو يلقى عليها قوله :

ضيعت عهدَ فتىً لعهدك حافظٌ ... فى حفظه عجبٌ وفى تضييعه

وهى تغنيه ويردده عليها ، فما أذكر أنى سمعت غناء قط أحسن من غنائهما جميعاً ، وما زال يردده عليها حتى حفظته .

الرباب

كانت عزة الميلاء تغنى أغانى القيان من القدائم مثل الرباب .

ربيحة الشماسية

من جوارى ابن رامين عبد الملك ، مولى عبد الملك بن بشر . وصارت

ربيحة إلى محمد بن سليمان ، وكانت حظية عنده . وعن جميلة أخذت الغناء .

ولما مات ابن عائشة قال أشعب : قد قلت لكم ولكنه لا يُغنى حذر من قدر: زوجوا ابن عائشة ربيحة الشماسية تخرج لكما بينهما مزامير داود ، فلم تفعلوا .

رحمة

وخرج مع جميلة من الرجال المشهورين الحذاق بالغناء ... ورحمة .

رذاذ

لما صنع رذاذ لحنه فى هذا الشعر :

فلو كان للشُّكر شخصٌ يَبين إذا ما تأمّله الناظرُ
لمثلّتُه لك حتى تراه لتَعلم أنى امرؤ شاكر

فغنى به الناس وكان هجّيراهم[1] زمانا .

الرطاب

الرطّاب ، مدنى قليل الصنعة ، ليس بمشهور . وقيل له الرطاب لأنه كان يبيع الرطب بالمدينة . وله فى هذا الشعر غناء :

يا أُم عَمرو لقد طالبتُ ودّكم جَهدى وأعذرت فيهِ كلّ إعذارِ
حتى سقمتُ وقد أصبحتِ سالمةً مما أُعالج من هَمٍّ وتذكار

---

(١) هجيراهم : عادتهم وديدنهم وشأنهم .

ريق

جارية ابراهيم بن المهدى

حدثت ريِّق قالت : مرض إبراهيم بن المهدى مرضة أشرف فيها على الموت ، فجعل يتذكر شغفه بالغناء وما سلف فيه ويتندم عليه . فقال له بعض من حضر : فتُب وأحرق دفاتر الغناء . فحرك رأسه ساعة ثم قال : يا مجانين ! فهبنى أحرقت دفاتر الغناء كلها ، ريِّق ايش أعمل بها ؟ أأقتلها وهى تحفظ كل شىء فى دفاتر الغناء .

وكانت ممن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدى واقتدى به .

قالت : خرجت يوما إلى سيدى — يعنى إبراهيم بن المهدى — وقد صنع لحنه فى :

وإذا تُباع كريمة أو تُشترى فسواك بائعها وأنت المشترى
وإذا صنعت صنيعة أتممتها بيدين ليس نداهما بمكدَّر

وجارية لنا رومية أعجمية لا تفصح فى أقصى الدار تكنس ، وهو يطرح الصوت على شارية ، والأعجمية تبكى أحر بكاء سمعته قط . فجعلتُ أعجب من بكائها وأنظر إليها حتى سكت . فلما سكت قطعت البكاء . فعلمت أن هذا من غلبته بحسن صوته لكل طبع فصيح أو أعجمى .

الزبير بن دحمان [١]

كان أحد المحسنين المتقدمين الرواة الضراب المتقدمين فى الصنعة . وقدم على الرشيد من الحجاز .

وكان المغنون فى أيامه ضربين : أحدهما فى ضرب إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق ، والآخر فى ضرب ابن جامع وابن المهدى . وكان إبراهيم بن المهدى أوكد أسباب هذا التحزب والتعصب ، لما كان بينه و بين إسحاق .

حماد بن إسحاق عن أبيه قال : لما قدم الزبير بن دحمان على الرشيد من الحجاز قدم معه رجل ما شئت من رجل عقلا ونبلا وديناً وأدبا وسكونا و وقارا . وكان أبوه قبله كذلك ، وقدم معه أخوه عبد الله . فلما وصلا إلى الرشيد وجلسا معنا تخيلت فى الزبير الفضل . فقلت لأبى : يا أبت ، أخُلِق الزبير أن يكون أفضل من أخيه ؟ فقال : هذا لا يجىء بالظن والتخيل ، والجواد إنما يمتحن فى الميدان . فقلت له : فالجواد عينه فُراره [٢] . فضحك وقال : ننظر فى فراستك . فلما غنيّا بانَ فضل الزبير وتقدُّمه . فاصطفاه أبى واصطفيته ، وقرّظناه ووصفناه وصار فى حيزنا .

وغنى الرشيدَ غناء كثيراً من غناء المتقدمين فأجاد وأحسن . وسأله الرشيد أن يغنيه شيئاً من صنعته ، فالتوى بعض الالتواء وقال : قد سمع أمير المؤمنين غناء الحذّاق من المتقدمين وغناء من بحضرته من خدمه ومَن وفد عليه من

---

(١) انظر نسبة فى ترجمة أبيه دحمان .

(٢) فراره ، بالضم وقد يفتح ، أى يغنيك شخصه ومنظره عن ان تختبره وأن تفرأسنانه .

الحجازيين ، وما عسى أن يأتى من صنعتى . فأقسم عليه أن يغنيه شيئاً من صنعته ، وجدّ به فى ذلك ، فكان أول صوت غناه منها :

إرحلا صاحبيّ حان الرحيلُ واْبكيا لى فليس تَبكى الطلولُ
قد تولّى النهار وانقضت الشمـ ـس يميناً وحان منها أفول

فطرب الرشيد واستعاد هذا الصوت ثلاث مرات ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ولأخيه بعشرين ألف درهم .

قال إسحاق : ولم يزل الزبير معنا ، وانحاز عبدالله إلى ابراهيم بن المهدى فكان معه .

قال حماد : فقلت لأبى : كيف كانت صنعة عبد الله ؟ قال : أنا أجمل لك القول : لو كان زبير مملوكا لاشتريته بعشرين ألف دينار ، ولو كان عبد الله مملوكا ما كابت نفسى على أن اشتريه بأكثر من عشرين ألف دينار .

وحدثوا أن الرشيد كتب فى إشخاص الزبير بن دحمان إلى مدينة السلام ، فوافاها واتفق قدومه فى وقت مخرج الرشيد إلى الرى لمحاربة بندار هرمز . فأقام الزبير بمدينة السلام إلى أن دخل الرشيد . فلما قدم دخل عليه بالخيزرانة ، وهو الموضع الذى يعرف بالشماسية ، فغناه فى أول غنائه صوتاً فى شعر فى مدح الرشيد وذكر خروجه إلى طبرستان وهو :

ألا إنّ حزب الله ليس بمُعجَز وأنصارُه فى مَنْعة المتحرِّز
أبى الله أن يُعصى لهارون أمرُه وذلّت له طوعاً يد المُتعزِّز
إذا الراية السوداء راحت أو اغتدت إلى هارِبٍ منها فليس بمُعجِز

فاستحسن الرشيد الشعر والغناء وأمر له بألف دينار . ومكث ساعة ثم غنى صوتاً ثانياً وهو :

وأحور كالغُصن يَشفى السَّقام ويَحكى الغزالَ إذا مارنا
شربتُ المُدام على وَجهه وعاطيتُه الكأسَ حتى انثنى
وقلتُ مديحاً أرجّى به مِن الأجر حظًّا ونَيل الغِنى
وأغنى بذاك الإمام الذى به الله أعطى العبادَ المُنى

فما فرغ من الصوت حتى أمر له بألف دينار آخر . وخف على قلبه واستظرفه، فأغناه فى مدة يسيرة من الأيام .

وكان الرشيد بعد قتله البرامكة شديدَ الأسف عليهم والتندم على مافعله بهم. ففطن لذاك الزبير بن دحمان ، فكان يغنيه فى هذا المعنى و يحركه ، فغنّاه يوماً :

مَن للخُصوم إذا جدّ اِلخصام بهم يوم النِّزال ومن للضَّمَّر القُود
وموقف قد كفيتَ الناطقين به فى مَجمع من نواصى الناسَ مشهود
فرّجته بلسان غير مُلتبس عند الحِفاظ وقولٍ غير مَردود

فقال له الرشيد : أعِد . فأعاد . فقال له : ويحك ، كأن قائل هذا الشعر يصف به يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى ، وبكى حتى جرت دموعه . ووصل الزبير صلة سنية .

وفى الزبير يقول إسحاق ، وله فيه غناء وهو :

أسْعد بَدَمْعك يا أبا العوّام صبًّا صريعَ هوًى ونِضْوَ سقَام
ذكر الأحبّةَ فاستُجن وهاجَه للشوق نَوحُ حَمامة وحمَام
لم يُبد ما فى الصدر إلا أنه حيّا العِراق وأهله بسلام
ودعاه داعٍ للهوى فأجابه شَوقاً إليه وقاده بزمام

وعن إسحاق قال : جاءنى الزبير بن دحمان ذات يوم مسلماً فاحتبسته .

فقال : قد أمرنى الفضلُ بن الربيع بأن أصيرَ إليه . فقلت :

أقم يا أبا العوّام ويحك تَشْرب وتلهو مع اللاهين يوماً وتطرب
إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه فخُذه بشكر واترك الفضلَ يَغْضب

قال : فأقام عندى فشربنا . ثم سار الزبير إلى الفضل فسأله عن سبب تأخره عنه . فحدثه الحديث ، وأنشده الشعر .

حدث إسحاق قال : كان عندى الزبير بن دحمان فغنيت :

أشاقتْك من أرض العِراق طلول تحمّل منها جِيرةٌ وحُمولُ

فقال لى الزبير أنت الأستاذ ابن الأستاذ ، وقد أخذت عن أبيك هذا الصوت وأنا أغنيه أحسن . فقلت له : والله إنى لأحب أن يكون ذلك كذلك . فغضب وقال : أنا والله أحسن غناء منك ، وتلاحينا . فقلت له : هلم نخرج إلى صحراء الرقة فيكون أكلنا وشربناهناك ، ونرضى فى الحكم أولَ من يطلع علينا . قال: أفعل . فأخرجنا طعامنا وشرابنا وجلسنا نشرب على الفرات . فأقبل حبشى . فقلت له : أترضى بهذا ؟ قال : نعم . فدعوناه فأطعمناه وسقيناه . وبدرنى الزبير بالغناء فغنى الصوت . فطرب الحبشى وحرك رأسه حتى طمع الزبير فىّ . ثم أخذت العود فتأملنى الحبشى ساعة ثم صاح : وأى شيطان أهوه . ومدبها صوته . فما أذكر أنى ضحكت مثل ضحكى . وانخزل الزبير .

غضب الرشيد على أم جعفر ثم ترضاها فأبت أن ترضى عنه . فأرق ليلة . ثم قال : افرشوا لى على دجلة . ففعلوا . فقعد ينظر الماء وقد رأى زيادة عجيبة . فسمع غناء فى هذا الشعر :

جرى السيلُ فاستبكانى السيلُ إذ جرى وفاضتْ له من مُقلتى غُروب
وما ذاك إلا حين خُبِّرت أنه يَمُر بوادٍ أنت منه قَريب
يكون أُجاجا ماؤه فإذا انتهى إليكم تلقّى طِيبكم فيَطيب

فيـاسا كِنى شرقىّ دِجلة كلـكم إلى القلب مِن أجل الحَبيب حبيب

فسأل عن الناحية التى فيها الغناء . فقيل : دار ابن المُسيب . فبعث إليه : أن ابعث بالمغنى . فإذا هو الزبير بن دحمان . فسأله عن الشعر . فقال : هو للعباس ابن الأحنف . فأحضر . واستنشده فأنشده إياه . وجعل الزبير يغنيه وعباس ينشده ، وهو يستعيدهما حتى أصبح وقام . فدخل على أم جعفر . فسألت عن سبب دخوله فعرفته . فوجهت إلى العباس بألف دينار و إلى الزبير بألف دينار .

وتشوق الرشيد بغداد وهو بالرقة ، فانحدر إليها . وأقام بها مدة وخلف هناك بعض جواريه ، وكانت حظية له فيهن ، خلّفها لمغاضبة كانت بينه و بينها . فتشوقها تشوقا شديدا وقال فيها :

سلامٌ على النازح المُغترب تحيّة صبٍّ به مكتئب

أيا مَن أعانَ على نفسه بتخليفه طائعا مَن أحبّ

سأستُر والستر مِن شيمتى هوَى من أُحب بمن لا أُحب

وجمع المغنين . فحضر إبراهيم الموصلى وابن جامع وفليح وزبير بن دحمان والمعلى بن طريف وحسين بن محرز وسليم بن سلام ويحيى المكى وابنه و إسحاق وأبو زكار الأعمى ، وأعطاهم الشعر وقال : ليعمل كل واحد منكم فيه لحنا . فعملوا فيه عشرين لحنا . فما أعجب منها إلا بلحن الزبير وحده . أعجب به إعجابا شديدا ، وأجازه خاصه دون الجماعة بجائزة سنية .

زرزور بن سعيد الكبير

حدث محمد بن المكى المرتجل قال : قلت لزرزور الكبير : كيف كان

اسحاق يتفق على الخلفاء معكم ، وأنت وابراهيم بن المهدى ومخارق أطيب أصواتا وأحسن نغمة ؟ قال كنا والله يابنى نحضر معه فنجتهد فى الغناء ، ونقيم الوهج فيه ، و يقبل علينا بعض الخلفاء حتى نطمع فيه ونظن أنا قد غلبناه . فإذا غنى عمل فى غنائه أشياء من مداراته وحذقه ولطفه حتى يسقطنا كلنا ، و يقبل عليه الخليفة دوننا و يجيزه دوننا و يصغى إليه ، و نرى أنفسنا اضطرارا دونه .

وحدث عافية بن شبيب قال : قلت لزرزر : مالكم تذلون لإسحاق هذا الذل وما فيكم أحد إلا وهو أطيب صوتا منه وما فى صناعتكم وصمة ؟ فقال : لا تقل ذلك ، فوالله لو رأيتنا معه لرحمتنا ورأيتنا نذوب كما يذوب الرصاص فى النار .

وعن عافية بن شبيب قال : قلت لزرزور بن سعيد : حدّثنى عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة ، وهو منقطع ذاهب وحلوقكم ليس مثلها فى الدنيا . فنال : كان والله لايزال بحذقه و رفقه وتأثيره ولطفه حتى نصير معه أقل من التراب .

وغنى زرزور الكبير فى مجلس الواثق صوتا الشعر فيه لأحمد بن عبد الوهاب أخى صالح والغناء لقلم الصالحية ، وهو :

أبت دارُ الأحبّة أن تبينا أجدَّك ما رأيت لها مُعينا
تقطعُ نفسُه من حُب ليلى نفوساً ما أُثِبْنَ ولا جُزينا

وحدث إسحاق بن عمر بن بزيع قال : أتيت مخارقاذات يوم ومعى زرزور الكبير لنقيم عنده ، فوجدته قد أخرج رأسه من حناح له وهو مشرف على المقابر و يغنى هذا البيت و يبكى :

* أين الملوك التى كانت مسلطة *

قال : فاستحسنا ما سمعنا منه استحسان من لم يسمع قط غناء غيره .

الزرقاء الزرادة

قال يزيد حوراء : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش ، فكانت تمر بى جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلم منها .

ولما حجت جميلة خرج معها من المغنيات . . . . والزرقاء .

زرنب

كانت عزة الميلاء تغنى أغانى القيان من القدائم مثل زرنب .

أبو زكار الأعمى

رجل من أهل بغداد ، من قدماء المغنيين . وكان منقطعا إلى آل برمك . وكانوا يؤثرونه و يفضلون عليه أفضالا .

قال مسرور : لما أمرنى الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه وعنده أبو زكار الأعمى وهو يغنيه بصوت لم أسمع بمثله :

فلا تَبْعد فكلُ فتىً سيأتى عليه الموتُ يَطْرُق أو يُغادِى

وكل ذخيرة لابد يوما وإنْ بقيتْ تصير إلى نفاد

ولو يَفدى من الحدثان شيء فديتك بالطَّريف و بالتِّلاد

نقلت له : فى هذا والله أتيتك . فأخذت بيده فأقمته وأمرت بضرب عنقه . فقال لى أبو زكار : نشدتك الله إلا ألحقتنى به . فقلت : وما رغبتك فى ذلك ؟ قال : إنه أغنانى عمن سواه بإحسانه فما أحب أن أبقى من بعده . فقلت : أستأمر أمير المؤمنين فى ذلك . فلما أتيت الرشيد برأس جعفر أخبرته بقصة أبى زكار . فقال لى : هذا رجل فيه مُصطنع فاضممه إليك ، فانظر ما يُجريه عليه فأتممه له .

قال حماد بن إسحاق : غنّى علوية يوما بحضرة أبى . فقال أبى : مه . هذا الصوت مُغْرِق فى العمى . الشعر لبشار الأعمى والغناء لأبى زكار الأعمى وأول الصوت : « عَمّيت أمرى » .

تشوق الرشيد بغداد وهو بالرقة فانحدر إليها وأقام بها مدة ، وخلف هناك بعض جواريه ، وكانت حظية له فيهن خلفها لمغاضبة كانت بينه وبينها ، فتشوقها تشوقا شديدا وقال فيها :

سلامٌ على النَّازح المُغْتربْ تحيّةَ صَبٍّ به مُكتئبْ
أيا من أعان على نفسه بتَخْليفه خائفاً مَن أحب
سأستر والسَّتر مِن شيمتى هوى من أُحب بمن لا أحب

وجمع المغنين . فحضر ابراهيم الموصلى وابن جامع وخليدة وزبير بن دحمان والمعلى بن طريف وحسين بن محرز وسليم بن سلام ويحيى المكى وابنه واسحاق وأبو زكار الأعمى ، وأعطاهم الشعر وقال ليعمل كل واحد منكم لحنا . فعملوا فيه عشرين لحنا .

زيد بن كعب

لم يكن بالحيرة مذكور فى الغناء سوى حنين إلا نفرا من السدريين يقال لهم : عباد يس وزيد بن الطليس وزيد بن كعب ومالك بن حممة . وكانوا يغنون غناء الحيرة بين الهزج والنصب ، وهو إلى النصب أقرب ، ولم يذروا منه شيئا لسقوطه وأنه ليس من أغانى الفحول .

سائب خاثر

أبو جعفر

كان سائب خاثر مولى بنى ليث . وأصله من فىء كسرى واشترى عبد الله ابن جعفر ولاءه من مواليه . وقيل بل اشتراه فأعتقه . وقيل بل كان على ولائه لبنى ليث ، وإنما انقطع إلى عبد الله بن جعفر ، فلزمه وعرف به .

واسم أبيه الذى أعتقه بنو ليث يشاء ، وهو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به .

وكان عبد الله بن عامر اشترى إماء نائحات وأتى بهن المدينة . فكان لهن يوم فى الجمعة يلعبن فيه . وسمع الناس منهن فأخذوا عنهن . ثم قدم رجل فارسى يسمى بنشيط فغنى . فأعجب عبد الله بن جعفر به ، فقال له سائب خاثر : أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسى بالعربية . ثم غدا على عبد الله جعفر وقد صنع :

* لمن الديارُ رسومها قَفْر *

وهو أول صوت غنى به فى الاسلام من الغناء العربى المتقن الصنعة ، ثم

اشترى عبد الله بن جعفر نشيطا بعد ذلك . فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربى.

ولم يكن سائب يضرب بالعود و إنما كان يقرع بقضيب و يغنى مرتجلا . ولم يزل يغنى .

و كان سائب من ساكنى المدينة . وكان تاجرا موسرا يبيع الطعام . وكان تحته أربع نسوة ، وكان يخالط سروات الناس وأشرافهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته . وكان قد آلى ألا يغنى أحدا سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولى عهد أو ابن خليفة . فكان على ذلك إلى أن قتل .

وأخذ عنه معبد غناء كثيرا فتحل الناس بعضه إليه ، وأهل العلم بالغناء يعرفون ذلك .

وزعم أن أم محمد بن عمر و الواقدى القاضى المحدث بنت عيسى بن جعفر ابن سائب خاثر .

وأول صوت صنعه فى شعر آمرئ القيس :

* أفاطم مهلاً بعض هذا التدلّل *

وأخذ معبد لحنه فيه فغنى عليه :

* أمن أل ليلى باللوى مُتربّع *

و وفد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر . فوقع له فى حوائجه . ثم عرض عليه حاجة لسائب خاثر . فقال معاوية : من سائب خاثر ؟ قال : رجل من أهل المدينة ليني يروى الشعر . قال : أو كل من روى الشعر أراد أن نصله ؟ قال : إنه أحسنه . قال : و إنْ أحسنه . قال : أفأدخله إليك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : فألبسته مِخْصرتين : إزارا ورداء . فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنى :

* لمن الدّيارُ رسومُها قَفْرْ *

فالتفت معاوية إلى عبد الله بن جعفر فقال : أشهد لقد حَسُنه . فقضى حوائجه وأحسن إليه .

وأشرف معاوية بن أبى سفيان ليلا على منزل يزيد ابنه، فسمع صوتا أعجبه واستخفه السماع فاستمع قائما حتى مَلّ . ثم دعا بكرسى فجلس عليه واشتهى الاستزادة ، فاستمع بقية ليلته حتى مل . فلما أصبح غدا عليه يزيد فقال له : يا بنى ، من كان جليسك البارحة ؟ قال : أى جليس يا أمير المؤمنين ، واستعجم عليه . قال :عَرِّفنى فإنه لم يخف على شىء من أمرك . قال : سائب خاثر . قال : فأجذل له يابنى من برك وصلتك . فما رأيت بمجالسته بأسا .

وقدم معاوية المدينة فى بعض ما كان يقدم ، فأمر حاجبه بالاذن للناس . فخرج الآذن ثم رجع فقال : ما بالباب أحد . فقال معاوية: وأين الناس ؟ قال : عند ابن جعفر . فدعا معاوية ببغلة فركبها ثم توجه إليهم ، فلما جلس ، قال بعض القرشيين لسائب خاثر : مُطْر فى هذا لك ، وكان من خَز ، إن أنت اندفعت تغنى ومشيت بين السماطين وأنت تغنى . فقام فمشى بين السماطين وغنى :

لنا الجَفَنَات الغُرّ يَلْمَعْن فى الضُّحى وأسيافُنا يَقْطُرن من نَجدة دَماَ

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت، وهو مُستحسن لذلك . ثم قام وانصرف إلى منزله، وأخذ سائب خاثر المطرف .

وقُتل سائب خاثر يوم الحرة ، وكان خشى على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدّثهم و يقول: أنا مغن ومن حالى وقصتى كيت وكيت . وقدخدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله . قالوا : فغن لنا . فجعل يغنى . فقام إليه أحدهم فقال له : أحسنت والله . ثم ضربه بالسيف فقتله . و بلغ يزيد خبره ومرّ به اسمه

فى أسماء من قتل يومئذ فلم يعرفه وقال : من سائب خاثر هذا ؟ فقيل له ، سائب خاثر المغنى . فعرفه . فقال : ويله ماله ولنا؟ ألم نحسن إليه ونصله ونخلطه بأنفسنا؟ فما الذى حمله على عدواننا ؟ لاجرم إنّ بغيه صرعه .

ومر به بعض القرشيين وهو قتيل فضربه برجله وقال: إن هاهنا لحنجرة حسنة.

وحدث مويلك عن أبيه قال : قال لى سائب خاثر يوم الحرة : هل سمعت شيئاً صنعته ؟ فغنانى صوته :

لمن طَلَلٌ بين الكُرَاع إلى القصْرْ يُغيِّب عنا آيَه سَبَل القَطْرْ (١)

إلى خالدات ما تريم وهامدٍ وأشْعث تُرْسِيه الوليدةُ بالفِهْرِ (٢)

قال : فسمعت عجبا . ثم ذكر أهله وولده فبكى . فقلت : وما يمنعك منهم . قال . أما بعد شىء سمعته ورأيته من يزيد بن معاوية فلا . ثم تقدم حتى قُتل ؟

ابن سريج

هو عبيد بن سُريج . ويكنى أبا يحيى . مولى بنى نوفل بن عبد مناف . وقيل :مولى لبنى الحارث بن عبد المطلب . وقيل: لبنى ليث . وقيل: مولى لبنى عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومنزله بمكة .

وكان آدم أحمر ظاهر الدم سُنَاطا (٣) ، فى عينيه قَبَل (٤) . بلغ خمسا وثمانين سنة ، وصُلع فكان يلبس جُمّة مركبة . وكان أكثر ما يرى مقنّعا .

---

(١) الكراع : واد .

(٢) الأشعث : الوتد . والفهر : حجر يملاء الكف

(٣) السناط : الذى لا لحية له ، أو الخفيف العارض . أو من لحيته بالذقن . وليس بالمعارضين شىء .

(٤) القبل فى العين : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى .

وكان مخنثا يلقب وجه الباب. وكان أبوه تركيا . وكان منقطعا إلى عبد الله ابن جعفر .

وكان أحسن الناس غناء ، وكان يغنى مرتجلا ويوقع بقضيب . وغنى فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه . ومات فى خلافة هشام بن عبد الملك . وقيل: مات بعد قتل الوليد بن يزيد . وكانت علته التى مات منها الجذام . وقبره بنخلة [١] ، قريبا من بستان ابن عامر [٢] .

وكان عوده من صنعة عيدان الفرس . وكان أول من ضرب به على الغناء العربى بمكة ، وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة ، فأعجب أهل مكة غناؤهم ، فقال ابن سريج : أنا أضرب به على غنائى ، فضرب به ، فكان أحذق الناس .

وأم ابن سريج مولاة لآل المطلب يقال لها رائقة وقيل : بل أمه هند أخت رائقة ، فمن ثم قيل إنه مولى بنى المطلب بن حنطب .

وكان أول من غنى الغناء المتقن بالحجاز بعد طُويس . وكان مولده فى خلافة عمر بن الخطاب . وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه. ومات فى خلافة هشام.

وكان قبل أن يغنى نائحا ، ولم يكن مذكوراً حتى ورد الخبر مكة بما فعله

---

(١) هى نخلة اليمانية ، واد به مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين .

(٢) بستان ابن عامر ، كذلك يسميه العامة ، وصوابه بستان ابن معمر ، لأنه كان لمعمر ابن عبد الله بن معمر ، وهو مجتمع النخلتين .

مُسرف بن عقبة [١] بالمدينة ، فعلا على أبى قبيس وناح بشعر هو داخل فى أغانيه :

يا عين جُودى بالدموع السِّفاح وابكى على قتلى قُرَيش البِطاح

فاستحسن الناس ذلك منه ، وكان أول ما ندب به .

وحدثوا أن سكينة بنت الحسين عليهما السلام بعثت إلى ابن سريج بشعر أمرته أن يصوغ فيه لحنا يناح به ، فصاغ فيه . وهو الآن داخل فى غنائه ، والشعر :

يا أرض ويحك أكرمى أمواتى فلقد ظفرتِ بسادتى وحُماتى

فقدّمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف .

و بعثت سكينة إليه بمملوك لها يقال له عبد الملك ، وأمرته أن يعلمه النياحة. فلم يزل يعلمه مدة طويلة . ثم توفى عمها أبو القاسم محمد بن الحنفية عليه السلام . وكان ابن سريج عليلا علة صعبة ، فلم يقدر على النياحة . فقال لها عبدها عبد الملك : أنا أنوح لك نوحا أنسيك به نوح ابن سريج . قالت : أو تحسن ذاك ؟ قال : نعم . فأمرته فناح . فكان نوحه فى الغاية من الجودة . وأفاق ابن سريج من علته بعد أيام وعرف خبر وفاة ابن الحنفية . فقال لهم : فمن ناح عليه؟ قالوا : عبد الملك غلام سكينة . قال : فهل جَوّز الناسُ نوحه ؟ قالوا : نعم ، وقدمه بعضهم عليك . فحلف ابن سريج لا ينوح بعد ذلك اليوم ، وترك النوح وعدل إلى الغناء ، فلم ينح حتى ماتت حبابة ، وكانت قد أخذت عنه وأحسنت إليه ، فناح عليها ، ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك . ثم لم ينح بعده حتى هلك .

---

(١) هو لقب مسلم بن عقبة المرى صاحب وقعة الحرة الذى وجهه يزيد بن معاوية فى جيش عظيم لقتال ابن الزبير بالمدينة ، فقاتل أهلها وهزمهم وأباح المدينة ثلاثة أيام . وقد لقب مسرفا لانه أسرف فى القتل فى هذه الوقعة .

وكان ابن سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انقطع إلى الحكم بن المطلب ابن عبد الله بن المطلب بن حنطب ، أحد بنى مخزوم . وكان من سادة قريش ووجوهها .

وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن منجم . وأصل الغناء أربعة نفر : مكيان ومدنيان ، فالمكيان : ابن سريج وابن محرز ، والمدنيان : معبد ومالك .

وشهر ابن سريج بالغناء فى ختان ابن مولاه عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى حسين . قال لأم الغلام : خفضى عليك بعض الغرم والكلفة ، فوالله لأهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به ولا ما عزمت عليه .

وسئل هشام بن المُرِّيّة ، وكان قد عمر ، وكان عالما بالغناء فلا يبارى فيه من أحذق الناس بالغناء ؟ فقال : ما خلق الله تعالى بعد داود النبى عليه الصلاة السلام أحسن صوتا من ابن سريج ، ولا صاغ الله عز وجل أحذق منه بالغناء . ويدلك على ذلك أن معبدا كان إذا أعجبه غناؤه قال : أنا اليوم سريجى .

قال إبراهيم : أدركت يونس بن محمد الكاتب فحدثنى عن الأربعة : ابن سريج وابن محرز والغريض ومعبد . فقلت له : من أحسن الناس غناء ؟ فقال : أبو يحيى . قلت : عبيد بن سريج ؟ قال : نعم . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إن شئت فسرت لك وإن شئت أجملت . قلت : أجمل . قال : كأنه خلق من كل قلب ، فهو يغنى لكل إنسان ما يشتهى .

ولقى عطاء بن أبى رباح ابن سريج بذى طُوى [1] وعليه ثياب مصبغة ، وفى يده جرادة مشدودة الرجل بخيط يطيرها ويجذبها به كلما تخلفت . فقال له

---

(١) ذو طوى : موضع عند مكة .

له عطاء : ألا تكف عما أنت عليه ، كفى الله الناس مئونتك . فقال ابن سريج : وما على الناس من تلوينى ثيابى ولعبي بجرادتى . فقال له : تفتنهم أغانيك الخبيثة . فقال له ابن سريج : سألتك بحق من تبعته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليك ، إلا ما سمعت منى بيتاً من الشعر ، فإن سمعت منكرا أمرتنى بالإمساك عما أنا عليه . وأنا أقسم بالله وبحق هذه البنية لئن أمرتنى بعد استماعك منى بالإمساك عما أنا عليه لأفعلن ذلك . فأطمع ذلك عطاء فى ابن سريج ، وقال : قل . فاندفع يغنى بشعر جرير :

إنّ الذين غَدَوا بُلبك غادَروا ... وَشَلاً بعَينك لا يزال مَعِينا (١)

غَيَّضن من عَبَراتهن وقُلْن لى ... ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

فلما سمعه عطاء اضطرب اضطرابا شديدا ودخلته أريحية فحلف ألا يكلم أحدا بقية يومه إلا بهذا الشعر . وصار إلى مكانه من المسجد الحرام . فكان كل من يأتيه سائلا عن حلال أو حرام أو خبر من الأخبار لا يجيبه إلا بضرب إحدى يديه على الأخرى وينشد هذا الشعر ، حتى صلى المغرب . ولم يعاود ابن سريج بعد هذا ولا تعرض له .

ولما قال عمر بن أبى ربيعة :

نظرتُ إليها بالمُحصَّب من مِنًى ... ولى نَظَرٌ لولا التَّحرّج عارِمُ

غنى فيه ابن سريج . وحج يزيد بن عبد الملك فى تلك السنة بالناس . وخرج عمر بن أبى ربيعة ومعه ابن سريج على نجيبين رحالتاهما ملبستان بالديباج

---

(١) المعين ، الجارى السائل على وجه الارض .

وقد خضبا النجيبين ولبسا حلتين . فجعلا يتلقيان الحاج و يتعرضان للنساء إلى أن أظلم الليل . فعدلا إلى كثيب مشرف ، والقمر طالع بضىء ، فجلسا على الكنيب . وقال عمر لابن سريج : غننى صوتك الجديد . فاندفع يغنيه . فلم يستتمه إلا وقد طلع عليه رجل راكب على فرس عتيق فسلم ثم قال : أيمكنك — أعزك الله — أن ترد هذا الصوت ؟ قال : نعم ونعمة عين . على أن تنزل وتجلس معنا . قال : أنا أعجل من ذلك ، فان أجملت وأنعمت أعدته ، وليس عليك من وقوفى شىء ولا مئونة . فأعاده . فقال له : بالله أنت ابن سريج ؟ قال : نعم . قال : حياك الله ، وهذا عمر بن أبى ربيعة ؟ قال : نعم . قال : حياك الله يا أبا الخطاب . فقال له : وأنت فحياك الله . قد عرفتنا فعرفنا نفسك . قال : لا يمكننى ذلك . فغضب ابن سريج وقال : والله لو كنت يزيد بن عبد الملك لما زاد . فقال له : أنا يزيد بن عبد الملك . فوثب إليه عمر فأعظمه . ونزل ابن سريج إليه فقبل ركابه . فنزع حلته وخاتمه فدفعهما إليه ، ومضى يركض حتى لحق ثقله . فجاء ابن سريج إلى عمر فأعطاه إياهما وقال له : إن هذين بك أشبه منهما بى . فأعطاه عمر ثلاثمائة دينار وغدا فيهما إلى المسجد . فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون و يقولون : كأنهما والله حلة يزيد بن عبد الملك وخاتمه ، ثم يسألون عمر عنهما فيخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك .

وحدث الجمحى قال : حدث عمر بن أبى خليفة قال : كان أبى نازلا فى عُلْوٍ وكان المغنون يأتونه . قال : فقلت : فأيهم كان أحسن غناء ؟ قال : لا أدرى ، إلا أنى كنت أراهم إذا جاء ابن سريج سكتوا .

وخرج ابن الزبير ليلة إلى أبى قُبيس فسمع غناء . فلما انصرف رآه أصحابه وقد حال لونه . فقالوا : إن بك لشرًّا . قال : إنه ذاك . قالوا : وما هو ؟

قال : لقد سمعت صوتا إن كان من الجن إنه لعجب ، و إن كان من الإنس فما انتهى منتهاه شيء . قال : فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنى :

أمن رَسْم دار بوادى غُدَرْ لجارية من جوارى مُضر (١)
خَدَلَّجة الساق مَمْكوره سَلُوس الوشاح كمثل القمر (٢)
تزين الوشاحَ إذا ما بدت ويُبْهت فى وجهها من نظر (٣)

ومر عمر بن عبد العزيز فسمع صوت ابن سريج وهو يغنى :

بَتَّ الخليط قُوى الحيل الذى قطعوا

فقال عمر : لله در هذا الصوت لو كان بالقرآن .

وقال إسحاق الموصلى : غنى ابن سريج ثمانية وستين صوتا . فقال له إبراهيم ابن المهدى : ما تجاوز قط ثلاثة وستين صوتا . فقال : بلى . ثم جعلا ينشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغ ثلاثة وستين صوتا وهما يتفقان على ذلك . ثم أنشد إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصوات أيضا . فقال له إبراهيم صدقت ، هذا من غنائه ، ولكن لحن هذا الصوت نقله من لحنه فى الشعر الفلانى ولحن الثانى من لحنه الفلانى ، حتى عد له الخمسة الأصوات . فقال له إسحاق : صدقت. ثم قال له إبراهيم : إن ابن سريج كان رجلا عاقلا أديبا ، وكان يغنى الناس بما يشتهون ، فلا يغنيهم صوتا مُدح به أعداؤهم ، ولا صوتا عليهم فيه غضاضة . ولكنه يعدل بتلك الألحان إلى أشعاره فى أوزانها ، فالصوتان واحد لا ينبغى أن نعدهما اثنين عند التحصيل منا لغنائه . فصدقه إسحاق .

---

(١) غدر (كزفر) : من مخاليف اليمن .
(٢) الخدلجة : الريا الممتلئة الذراعين والساقين . والممكورة : المطوية الخلق المكتنزة اللحم .
(٣) سلوس الوشاح : قلقة الوشاح لدمته .

وقدم فتيان من بنى أمية يريدون مكة ، فسمعوا معبدا ومالكا فأعجبوا بهما، ثم قدموا مكة فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضا . فأتوا صديقا له فسألوه أن يسمعهم غناءه . فخرج معهم حتى دخلوا عليه . فقالوا : نحن فتيان من قريش أتيناك مسلمين عليك وأحببنا أن نسمع منك . فقال : أنا مريض كما ترون . فقالوا : إن الذى نكتفى به منك يسير . وكان ابن سريج أديبا طاهر الخلق عارفا بأقدار الناس . فقال : يا جارية ، هاتى جلبابى وعودى . ثم أخذ العود فغناهم ، فأرخى ثوبه على عينيه وهو يغنى ، حتى إذا اكتفوا ألقى عوده وقال : معذرة . وانصرفوا يتعجبون مما سمعوا . فمروا بالمدينة منصرفين فسمعوا من معبد ومالك فجعلوا لا يطربون لهما ولا يعجبون بهما ، كما كانوا يطربون . فقال أهل المدينة : نحلف بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج . قالوا : أجل ، لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثله قط ، ولقد نغص علينا ما بعده .

وقال إبراهيم الموصلى : غناء كل مغن مخلوق من قلب رجل واحد ، وغناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعا . وكان يقول : الغناء على ثلاثة أضرب مُلْهٍ مطرب يُحرك ويَستخف ، وضرب ثانٍ له شجًا ورقة ، وضرب ثالث حكمة وإتقان صنعة . قال : وكل هذا مجموع فى غناء ابن سريج .

وكتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة : أن أشخص إلىّ ابن سريج . فأشخصه : فلما قدم مكث أياما لا يدعو به ولا يلتفت إليه . ثم إنه ذكره فقال : ويلكم ! أين ابن سريج ؟ قالوا : هو حاضر . قال علىّ به . فقالوا : أجب أمير المؤمنين . فتهيأ ولبس وأقبل حتى دخل عليه فسلّم . فأشار إليه أن اجلس . فجلس بعيدا . فاستدناه فدنا حتى كان قريبا منه . وقال : ويحك يا عبيد ! لقد بلغنى عنك ماحملنى على الوفادة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظرف

لسانك وحلاوة مجلسك . قال : جعلت فداءك يا أمير المؤمنين ، تسمع بالمعيدى خير من أن تراد . قال الوليد : إنى لأرجو ألا تكون أنت ذاك . ثم قال : هات ما عندك . فاندفع ابن سريج فغنى بشعر الأحوص :

أمنزلتَىْ سَلْمى على القِدَم اسْلما فقد هجتُما للشوق قَلباً مُتيَّما

فقال الوليد : أحسنت والله وأحسن الأحوص . علىّ بالأحوص . ثم قال : ياعبيد ، هيه . فغنّاه بشعر عدى بن الرقاع العاملى يمدح الوليد :

طار الكَرَى وألمَّ الهمُّ فاكتتعا وحيل بينى و بين النَّوم فامتنعا [1]

فقال له الوليد : صدقت يا عبيد ، أنّى لك هذا ؟ قال : هو من عند الله . قال الوليد : لو غير هذا قلت لأحسنت أدبك . قال ابن سريج : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ثم قال الوليد : غنّنى . فغناه بشعر عدى يمدح الوليد :

عرف الديار توهماً فاعتادها من بعد ماشمل البِلَى أبلادها [2]

فأشار الوليد إلى بعض الخدم فغطوه بالخلع و وضعوا بين يديه كيسا من الدنانير و بدرا من الدراهم .

وعاتبه رجل من قريش يوما على الغناء وأنكره عليه وقال له : لو أقبلت على غيره من الأدب لكان أزين بموالىك و بك . قال : جعلت فداك ، امرأته طالق إن أنت لم تدخل الدار . فدخل ودخل القوم معه . فلما توسطوا الدار قال : امرأته طالق إن أنت لم تسمع غنائى . فقال : اعزب عنى يا لكع . ثم بدر الشيخ ليخرج . فقال له أصحابه : أتطلق امرأته وتحمل وزر ذلك . قال : فوزر الغناء

---

(١) اكتتع : دنا و حضر .

(٢) اعتادها : أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها . والأبلاد : الاثار ، جمع بلد .

أشد . قالوا : كلا . ما سوّى الله عز وجل بينهما . فأقام الشيخ مكانه . ثم اندفع ابن سريج يغنى فى شعر عمر بن أبى ربيعة فى زينب :

أليست بالتى قالت لمولاةٍ لها ظهرَا
أشيرى بالسلام له إذا هو نحونا خطرَا

فقال للجماعة : هذا والله حسن ، ما بالحجاز مثله ولا فى غيره . وانصرفوا .

وسأل الفضل بن يحيى إبراهيم الموصلى ليلة ، وقد أخذ منه الشراب ، عن أحسن الناس غناء . فقال له : من النساء أم من الرجال ؟ قال : من الرجال . قال : ابن محرز . فقال : فمن النساء ؟ قال : ابن سريج . قال إسحاق الموصلى : ويقال : أحسن الرجال غناء من تشبه بالنساء ، وأحسن النساء غناء من تشبه بالرجال . وكان ابن سريج كأنه خلق من قلب كل واحد فهو يغنى له بما يشتهى .

وقال ابن سريج : مررت ببعض أندية مكة وفيه جماعة ، فحصرت [1] فقلت : كيف أجوزهم مع تعبى وما أنا فيه . فسمعتهم يقولون : قد جاء ابن سريج . فقال بعضهم ممن لم يعرفنى : ومن ابن سريج ؟ فقال : الذى يغنى :

ألا هل هاجك الأظعا ن إذ جاوزن من طَلَحَا [2]

قال ابن سريج : فلما سمعت ذلك قويت نفسى ومررت بهم أخطر فى مُصبَّغاتى . فلما حاذيتهم قاموا بأجمعهم فسلموا علىّ ثم قالوا لأحداثهم : امشوا مع أبى يحيى .

وقال ابن سريج : دعانى فتية من بنى مروان . فدخلت إليهم وأنا فى ثياب

---

(١) حصرت ، أى أحجمت عن المرور عليهم .
(٢) طلح : كل وأعيا .

الحجاز الغلاظ الجافية ، وهم فى القوهى[١] والوشى يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية[٢] فغنيتهم وأنا محتقر لنفسى عندهم لحناً لى ، وهو :

أبا لفُرع لم تظعن مع الحى زينبُ بنفسى على النأى الحبيب المغيَّبُ

قال: فقضاءلوا فى عينى حتى ساويتهم فى نفسى لِمَا رأيتهم عليه من الإعظام لى . ثم غنيتهم :

ودِّع لُبابة قبل أن تترحّلاَ واسأل فإنّ قُلاَله أن تسألا

فطربوا وعظمونى وتواضعوا لى حتى صرت فى نفسى بمنزلتهم ، لِمَا رأيتهم عليه ، وصاروا فى عينى بمنزلتى . ثم غنيتهم :

ألا هل هاجك الأظعا ن إذ جاوزن مَنْ طَلَحا

فطربوا ومثلوا بين يدى ، ورموا بحُللهم كلها علىّ حتى غطونى بها . فمثلت لى نفسى أنها نفس الخليفة وأنهم لى خَوَل . فما رفعت طرفى إليهم بعد ذلك تيهاً.

وقدم جرير المدينة — أو مكة — فجلس يوما مع قوم . فجعلوا يعرضون عليه غناء رجل رجل من المغنين ، حتى غنوه لابن سريج . فطرب وقال : هذا أحسن ما أسمعتمونى من الغناء كله . قالوا : وكيف قلت ذلك يا أبا حَزْرة ؟ قال : مخرج كل ما أسمعتمونى من الغناء من الرأس ، ومخرج هذا من الصدر.

وسأل محمد بن سلام جريرا المدينى عن ابن سريج . فقال : أتذكره ويحك باسمه ولا تقول : سيد من غنى وواحد من ترنم.

وسأل مالك بن أبى السمح ابن سريج عن قول الناس : فلان يصيب وفلان

---

(١) القوهي : نسبة إلى قوهستان كورة فى فارس ، وهى ثياب بيض . وكل ثوب يشبهها يقال له قوهى ، وإن لم يكن منها.

(٢) الهرقلية : نسبة إلى هرقل ، أحد ملوك الروم ، وهو أول من ضرب الدنانير .

يخطئ، وفلان يحسن وفلان يسىء . فقال : المصيب المحسن من المغنين هو الذى يشبع الألحان ، ويملأ الأنفاس ، ويعدل الأوزان ، ويفخم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الإعراب ، ويستوفى النغم الطوال ، ويحسن مقاطيع النغم القصار ، ويصيب أجناس الإيقاع ، ويختلس مواقع النبرات ، ويستوفى ما يشاكلها فى الضرب من النقرات . فعرضت ما قال على معبد ، فقال : لو جاء فى الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا .

وقال يزيد بن عبد الملك يوما لحبابة : أتعرفين أحدا هو أطرب منى ؟ قالت : نعم ، مولاى الذى باعنى . فأمر بإشخاصه . فأشخص إليه مقيّدا . وأعلم بحاله . فأذن فى إدخاله . فمثل بين يديه وحبابة وسلامة تغنيان . فغنته سلامة لحن الغريض فى :

* تشطّ غدا دارُ جيراننا *

فطرب وتحرك فى أقياده . ثم غنته حبابة لحن ابن سريج المجرد فى هذا الشعر . فوثب وجعل يحجل فى قيده ويقول : هذا وأبيكما مالا تُعذلان فيه . حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فاحترقت . وجعل يصيح : الحريق الحريق يا أولاد الزنا . فضحك يزيد وقال : هذا والله أطرب الناس حقا . ووصله وسرحه إلى بلده .

وتوفى ابن سريج بالعلة التى أصابته من الجذام بمكة فى خلافة سليمان بن عبد الملك فى آخر خلافة الوليد بمكه . ودفن فى موضع بها يقال له : دَسم .

سعاد

حدث إسحاق قال : عرضت على الوليد بن يزيد جارية صفراء كوفية مولدة يقال لها سعاد . فقال لها : أى شىء تحسنين ؟ فقالت : أنا مغنية . فقال لها : غنينى . فغنت :

لولا الذى حُمِّلت من حُبِّكم لكان فى إظهاره مخرجُ
أو مذهب فى الأرض ذو فسحة أجل ومن حَجّت له مذحج
لكنْ سَبانى منكمُ شادنٌ مُربٌّ ذو غُنة أدْعج
أغرّ نَمكور هضيم الحشا قد ضاق عنه الحِجل والدُّملج

فطرب طربا شديدا وقال : يا غلام ، اسقنى . فسقاه عشرين قدحا ، وهو يستعيدها . ثم قال لها : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للحارث بن خالد . قال : وممن أخذته ؟ قالت : من حُنين . قال : وأين لقيته ؟ قالت : رُبيت بالعراق وكان أهلى يجيئون به فيطارحنى . فدعا صاحبه فقال : اذهب فابتعها بما بلغت ولا تراجعنى فى ثمنها . ففعل . ولم تزل عنده حظيّة .

سعدة

جارية ابن رامين

ابن رامين ، هو عبد الملك بن رامين . ومن جواريه : سعدة وفيها يقول إسماعيل بن عمار الأسدى :

يا سعدة القينة البيضاء أنت لنا أُنس لأنك فى دار ابن رامين
لا تحسبن بياضَ الجص يؤنسنى وأنت كنت كمثل الخزّ فى اللِّين

واشترى صالح بن على سُعدة بتسعين ألف درهم .

وقال إسماعيل بن عمار : كنت أختلف إلى منزل ابن رامين فأسمع جاريته الزرقاء وسعدة ، وكانت سعدة أظرف من الزرقاء ، فأعجبتُ بها ، وعلمتْ ذلك منى ، وكانت كاتبة ، فكتبتُ إليها أشكو ما ألقى بها . فوعدتنى . فكتبت إليها رقعة مع بعض خدمهم :

يارب إنّ ابن رامين له بقر ... عين وليس لنا غير البراذين

قال : فجاءنى الخادم وقال : ما زالت تقرأ رقعتك وتضحك من قولك :

فإن تجودى بذاك الشىء أحْىَ به ... وإن بخلت به عنى فزنّينى

وكتبت إلىّ : حاشاك من أن أزنيك ، ولكنى أسير إليك فأغنيك وألهيك وأرضيك . وصارت إلىّ فأرضتنى بعد ذلك .

وحدث ابن أبى الصباح قال : أتيت منزل ابن رامين مع رجل من قريش فأخرج الزرقاء وسعدة . فقام القرشى ليبول وترك مطرفه . فلبسته سعدة وخرجت . فرجع القرشى وعليها المطرف قد خاطته فصار درعا ، فقال : أرأيتم أسرع من هذا؟ صار المطرف درعا . فقال القرشى : هو لكِ . قال : وعلىّ طيلسان مثنى . فأردت أن أبول فلففته وقمت . فقالت سعدة : دع طيلسانك . فقلت : لا أدعه ، أخاف أن يتحول مطرفا .

وخرجت مع جميلة لما حجت .

سعيد بن جابر

هو الذى يقول فيه حسين بن الضحاك ، وكان نديمه :

* يا سعيد وأين منى سعيد *

وحدث عمرو بن بانة أنهم كانوا عند صالح بن الرشيد . فقال : لست تطرح على جوارى وغلمانى ما أستجيده ؟ فقال له : ويلك ، ما أغضبك . ابعث إلى منزلى فجىء بالدفاتر واختر منها ماشئت حتى ألقيه عليهم . فبعث إلى منزلى فجىء إليه بدفاتر الغناء ، فأخذ منها دفترا ليتخير مما فيه . فمر به شعر الحسين بن الضحاك يرثى الأمين ويهجو المأمون ، وهو :

أطِلْ حزنا وابك الامام محمدا بحزن و إن خِفت الحسام المهندا
فلا تَمَّت الأشياءُ بعد محمد ولا زال شمل الملك منها مبدّدا
ولا فَرح المأمون بالملك بعده ولا زال فى الدنيا طريدا مشردا

فقال لى صالح : أنت تعلم أن المأمون يجىء إلىّ فى كل ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلا ؟ ثم دعا بسكين فجعل يحكه . وصعد المأمون من الدرجة . و رمى صالح الدفتر . فقال المأمون : يا غلام ، الدفتر . فأتى به فنظر فيه ووقف على الحك . فقال : إن قلت لكم ما كان فيه تصدقونى ؟ قلنا : نعم . قال : ينبغى أن يكون أخى قال لك : ابعث فجىء بدفاترك ليتخير ما تطرح ، فوقف على هذا الشعر فكره أن أراه فأمر بحكه . قلنا : كذا . فقال : غنه يا عمرو . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الشعر لحسين بن الضحاك والغناء لسعيد بن جابر . فقال : وما يكون ، غنه . فغنيته .

أبو سعيد

مولى فائد

اسمه إبراهيم . و يعرف فى الشعراء بابن أبى سنة مولى بنى أمية ، وفى المغنين بأبى سعيد مولى فائد . وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

كان شاعرا مجيدا ، ومغنيا ، وناسكا بعد ذلك فاضلا ، مقبول الشهادة بالمدينة معدلا . أخذت عنه بذل . ولقبه إبراهيم بن المهدى و إسحاق الموصلى وذووهما . وله قصائد جياد فى مراثى بنى أمية الذين قتلهم عبد الله وداود ، ابنا على بن عبد الله بن العباس .

وأمره المهدى أن يغنى له :

لقد طُفت سبعا قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لا علىّ ولا ليا

و رفق به وأدنى مجلسه . وقد كان نسك. فقال : أو أغنيك يا أمير المؤمنين أحسن منه ؟ قال : أنت وذاك . فقال :

إن هذا الطويل من آل حفص نَشر المجد بعد ما كاد ماتا

و بنـاه على أساس وثيق وعِماد قـد أثبتت إثباتا

مثل ما قد بنى له أوّلوه وكذا يُشبه البُناةُ البُناتا

ـ الشعر والغناء لأبى سعيد ـ فأحسن. فقال له المهدى : أحسنت ياأباسعيد . فغننى : « لقد طفت سبعا » . قال : أو أغنيك أحسن منه ؟ قال : أنت وذاك . فغناه :

قَدِم الطويلُ فأشرقت واستبشرت أرضُ الحجاز وبان فى الأشجار

إنّ الطويل من آل حفص فاعلموا ساد الحُضورَ وساد فى الأسفار

فأحسن فيه . فقال : غننى : « لقد طفت سبعا » فقد أحسنت فيما غنيت ، ولـكنا نحب أن تغنى مادعوناك إليه . فقال : لاسبيل إلى ذلك ياأمير المؤمنين، لأنى رأيت رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فى منامى وفى يده شىء لا أدرى ما هو ، وقد رفعه ليضرب بنى به ، وهو يقول : يا أبا سعيد ، لقد طفت سبعا ، لقد طفت سبعا ، سبعا طفت ، ما صنعت بأمتى فى هذا الصوت ؟ فقلت له : بأبى أنت وأمى ، اغفرلى ، فو الذى بعثك بالحق واصطفاك بالنبوة لاغنيت هذا الصوت أبدا . فردّ يده . ثم قال : عفا الله عنك إذاً . ثم انتبهت . وما كنت لأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فى منامى فأرجع عنه فى يقظتى . فبكى المهدى وقال : أحسنت يا أبا سعيد ، أحسن الله إليك ، لا تعد فى غنائه . وحباه وكساه وأمر برده إلى الحجاز .

قال إبراهيم بن المهدى : كنت بمكة فى المسجد الحرام ، فإذا شيخ قد

طلع ، وقد قلب إحدى نعليه على الأخرى وقام يصلى . فسألت عنه . فقيل لى : هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلت لبعض الغلمان : احصبه . فحصبه . فأقبل عليه وقال : ما يظن أحدكم إذا دخل المسجد إلا أنه له . فقلت للغلام : قل له يقول لك مولاى : ابلغنى . فقال ذلك له . فقال له أبو سعيد : من مولاك حفظه الله ؟ قال : مولاى إبراهيم بن المهدى ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد ، وقام فجلس بين يدّى وقال : لا والله ، بأبى أنت وأمى ، ما عرفتك . فقلت : لا عليك ، أخبرنى عن هذا الصوت :

أفاض المدامع قَتْلَى كَدُىَ ... وقتلَى بكُثْوة لم تُرمِس (١)

قال : هو لى . قلت : ورب هذه البِنْية لا تبرح حتى تغنيه . قال : ورب هـذه البنية لا تبرح حتى تسمعه . قال : ثم قلب إحدى نعليه وأخـذ بعقب الأخرى وجعل يقرع بحرفها على الأخرى و يغنيه حتى أتى عليه . فأخذته منه .

وحضر أبو سعيد مولى فائد مجلسَ محمد بن عمران التيمى ، قاضى المدينة لأبى جعفر ، وكان مقدّما لأبى سعيد ، فقال له ابن عمران التيمى : يا أبا سعيد ، أنت القائل :

لقد طفت سبعا قلت لما قضيتها ... ألا ليت هذا لا علىّ ولا ليا

فقال : أى لعمر أبيك ، و إنى لأدمجه إدماجا من لؤلؤ . فرد محمد بن عمران شهادته فى ذلك المجلس . وقام أبو سعيد من مجلسه مغضبا وحلف ألا يشهد عنده أبدا . فأنكر أهل المدينة على ابن عمران رده شهادته وقالوا : عرّضت حقوقنا للتواء وأموالنا للتلف ، لأنا كنا نشهد هذا الرجل لعلمنا بما كنت عليه والقضاة قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله . فندم ابن عمران بعد ذلك على رد

---

(١) كدى : موضع بمكة .

شهادته ، ووجه إليه يسأله حضور الشهادة فى مجلسه ليقضى بشهادته . فامتنع وذكر أنه لا يقدر على حضور مجلسه ليمين لزمته إن حضره حنث . فكان ابن عمران بعد ذلك إذا ادعى أحد عنده شهادة أبى سعيد صار إلى منزله أو مكانه من المسجد حتى يسمع منه و يسأله عما يشهد به فيخبره . وكان محمد بن عمران كثير اللحم عظيم البطن كبير العجيزة صغير القدمين دقيق الساقين يشتد عليه المشى . فكان كثيرا ما يقول : لقد أتعبنى هذا الصوت « لقد طفت سبعا » وأضرّبى ضررا طويلا شديدا ، وأنا رجل ثقال ، بترددى إلى أبى سعيد لأسمع شهادته .

وكان المطلب بن عبد الله بن حنطب قاضيا على مكة ، فشهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة . فقال له المطلب : ألست الذى تقول :

لقد طفت سبعا قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لا علىّ ولا ليا

لا قبلت لك شهادة أبدا . فقال له أبو سعيد : أنا والله الذى أقول :

كأنّ وجوه الحنطيين فى الدجى قناديلُ تَسقيها السّليط الهياكل

فقال الحنطبى : إنك ما علمتك إلا دبّابا حول البيت فى الظلم ، مدمنا للطواف به فى الليل والنهار . وقبل شهادته .

وعُمِّر أبو سعيد إلى أيام الرشيد . فلما حج أحضره فقال : أنشدنى قصيدتك :

تقول أمامة لما رأت نُشوزى عن المَضجع الأنفس

فاندفع فغناه ، قبل أن يُنشده الشعر ، لحته فى أبيات منها أولها :

* أفاض المدامع قتلى كُدَى *

وكان الرشيد مغضبا ، فسكن غضبه وطرب . فقال : أنشدنى القصيدة . فقال : يا أمير المؤمنين ، كان القوم موالىّ وأنعموا علىّ فرثيتهم ولم أهجُ أحدا ، فتركه .

سلامة الزرقاء

كان فى الكوفة صاحب قيان يقال له ابن رامين ، قدمها من الحجاز . وكان لابن رامين جوار يقال لهن: سلامة الزرقاء وسعدة وربيحة ، وكن من أحسن الناس غناء ، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان الزرقاء التى يقول فيها محمد بن الأشعث :

أمسى لسلاّمة الزرقاء فى كبدى ... صَدع مُقيم طِوال الدهر والأبدِ
لا يستطيع صَناع القوم يَشعبه ... وكيف يُشعب صَدع الحب فى كبدى

ودخل ابن الأشعث يوما على ابن رامين ، فخرجت إليه الزرقاء ، فبينما هو يلقى عليها إذ بصر بوصيفة من وصائفهم فأعجبته . فقال شعرا من وقته وتغنى فيه ، فأخذته الزرقاء ، وهو قوله :

قل لأختى التى أحب رضاها ... أنتِ لى فاعلميه ركنٌ شديدُ
إنَ لى حاجة إليك فقولى ... بين أذنى وعاتقى ما تريد[1]

ففطنت الزرقاء للذى أراد ، فوهبت له الوصيفة .

وكانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف فاشتراها يزيد بن عبد الملك . وكانت مغنية حاذقة جميلة ظريفة تقول الشعر . فما رأيت خصالا أربع اجتمعن فى امرأة مثلها : حسن وجهها ، وحسن غنائها ، وحسن شعرها ، وحذقها .

وعن جميلة أخذت الغناء . وخرجت معها لما حجت.

وقال يزيد حوراء : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش فكانت تمر بى جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلم منها الغناء .

---

(١) أى ما تريد فى عنق حتى أفعله .

وعن الزبير قال : كانت بالمدينة سلامة ، من أحسن الناس وجها ، وأتمهن عقلا ، وأحسنهن حديثا ، قد قرأت القرآن و روت الأشعار وقالت الشعر . وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يختلفان إليها فيرويانها الشعر وينشدانها إياه . فعلقت الأحوص وصدت عن عبدالرحمن . فقال لها عبدالرحمن يعرض لها بما ظنه من ذلك :

أرى الإقبال منكِ على خليلى ومالى فى حديثكم نصيبُ

فأجابته :

لأن الله علّقه فؤادى فخاز الحبَّ دونكم الحبيبُ

فقال الأحوص :

خليلى لا تَلُمها فى هواها ألذُّ العيش ما تهوى القلوب

فأضرب عنها ابن حسّان وخرج ممتدحا يزيد بن معاوية، فأكرمه وأعطاه . فلما أراد الانصراف قال : يا أمير المؤمنين ، عندى نصيحة . قال : وما هى ؟ قال : جارية خلفتها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم، ولا تصلح أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفى سُمّاره . فأرسل إليها يزيد، فاشتريت له وحملت إليه . فوقعت منه موقعا عظيما، وفضلها على جميع من عنده . وقدم عبد الرحمن المدينة، ومر بالأحوص وهو قاعد على باب داره . وهو مهموم ، فأراد أن يزيده إلى ما به فقال :

يا مُبتلًى بالحب مَفدوحا لاقى من الحب تَباريحا
ألجمه الحب فما ينثنى إلا بكأس الشوق مصبوحا
وصار ما يُعجبه مغلقا عنه وما يكره مفتوحا
قد حازها من أصبحت عنده ينال منها الشَّم والريحا
خليفةُ الله . فسلِّ الهوى وعزِّ قلباً منك مجروحا

فأمسك الأحوص عن جوابه . ثم إن شابين من بنى أمية أرادا الوفادة إلى يزيد . فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملا له كتابا ، ففعلا . فكتب إليها معهما :

سلامٌ ، ذكرك ملصق بلسانى ... وعلى هواك تَعُودنى أحزانى
مالى رأيتك فى المنام مُطيعة ... وإذا انتبهت لججتُ فى العصيان
أبداً مُحبك مُمسك بفؤاده ... يخشى اللجاجة منك فى الهجران
إن كنت عاتبة فإنى مُعتب ... بعد الإساءة فاقبلى إحسانى
لاتقتلى رجلا يراك لِمَا به ... مثلَ الشراب لِغُلة الظمآن
ولقد أقول لقاطنين من اهلنا ... كانا على خلقى من الإخوان
يا صاحبي على فؤادى جمرةٌ ... وبرى الهوى جسمى كما تريان
أمرقيان إلى سلامة أنتما ... ما قد لقيتُ بها وتحتسبان
لا أستطيع الصبر عنها إنها ... من مُهجتى نزلتْ بكل مكان

قال : ثم غلبه جزعُه فخرج إلى يزيد ممتدحاً له . فلما قدم عليه قرّبه وأكرمه وبلغ لديه كل مبلغ . فدسّت إليه سلامة خادماً وأعطته مالاً على أن يُدخله إليها . فأخبر الخادم يزيدَ بذلك . فقال : امض برسالتها . ففعل ما أمره به وأدخل الأحوص . وجلس يزيد بحيث يراهما . فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها وأمرت فألقى له كرسى فقعد عليه ، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة الشوق ، فلم يزالا يتحدثان إلى السحر ويزيد يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما ريبة ، حتى إذا هم بالخروج قال :

أمسى فؤادىَ فى همٍّ وبلبال ... من حُب مَن لم أزل منه على بالِ

فقالت : صحا المُحبّون بعد النأى إذ يئسوا ... وقد يئستُ وما أصحو على حال

فقال : مَنْ كان يسلو بيأس عن أخى ثقة ... فعن سلامة ما أمسيتُ بالسالى

فقالت : والله والله لا أنساك يا سَكَنى حتى يفارق منى الروحُ أو صالى

فقال : والله ماخابَ من أمسى وأنتِ له يا قرة العين فى أهل وفى مال

ثم ودّعها وخرج . فأخذه يزيد ودعا بهما . فقال : أخبرانى عما كان جرى بينكما فى ليلتكما واصدقانى . فأخبراه وأنشداه ما قالا . فلم يحرفا حرفا ولا غيرا شيئا مما سمعه . فقال له يزيد : أتحبها ياأحوص ؟ قال : إى والله ياأمير المؤمنين :

حُباً شديدا تليدا غير مطرف بين الجوانح مثل النار يضطرم

فقال لها : أتحبينه ؟ قالت نعم يا أمير المؤمنين :

حبا شديدا جرى كالروح فى جَسدى فهل يُفرّق بين الروح والجسد

فقال يزيد : إنكما لتصفان حبا شديدا . خذها يا أحوص فهى لك، ووصله بصلة سنية ، وانصرف بها وبالجارية إلى الحجاز ، وهو من أقرّ الناس عينا .

واشترى جعفر بن سليمان الزرقاء صاحبة ابن رامين بثمانين ألف درهم وسترها عن أبيه ، وأبوه يومئذ على البصرة فى خلافة المنصور ، وقد تحرك فى تلك الأيام عبد الله بن علىّ ، فهجم عليهما يوما سليمان بن على ، فخبآ العود تحت السرير ودخل . فقال له : ويحك ، نحن على هذه الحال نتوقع الصيلم ، وأنت تشترى جارية بثمانين ألف درهم . وأظهر له غضبا عليه وتسخطا لما فعل . فغمز خادما كان على رأسه وأخرجها إلى سليمان . فأكبت على رأسه فقبلته ودعت له، وكانت عاقلة مقبولة متكلمة . فأعجبه ما رأى منها وقام عنهما فلم يعد لمعاتبة ابنه بعد ذلك ولما مضت لها مدة عند جعفر سألها يوما : هل ظفر منك أحد ممن كان يهواك بخلوة أو قبلة ؟ فخشيت أن يبلغه شىء كانت فعلته بحضرة جماعة أن يكون بلغه ،فقالت: لاوالله إلا يزيد بن عون العبادى الصيرفى، فإنه قبلنى قبلة وقذف فى فىّ لؤلؤة بعتها بثلاثين ألف درهم . فلم يزل جعفر يحتال له حتى وقع فى يده فضربه بالسياط حتى مات .

وقال سليمان الخشاب : دخلت منزل ابن رامين فرأيت الزرقاء جاريته ، وهى وصيفته ، حين شالت نهودها ثوبها عن صدرها ، لها شارب كأنه خط بمسك ، يلحظه الطرف و يقصر عنه الوصف ، وابن الأشعث الكوفى يلقى عليها ، والغناء له :

أيـة حال يابن رامـين حال المحبين المساكين
تركتهم موتى وما موّتوا قد جرعوا منك الأمرين

سلامة القس

كانت مولدة من مولدات المدينة ، وبها نشأت . وأخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلة ومالك بن أبى السمح وذويهم ، فمهرت .

وإنما سميت سلامة القس لأن رجلا يعرف بعبد الرحمن بن أبى عمار الحبشى من قراء أهل مكة ، وكان يلقب بالقس لعبادته ، شغف بها وشهر ، فغلب عليها لقبه .

واشتراها يزيد بن عبد الملك فى خلافة سليمان ، وعاشت بعده . وكانت إحدى من انهم به الوليد من جوارى أبيه حين قال له قَتلتهُ : ننقم عليك أنك تطأ جوارى أبيك .

وكانت سلامة تقول الشعر . وعن جميلة أخذت الغناء . وفُتن القس بسلامة وفيها يقول :

أهابك أن أقول بذات نفسى ولو أنى أطيع القلب قالا
حياء منك حتى سُل جسمى وشَق علىّ كتمانى وطالا

وسألها عبدُ الرحمن بن عبد الله بن أبى عمار القس أن تغنيه بشعر مدحها به ففعلت ، وهو :

ما بال قلبك لا يزال يهيجه ذكرى عواقبَ غيِّهن سقام
إن التى طرفتك بين ركائب تمشى بمزهرها وأنت حرام
لتصيدَ قلبك أو جزاء مودة إن الرفيق له عليك زمام
بانت تعللنا وتحسب أننا فى ذاك أيقاظ ونحن نيام

ولما قدم يزيد بن عبد الملك مكة وأراد شراء سلامة القس وعرضت عليه، أمرها أن تغنيه ، فكان أول صوت غنته :

إن التى طرقتك بين ركاتب تمشى بمزهرها وأنت حرام

فاستحسنه يزيد فاشتراها .

ولما قدم عثمان بن حيان المرى المدينة والياً عليها. قال له قوم من وجوه الناس: إنك قد وُليت على كثرة من الفساد ، فإن كنت تريد أن تصلح فطهرها من الغناء والزنا . فصاح فى ذلك وأجّل أهلها ثلاثا يخرجون فيها من المدينة . وكان ابن أبى عتيق غائبا ، وكان من أهل الفضل والعفاف والصلاح . فلما كان آخر ليلة من الأجل قدم . فقال : لا أدخل منزلى حتى أدخل على سلامة القس . فدخل عليها . فقال : ما دخلت منزلى حتى جئتكم أسلم عليكم . قالوا : ما أغفلك عن أمرنا ؟ وأخبروه الخبر . فقال : اصبروا علىّ الليلة . فقالوا : نخاف ألا يمكنك شىء ونُنْكَظ[1] . قال : إن ختم شيئا فاخرجوا فى السحر . ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيان . فأذن له . فسلم عليه وذكر له غيبته وأنه جاءه ليقضى حقه . ثم جزّاه خيرا على ما فعل من إخراج أهل الغناء والزنا وقال: أرجو ألا تكون عملت عملا هو خير لك من ذلك . قال عثمان : قد فعلت ذلك وأشار به علىّ أصحابك فقال :قدأصبت . ولكن ماتقول أمتع الله بكَ فى امرأة كانت

---

(١) يقال : نكظه ، إذا أعجله عن حاجته .

هذه صناعتها وكانت تُكره على ذلك. ثم تركته وأقبلت على الصلاة والصيام والخير، وأتى رسولها إليك تقول: أتوجه إليك وأعوذ بك أن تخرجني من جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجده. قال: فإني أدعها لك ولكلامك. قال ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر إليها، فإن رأيت أن مثلها ينبغي أن يترك تركتها. قال: نعم. فجاء بها وقال لها: اجعلي معك سُبْحة وتخشعي. ففعلت. فلما دخلت على عثمان حدثته، وإذا هي من أعلم الناس بالناس، وأعجب بها، وحدثته عن آبائه وأمورهم. ففكه لذلك. فقال لها ابن أبي عتيق: اقرئي للأمير. فقرأت له. فقال لها: أحدي له، ففعلت. فكثر تعجبه. فقال: كيف لو سمعتها في صناعتها. فلم يزل ينزله شيئا فشيئا حتى أمرها بالغناء. فقال لها ابن أبي عتيق: غني. فغنت:

سَدَدن خَصاص الخيم لما دخلته ... بكل لَبان واضح وجَبين (١)

فغنّته. فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها. ثم قال: لا والله ما مثل هذا يخرج. قال ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، يقولون: أقر سلامة وأخرج غيرها. قال: فدعوهم جميعا. فتركوهم جميعا.

وعن ابن أبي فروة قال: قدمت رسل يزيد بن عبد الملك المدينة فاشتروا سلامة المغنية من آل رُمّانة بعشرين ألف دينار. فلما خرجت من ملك أهلها طلبوا إلى الرسل أن يتركوها عندهم أياما ليجهزوها بما يشبهها من حلي وثياب وطيب وصبغ. فقالت لهم الرسل: هذا كله معنا، لا حاجة بنا إلى شيء منه، وأمروها بالرحيل. فخرجت حتى نزلت سِقاية سليمان بن عبد الملك. وشيعها الخلق من أهل المدينة، فلما بلغوا السقاية قالت للرسل: قَوْم كانوا يغشونني ويسلمون علي.

---

(١) الخصاص: الخروق. واللبان: الصدر.

ولابد لى من وداعهم والسلام عليهم . فأذن للناس عليها ، فانقضُّوا حتى ملئوا رحبة القصر و وراء ذلك ، فوقفت بينهم ومعها العود فغنتهم :

فارَقونى وقد علمتُ يقيناً ما لِمَن ذاقَ مِيتةً من إياب
إنَ أهل الخضاب قد تركونى مُولعا مُوزَعا بأهل الخضاب
أهلُ بيت تتابعوا للمنايا ما على الدهر بعدهم من عِتاب

فلم تزل تردد هذا الصوت حتى راحت ، وانتحب الناس بالبكاء عند ركوبها .

وعن رجل من بنى نوفل قال : قدمت فى جماعة من قريش على يزيد بن عبد الملك ، فألفيته فى علته التى مات فيها بعد وفاة حَبابة . فنزلنا منزلا لاحقا بقصر يزيد . فكنا إذا أصبحنا بعثنا بمولى لنا يأتينا بخبره . وربما أتينا الباب فسألنا . فكان يثقل فى كل يوم . فإنا لقى منزلنا ليلةً إذ سمعنا همساً من بكاء . ثم يزيدُ ذلك . ثم سمعنا صوت سلامة القس وهى رافعة صوتها تنوح وتقول :

لا تلمنا إن خشعنا أو همعنا بخشوع
قد لعمرى بت ليلى كأخى الداء الوجيع
كلما أبصرت ربعاً خاليا فاضت دموعى

ثم صاحت : وأمير المؤمنين . فعلمنا وفاته .

وحدث من حضر الوليد بن يزيد وهو يسأل سلامة أن تغنيه شعرها فى يزيد ، وهى تتنغص من ذلك وتدمع عيناها . فأقسم عليها فغنته . فقال لها الوليد : رحم الله أبى وأطال عمرى وأمتعنى بحسن غنائك يا سلامة . . بم كان أبى يقدم عليك حبابة ؟ قالت : لا أدرى والله . قال لها : لكنى والله أدرى . ذلك بما قسم الله لها . قالت : يا سيدى . أجل .

ولما ملك يزيد بن عبد الملك حبابة وسلامة القس تمثّل :

فألقت عَصَاها واستقرت بها النّوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

ثم قال : ماشاء بعدُ من أمر الدنيا فليقتلنى .

سلسل

مولى بنى هاشم

ليس لسَلسل خبر يدوّن ، ولا هو من المشهورين ، ولا ممن خدم الخلفاء ، أو دُوّن له حديث .

سلسل

مولاة محمد بن حرب

كانت من أحسن الناس وجهاً وغناء . وكانت لبعض المغنين بالبصرة . وكان محمد بن حرب الهلالىّ يتعشقها . ولم تكن مولاتَه .

وحدث حمّاد بن إسحاق قال : أتى أبانُ بن عبد الحميد الشاعر رجلاً بالبصرة وله قينة يقال لها سَلسل ، فصادف عندها محمد بن قطن الهلالى وعثمان ابن الحكم بن صخر الثقفىّ فقال :

فَتنت سلسل قلبَ ابن قَطَنْ ثم ثنّت بابن صَخْرٍ فافتتنْ

فأتيتُ اليوم كى أُنقذهمُ فإذا نحن جميعاً فى قَرَنْ

فتوهّم أنها مولاة محمد بن حرب .

سلمك

مغن فارسى

أول من غنى رملا بالفارسية سلمك فى أيام الرشيد ، استحسن لحناً من ألحان ابن مُحرز ، فنقل لَحنه إلى الفارسية وغنّى فيه .

ابن سلمة الزهرى

التقى ابن سلمة الزهرى والأخضر الجدى ببئر الفصح ، فقال ابن سلمة : هل لك فى الاجتماع نستمتع بك ؟ فقال الأخضر : لقد كنت إلى ذلك مشتاقا . فقعدا يتحدثان ، فمر بهما أبو السائب فقال : يا مُطربى الحجاز ، ألشىء كان اجتماعكما ؟ فقالا : لغير موعد كان ذلك ، أفتؤنسنا ؟ فقعدوا يتحدثون . فلما مضى بعض الليل قال الأخضر لابن سلمة : يا أبا الأزهر ، قد آبهارّ الليل وساعدك القمر ، فوقِّع بقهقهة ابن سُريج وأصب مغناك . فاندفع يغنى :

تجنَّت بلا جُرم وصدّت تغضباً ... وقالت لِتربيها مقالة عاتِب
سيعلم هذا أننى بنتُ حُرة ... سأمنع نفسى من ظُنونِ كواذب
فقولى له عنا تنحَّ فإننا ... أبيّات فُحش طاهرات المناسب

فجعل أبو السائب يقول : أبشر حبيبى فلأنت أفضل من شُهداء قزوين . ثم قال ابن سلمة للأخضر : نِعْم المساعد على هم الليل أنت ، فوقِّع بنَوح ابن سريج ولا تَعْد مغناك . فاندفع يغنى :

فلما التقينا بالحجون تنفّست ... تنفّس محزون الفؤاد سَقيم
وقالت وما يرقا من الخوف دمعُها ... أقاطنُها أم أنت غيرُ مقيم

فإنا غداً تُحدى بنا العيسُ بالضحى وأنت بما تلقاه غيرُ عليم
فقطّع قلبي قولُها ثم أسبلت محاجرُ عيني دمّعها بسُجوم

فجعل أبو السائب يتأفف ويقول : أعتق ما أملك إن لم تكن فردوسيّة الطينة ، وأنها بعلمها لأفضل من آسية امرأة فرعون .

سلمى

كانت عزة الميلاء تغنى أغانى القيان من القدائم مثل سلمى .

سليم (١)

أخو بابويه

صوت

هل تذكرين عقيل أو أنساكِه بَعدى تقلبُ ذا الزمان المفسدِ
يومى ويومك بالعَقيق إذ الهوى ممّا جميعُ الشمل لم يتبدّد

الغناء لسليم أخى بابويه ثقيل أول بالوسطى .

صوت

كواكب دجن كلما انقض كوكبٌ بدا وانجلت عنه الدُّجنّة كوكب

الغناء لسليم أخى بابويه ثانى ثقيل

---

(١) ذكر فى موضع باسم « سليمان » .

سليم بن سلام

أبو عبد الله الكوفى

كان سليم بن سلام كوفيًا ، وكان أبوه من أصحاب أبى مسلم صاحب الدولة ودعاته وثقاته . فكان يكاتب أهل العراق على يده .

وكان حسن الوجه حسن الصوت . وقد انقطع وهو أمرد إلى إبراهيم الموصلى ، فمال إليه وتعشّقه ، فعلّمه وناصحه . فبرع وكثرت روايته وصنع فأجاد .

وكان إسحاق يهجوه ويطعن عليه .

واتفق له اتفاق سيىء ، كان يخدم الرشيد فيتفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وقليح بن العوراء وحكم الوادى ، فيكون بالإضافة إليهم كالساقط .

وكان من أبخل الناس ، فلما مات خلّف جملة عظيمة وافرة من المال ، فقبضها السلطان عنه .

وقال الرشيد ليرصوما الزامر ، وكانت فيه لُكنة : ما تقول فى ابن جامع ؟ قال : زق من أسل ، يريد من عسل . قال : فإبراهيم ؟ قال : بسنان فيه فاكهة وريحان وشوك . قال : فيزيد حوراء ؟ قال : ما أبيد أسنانه ـ يريد ما أبيض ـ قال : فحسين بن محرز ؟ قال : ما أهش خظامه ـ يريد ما أحسن خضابه ـ قال : فسليم بن سلام ؟ قال : ما أنظف ثيابه .

وإنما أخر سليما عن أصحابه فى الصفة ولعهُ بالأهزاج ؛ فإنّ ثلثى صنعته هزج . وله من ذلك ما ليس لأحد منهم .

وغنى سليم يوماً بين يدى الرشيد ثلاثة أصوات من الهزج ولاء ، أولها :

∴ رمت على من غبت عنه أسفا ∴

والثانى : ∴ أسرفتَ فى الإعراض والهجر ∴

والثالث : ∴ أصبح قلبى به ندُوب ∴

فأطر به وأمر له بثلاثين ألف درهم وقال : لو كنتَ الحكم الوادى ما زدت على هذا الإحسان فى أهزاجك . يعنى أن الحكم كان منفردا بالهزج .

وحدث أبو الحواجب الأنصارى قال : قال لى سليم يوماً : امض إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادعه ، ووافيانى مع الظهر . فجئنا مع الظهر فأخرج إلينا ثلاثين جارية محسنة ونبيذا ، ولم يُطعمنا شيئاً ، ولم نكن أكلنا شيئاً . فغمز موسى غلامه ، فذهب فاشترى لنا خبزاً وبيضاً ، فأدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل . فدخل علينا ، فلما رآنا نأكل غضب وخاصمنا وقال : أهكذا يفعل الناس ، تأكلون ولا تطعموننى . وجلس معنا فى الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا ، حتى فنى الخبز والبيض .

وحدث اليزيدى قال : كان سليم بن سلام صديقى ، وكان كثيراً ما يغشانى ، فجاء فى يوما ، وأعلمنى الغلام بمجيئه . فأمرت بإدخاله ، فدخل وقال : قد جئتك فى حاجة . فقلت : مقضية . فقال : إن المهرجان بعد غد ، وقد أمرنا بحضور مجلس الخليفة ، وأريد أن أغنيه لحناً أصنعه فى شعر لم يعرفه هو ولا من بحضرته . فقل أبياتاً أغنى فيها ملاحا . فقلت : على أن تقيم عندى وتصنع بحضرتى اللحن . قال : أفعل . فردوا دابته وأقام عندى . وقلت :

أتيتك عائذاً بك منك لما ضاقت الحِيَلُ
وصيرنى هواك وبى لِحَينى يُضرب المثل
فإن سلمت لكم نفسى فما لاقيتُه جَلَل
وإن قتل الهوى رجلاً فإنى ذلك الرجل

فغنى فيه وشربنا يومئذ عليه، وغنانا عدة أصوات من غنائه، فما رأيته منذ عرفته كان أنشط منه يومئذ.

سليمان

آخر أحيحة

صوت

إلهى منحتَ الودَّ منّى بخيلةً وأنت على تغيير ذاك قديرُ
شِفاء الهوى بثُّ الهوى واشتكاؤه وإن آمرأ أخفى الهوى لصبور

الغناء لسليمان أخى أحيحة · خفيف ثقيل أول بالبنصر.

سليمان

غلام محمد بن راشد

حدث محمد بن راشد الخناق قال: إنى لفى منزلى يوما مع الظهر إذ دخل علىّ إسحاق بن ابراهيم الموصلى. فسررت بمكانه. فقال: قد جاءت بى اليك حاجة.

قال : قلت : قل ماشاء الله . قال : دعنى فى بيتك ودع غلاميك عندى : بديحا وسليمان ، وكانا خادمين مغنيين ، ومرهما أن يغنيانى .

سليمان المصاب

صوت

هما فتاتان لمّا يعرفا خلقى وبالشباب على شَيبى يُدلاّن
كل الفعال الذى يَفعلنه حسن يُضنى فؤادى ويُبدى سِرّ أشجانى
بل احذرا صولة من صول شيحكما مهلا عن الشيخ مهلا يافتاتان

فيه لسليمان المصاب رمل كان يغنيه . فدس الرشيد اليه إسحاق حتى أخذه منه . وقيل : بل دس عليه ابن جامع .

سليمان بن سليم

قال كثير بن المحول : كان مغنيان بالمدينة يقال لأحدهما : فليح بن أبى العوراء ، والآخر سليمان بن سليم .

وكان بوادى القرى جماعة من المغنيين فيهم عمر بن زاذان ، وحكم بن يحيى وسليمان . وكل هؤلاء كان يصنع فيُحسن .

سمحة

جارية إسحاق الموصلى

حدث محمد بن عبد الله بن مالك قال : كنا يوما جلوسا عند إسحاق ، فغنتنا جارية يقال لها سمحة :

إن العيون التى فى طرفها مرض قتلتنا ثم لم يُحْيين قتلانا

سمير الأبلى

كان سليمان بن عبد الملك مستلقيا على فراشه فى الليل وجارية له إلى جنبه، وعليها غلالة ورداء معصفران وعليها وشاحان من ذهب ، وفى عنقها فصلان من لؤلؤ وزبرجد وياقوت . وكان سليمان بها مشغوفا ، وفى عسكره رجل يقال له سمير الأبلى يغنى . فلم يفكر سليمان فى غنائه . شغلا بها وإقبالا عليها ، وهى لاهية عنه لا تُجيبه مُصغية إلى الرجل ، حتى طال ذلك عليه . فحوّل وجهه عنها مُغضبا ثم عاد إلى ما كان مشغولا عن فهمه بها . فسمع سميرا يغنى بأحسن صوت وأطيب نغمة:

محجوبة سمعت صوتى فأرّقها من آخر الليل حتى شقّها السّهر
تُدنى على جيدها ثِنْيي معصفرة واَلحْلى منها على لبّاتها خَصِر
فى ليلة النصف مايدرى مُضاجعها أوجهها عنده أبهى أم القمر
لو خُلّيت لمشت نَحوى على قدم تكاد من رقّة للمشى تَنفطر

سنان الكاتب

صوت

يأيها القلب المُطيع الهوى أنّى اعتراك الطربُ النازحُ
تذكر جُملا فإذا ما نأت طار شعاعاً قلبك الطامح

الشعر للأعشى . ولسنان الكاتب لحن .

وخرج الوليد إلى متصيد له فأقام به . ومات له ابن يقال له : مؤمن بن الوليد . فلم يقدر أحد أن ينعاه إليه . حتى تمثل فنعاه اليه سنان الكاتب، وكان مغنيا.

سندس

عتب المأمون على مؤنسة ، فخرج إلى الشمّاسية متنزها وخلّفها عند أحمد ابن يوسف الكاتب . فرجت أن يذكرها إذا صار فى متنزهه فيُرسل فى حملها . فلم يفعل وتمادى فى عتبه . فسألت أحمدَ بن يوسف أن يقول على لسانها شعراً ترفعه إليه . فقال :

يا سيداً فقدُه أغرى بى الحزَنا لا ذقتُ بعدك لا نوماً ولا وَسنا
لا زلت بعدك مطويًّا على حزن أشنا المقامَ وأشنا الأهلَ والوطنا
ولا التذذتُ بكأس فى مُنادمة مُذ قيل لى إنّ عبد الله قد ظَعنا
ولا أرى حَسَنا تبدو محاسنه إلا تذكّرت شوقاً وجهك الحسنا

و بعثت به إلى إسحاق الموصلى فغنّاه به . وقيل : بل بعثت به إلى سندس، فغنته به .

سندة الخياط

حدث إبراهيم بن محمد الشافعى قال : جاء سندة الخياط المغنى إلى الأفلح المخزومى، وكان يوصف بعقل وفضل. فقال له : من أين أقبلت و إلى أين تمضى ؟ فقال : اليك قصدت من مجلس لبعض القرشيين ، أقبلت محاكما اليك . قال : فيماذا ؟ قال : كنت عند هذا الرجل وحضرتْ مجلسه رقطاء الحبطيين وصفراء العلقميين . فتناولتا بينهما رمل ابن سريج :

ليت شعرى كيف أبقى ساعة مع ماألقى إذا الليل حَضر
من يذق نوماً ويهدأ ليلة فلقد بُدِّلت بالنوم السهر
قلت مهلا إنها جنيّة إن تخالطها تفُز منها بشرّ

فغنياه جميعا واختلفنا فى تفضيلها . ففضل كل فريق منا إحداهما . فرضينا جميعا بحكمك . فاحكم بينهما وبيننا . قال : فوجم ساعة . وأهل الحجاز إذا أرادوا أن يحكموا تأملوا ساعة ثم حكموا ، فإذا حكم المحكَّم مضى حكمه كائنا ماكان ، ففضل من فضله وأسقط من أسقطه . إذا تراضى الخصمان به ـ فكره الأفلح أن يرضى قوما و يسخط آخرين . فقال لسندة : صفهما أنت ، كيف كانتا إذ غنتاه واشرح لى مذهبهما فيه كما سمعت . وأنا أحكم بعد ذلك . فقال سندة : أما جارية الحبطيين فإنها كانت تلوك لحنه كما يلوك الفرس العتيق لجامه. ثم تلقيه فى هامة لدنة ثم تخرجه من منخر أغن ، والله ماابتدأتْه فتوسطتْه وأنا أعقل . ولا فرغت منه فأفقتُ إلا وأنا أظن أنى رأيته فى نومى .

وأما صفراء العلقميين فإنها أحسنهما حَلقا ، وأصحهما صوتا ، وألينهما تثنيا . والله ماسمعها أحد قط فانتفع بنفسه ولا دينه . هذا ماعندى فاحكم أنت ياأخا بنى مخزوم . فقال : قد حكمت بأنهما بمنزلة العينين فى الرأس فبأيهما نظرت أبصرت.

سياط

أبو وهب

سياط لقب غلب عليه ، واسمه عبد الله بن وهب . ويكنى أبا وهب . مكىّ مولى خزاعة . وكان مقدما فى الغناء ، رواية وصنعة . ومقدما فى الضرب معدودا فى الضراب .

وهو أستاذ ابن جامع و إبراهيم الموصلى . وعنه أخذا ونقلا ، ونقل نظراؤهما الغناء القديم . وأخذ هو عن يونس الكاتب .

وكان سياط زوج أم ابن جامع . وفيه يقول بعض الشعراء :

ماسمعت الغناء إلا شَجانى من سياط وزاد فى وَسواسى
غننى ياسياط قد ذهب الليل غناءً يطير منه نُعاس

ولُقب سياط هذا اللقب لأنه كان كثيرا مايتغنى :

كأنّ مزاحف الحيّات فيه قُبيل الصبح آثار السياط

وغنى ابراهيم الموصلى صوتا لسياط . فقال له ابنه إسحاق : لمن هذا الغناء ياأبتى . قال : لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئا يأكله ، لسياط .

وقال المهدى يوما وهو يشرب لسلّام الأبرش : جئنى بسياط وعُقاب وحبال . فارتاع كل من حضر وظن جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم أو ببعضهم . فجاء بسياط المغنى وعقاب المدنى ، وكان الذى يوقع عليه ، وحبال الزامر . فجعل الجلساء يشتمونهم والمهدى يضحك .

ومرّ سياط على أبى ريحانة المدنى فى يوم بارد ، وهو جالس فى الشمس ، وعليه ثوب رقيق رث . فوثب اليه أبو ريحانة وقال : بأبى أنت ياأبا وهب ، غننى صوتك فى شعر ابن جنوب :

فؤادى رهين فى هواك ومُهجتى تذوب وأجفانى عليك هُمول

فغنّاه إياه . فشق قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس ، وقد ازداد بردا وجهدا . فقال له رجل : ماأغنى عنك ماغنّاك من شق قميصك ؟ فقال له : يابن أخى ، إن الشعر الحسن من المغنى الحسن ذى الصوت المطرب أدفأ للمقرور من حمّام محمى. فقال له رجل : أنت عندى من الذين قال الله جل وعز : « فما ربحت تجارتُهم وما كانوا مُهتدين » . فقال : بل أنا من الذين قال تبارك وتعالى : «الذين يَستمعون القول فيَتّبعون أحسنَه »

واعتلّ سباط علة ، فجاءه إبراهيم الموصلى وابن جامع يعودانه . فقال له إبراهيم : أعزز علىّ بعلتك أبا وهب ، ولو كانت مما يفتدى لفديتك منها . قال : كيف كنت لكم ؟ قلنا : نعم الأستاذ والسيد . قال : قد غنيت لنفسى ستين صوتا فأحب ألا تغيروها ولا تنتحلوها . فقال له إبراهيم : أفعل ذلك يا أبا وهب ، ولكن أى ذلك كرهت ، أن يكون فى غنائك فضل فأقصر عنه فيعرف فضلك علىّ فيه ، أو أن يكون فيه نقص فأحسنه فينسب إحسانى إليك و يأخذه الناس عنى لك ؟ لقد استعفيت من غير مكروه .

وحدث النضر بن حديد أن إخوانا لسباط دعوه فأقام عندهم ومات . فأصبحوا فوجدوه ميتاً فى منزلهم . فجاءوا إلى أمه وقالوا : يا هذه ، إنا دعونا ابنك لنكرمه ونسرّ به ونأنس بقربه ، فمات فجأة ، وها نحن بين يديك ، فاحتكمى ما شئت ، ونشدناك الله ألا تعرضينا للسلطان أو تدعى فيه علينا ما لم نفعله . فقالت : ما كنت لأفعل ، وقد صدقتم . وهكذا مات أبوه فجأة . قال : فجاءت معنا فحملته إلى منزلها . فأصلحت أمره ودفنته .

سيرين

كابت عزة الميلاء تغنى أغانى القيان من القدائم مثل سيرين .

شاجن

جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

كانت إحدى المحسنات المبرزات المقدمات ، وذلك يتخريجه وتأديبه . وكان بها معجباً ولها مقدماً .

وحدّث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه ، لما صنعت جاريته شاجن اللحن الذى يجمع النغم العشر ، بطنبى وحبيب ، جاريتى أخيه سليمان ابن عبد الملك بن طاهر ، حتى أخذتا اللحن عنه ونقلتاه إليه . وألقاه على جواريه

قال : ولم يزل يراسلنى مع عبد الله بن أحمد بن حمدون فى أمر النغم العشر ويسألنى عنها وأشرحها له حتى فهمها جيداً وجمعها فى صوت صنعه فى شعر دريد بن الصمة :

ياليتنى فيها جَذع أخب فيها وأضع

ولما اختلت حال عبيد الله كان المعتضد يتفقده بالصلات الفينة بعد الفينة .

واتفق يوماً كان فيه مصطبحاً أن غنى بصوت الصنعة فيه لشاجن جارية عبيدالله فكتب إليه كتابا يقسم أن يأمرها بزيارته . ففعل .

فحدّث من حضر من المغنيات ذلك المجلس بعد موت المعتضد ، قالت : دخلت إلينا وما منا إلا من يرفل فى الحلى والحلل ، وهى فى أثواب ليست كثيابنا

فاحتقرناها ، فلما غنت احتقرنا أنفسنا . ولم تزل تلك حالنا حتى صارت فى أعيننا كالجبل وصرنا كلا شيء .

ولما انصرفت أمر لها المعتضد بمال وكسوة . ودخلت إلى مولاها فجعل يسألها عن أمرها وما رأت مما استطرفت وسمعت مما استغربت . فقالت : ما استحسنت هناك شيئاً ولا استغربته من غناء ولا غيره ، إلا عوداً من عود مفحور ، فإنى استطرفته .

قال جحظه : فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمد عينه لشيء يستحسنه فيها إلا عود .

وكان المعتضد إذا استحسن شعراً بعث به إلى شاجن فتغنى فيه . وكانت صنعتها تسمى فى عصره غناء الدار .

وماتت شاجن فى حياة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكان عليلا ، فقال يرثيها :

يميناً يقيناً لو بُليت بفقدها ... وبى نَبضٌ عرق الحياة أو النكس
لأوشكت قتلَ النفس قبل فراقها ... ولكنها ماتت وقد ذهبت نفسى

شاح

جارية أمية بن الأسكر

لها غناء .

شارية

كانت مولدة من مولدات البصرة . يقال إن أباها كان رجلا من بنى سامة

ابن لؤى المعروفين ببنى ناجية وأنه جحدها ، وكانت أمها أمة فدخلت فى الرق. وقيل : بل سرقت فبيعت فاشترتها امرأة من بنى هاشم فأدبتها وعلمتها الغناء . ثم اشتراها إبراهيم بن المهدى فأخذت غناءه كله أو أكثره عنه . وبذلك يحتج من يقدمها على عريب .

ويقال إن إبراهيم خرّجها ، وكان يأخذها بصحة الأداء لنفسه ولمعرفة ما يأخذها به . ولم تكن هذه حال عريب ، لأن المرادى لم يكن يقارن إبراهيم فى العلم ولا يقاس ببعضه فضلا عن سائره .

وحدث عيسى بن هارون أن شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية من ولد جعفر بن سليمان ، فحملتها لتبيعها ببغداد ، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلى . فأعطى بها ثلثمائة دينار . ثم استغلاها بذلك ولم يردها . فجىء بها إلى إبراهيم بن المهدى فعرضت عليه فساوم بها . فقالت مولاتها : قد بذلتها لإسحاق ابن إبراهيم بثلثمائة دينار ، والأمير أعزه الله أولى بها . فقال : زنوا لها ما قالت . فوزن ثم دعا بقيمته .

وقيل إنها كانت تدّعى أنها من بنى زهرة . فجىء بها إلى بغداد وعرضت على إبراهيم بن المهدى فأعجب بها إعجابا شديداً . فلم يزل يعطى بها حتى بلغت ثمانية آلاف درهم .

قال هبة الله بن إبراهيم : ولم يكن عند أبى درهم ولا دينار ، فقال لى : ويحك ، قد والله أعجبتنى هذه الجارية إعجابا شديداً ، وليس عندنا شىء . فقلت له : تبيع ما تملكه حتى الخزف وتجمع ثمنها . فقال لى : قد تذكرت فى شىء ، اذهب إلى على بن عشام فأقرئه منى السلام وقل له : جعلنى الله فداءك. قد عرضت على جارية وقد أخذت بمجامع قلبى وليس عندى ثمنها ، فأحب أن تقرضنى عشرة آلاف درهم .

وكانت أمها خبيثة ، فكانت كلما لم يعط إبراهيم ابنتها ما تشتهى ذهبت إلى عبد الوهاب بن علىّ ، ودفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم أن تأخذ ابنتها من إبراهيم .

وابتاع إبراهيم من ابنته ميمونة شارية بعشرة آلاف درهم وستر ذلك عنها . فكان عتقه إياها وهى فى ملك غيره . ثم ابتاعها من ميمونة ، فحلّ له فرجها . فكان يطؤها على أنها أمته وهى تتوهم أنه يطؤها على أنها حرة . فلما توفى طلبت مشاركة بنت محمد بن خالد مولاته وزوجته فى الثّمن . فأظهرت خبرها . وأخبرت ميمونةُ هبةَ الله عن الخبر ، فأخبر به المعتصم . فابتاعها من ميمونة . فابتيعت بخمسة آلاف وخمسمائة دينار . وحولت إلى داره . فكانت فى ملكه حتى توفى المعتصم .

وحدث حمدون بن إسماعيل أنه دخل على إبراهيم يوما فقال له : أتحب أن أسمعك شيئاً لم تسمع مثله قط ؟ فقلت : نعم . فقال : هاتوا شارية . فخرجت . فأمرها أن تغنى لحن إسحاق :

* هل بالديار التى قد جئتها أحد *

قال حمدون : فغنتنى شيئاً لم أسمع مثله .

وكانت شارية أحسن الناس غناء منذ توفى المعتصم إلى آخر خلافة الواثق.

وكانت شارية خاصة بصالح بن وصيف . فلما بلغه رحيل موسى بن بغا الجبل، يريده بسبب قتله المعتز ، أودع شارية جوهرة . فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك. فلما أوقع موسى بصالح استترت شارية عند هارون بن شعيب العكرى ، وكان أنظف خلق الله طعاما وأسراهم مائدة وأسخاهم فى كل شىء بعد ذلك . وكان له بسر من رأى منزل وكان له فيه بستان كبير . وكانت شاريه تسميه أبى، وتزوره إلى منزله ، فتحمل معها كل شىء تحتاج إليه حتى الحصير التى تقعد عليه . وكانت شارية من أكرم الناس لمن عاشرها .

وكان أهل سر من رأى منحازين : فقوم مع شارية وقوم مع عريب، لا يدخل أصحاب هذه فى هؤلاء ولا أصحاب هذه فى هؤلاء . وكان أبو الصقر إسماعيل عريبيًّا . فدعا على بن الحسين يوم الجمعة أبا صقر وعنده عريب وجواريه . فاتصل الخبر بشارية . فبعثت بجواريها إلى على بن الحسين بعد يوم أو يومين ، وأمرت إحداهن أن تغنى :

لا تعدْ بعدُ بعدها فأرى كيف أصنع

فلما سمع علىّ الغناء ضحك وقال : لست أعود .

وغنت شارية يوما المعتمد بشعر مولاها إبراهيم بن المهدى:

يا طول عـلة قلبى المعتـاد ألف الـكرام وصحبـة الأمجاد

فقال لها : أحسنت والله . فقالت : هذا غنـائى وأنا عارية . فـكيف لو كنت كاسية . فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثيـاب الخاصة . فحمل ذلك إليها .

شاطرة

زوجة منصور زلزل

الحب أول ما يكون لجاجةً تأتى به وتسوقه الأقدارُ
حتى إذا سلك الفتى لُجج الهوى جاءت أمور لا تُطاق كبارُ

فيه لشاطرة امرأة منصور زلزل تقيل أول بالوسطى .

شجا

حدث المهلبى أنه كان عند الواثق فغنته شجا .

وحدث إسحاق الموصلى أنه دخل على إسحاق بن ابراهيم الطاهرى . وأرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإخراجى إليه فى الصوت الذى أمرنى به بأن أغنى فيه ، وهو :

* لقد بخلت حتى لو انى سألتها *

فغنيته إياه . فأمر لى بمائة ألف درهم . فخرجت وأقمت ما شاء الله ليس أحد من مغنيهم يقدر أن يأخذ هذا الصوت منى . فلما طال مقامى قلت له : يا أمير المؤمنين ، أليس أحد من هؤلاء المغنين يقدر أن يأخذ هذا الصوت منى . فقال لى : ولم ؟ ويحك . فقلت : لأنى لا أصححه ولا تسخو نفسى به لهم . فما فعلت الجارية التى أخذتها منى ـ يعنى شجا ـ وهى التى كان أهداها إلى الواثق وعمل مجرد أغانيها وجنسه ونسبه إلى شعرائه ومغنيه . فقال : وكيف ؟ قال : لأنها تأخذه منى و يأخذونه هم منها . فأمر بها فأخرجت وأخذته على المكان .

وحدث المهلبى قال : كنت عند الواثق فغنته شجا ـ التى وهبها له إسحاق:

الطلول الدوارس فارقتها الأوانس
أوحشت بعد أهلها فهى قفر بسابس

شعف

غلام دعبل

كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها و يرجع . وقد أفاد وأثرى

وكان الشراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه . وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه ودعا بغلاميه : ثقيف وشعف ، وكانا مغنيين . فأقعدهما يغنيانه .

شنين

حدث أحمد بن الطيب السرخسى قال : حضرت مجلس محمد بن على بن طاهر وحضرته مغنية يقال لها : شنين مشهورة ، فغنت :

لا تعجبى يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

ثم غنت بعده :

* لقد عجبت سلمى وذاك عجيب *

فقلت لها : ما أكثر تعجب سلمى هذه . فعلمت أنى أعبث بها لأسمع جوابها ، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة :

فهُلْكُ الفتى أن لا يُراح إلى ندى وأن لا يرى شيئا عجيبا فيعجبا

فعجبت والله من جوابها وحدته وسرعته وقلت لمن حضر : والله لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفا .

شهدة أم عاتكة

عن حماد بن إسحاق عن أبيه أنه ذكر عاتكة بنت شهدة يوما فقال : كانت أضرب من رأيت بالعود . ولقد مكثت سبع سنين أختلف اليها فى كل يوم فتضار بنى ضربا أو ضربين . ووصل اليها منى ومن أبى أكثر من ثلاثين ألف درهم

وكانت أحسن خلق الله غناء وأرواهم . وماتت بالبصرة . وأمها شهدة فائحة من أهل مكة .

وكان ابن جامع يلوذ منها بكثرة الترجيع . فكان إذا أخذ يتزايد فى غنائه قالت له : إلى أين ياأبا القاسم ؟ ماهذا الترجيع الذى لامعنى له. عدبنا إلى معظم الغناء ودع من جنونك . فأضجرته يوما بين يدى الرشيد . فقال لها : إنى أشتهى — علم الله — أن تحتك شعرتى بشعرتك . فقالت : اخسأ ، قطع الله ظهرك ، ولم تعد لأذاه بعد .

وعن بعض المغنين قال : كنا ليلة عند الرشيد ومعنا ابن جامع والموصلى وغيرهما ، وعنده فى تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن على . فتغنى المغنون، ثم اندفع محمد بن داود فغناه بين أضعافهم :

أم الوليد سلبتنى حلمى وقتلتنى فتخوفى إثمى
بالله ياأم الوليد أما نخشين فى عواقب الظلم
وتركتنى أنعى الطبيب وما لطبيبنا بالداء من علم
خافى إلهك فى ابن عمك قد زوّدته سقما على سقم

فاستحسن الرشيد الصوت واستحسنه جميع من حضره وطربوا له . فقال له الرشيد : ياحبيبى، لمن هذا الصوت ؟ فقال : ياأمير المؤمنين، سل هؤلاء المغنين . وحياتك ماأدرى إلا أنى أخذته من شهدة جارية الوليد أم عاتكة بنت شهدة .

وحدث على بن جعفر بن محمد قال : دخلت على جوارى المروانى المغنيات بمكة . وعاتكة بنت شهدة تطارحهن لحنها :

ياصاحبى دعا الملامة واعلما أن الهوى يدع الكرام عبيدا

فجعلت واحدة منهن تقول : « يدع الرجال عبيدا » . فصاحت بها عاتكة

بنت شهدة : ويلك ، بندار الزيات العاض بظر أمه رجل ، أفمن الكرام هو ؟ قال : فكنت إذا مر بى بندار أو رأيته غلبنى الضحك فاستحيي منه وآخذ بيده وأجعل ذلك بشاشة . حتى أورث هذا بينى وبينه مقاربة فكان يقول : أبو الحسن على بن جعفر صديق لى .

وكان مخارق مملوكا لعاتكة وهى علمته الغناء ووضعت يده عل العود ثم باعته فانتقل من ملك رجل إلى ملك آخر حتى صار إلى الرشيد .

صفراء العلقميين

جاء سندة الخياط المغنى إلى الأفلح المخزومى ، وكان يوصف بعقل وفضل ، قال له : من أين أقبلت وإلى أين تمضى : فقال : إليك قصدت من مجلس لبعض القرشيين أقبلت محاكما إليك . قال : فماذا ؟ قال : كنت عند هذا الرجل وحضرت مجلسه رقطاء الحبطيين وصفراء العلقميين ، فتناولتا بينهما رمل ابن سريج :

ليت شعرى كيف أبقى ساعة ... مع ماألقى إذا الليل حضر
من يذق نوما ويهدأ ليلة ... فلقد بُدلت بالنوم السهر
قلت مهلا إنها جنّية ... إن تُخالطها تفز منها بشر

فغنياه جميعا واختلفنا فى تفضيلهما . ففضل كل فريق منا إحداهما . فرضينا جميعا بحكمك فاحكم بينهما وبيننا . قال: فوجم ساعة ـ وأهل الحجاز إذا أرادوا أن يحكموا تأملوا ساعة ثم حكموا ، فإذا حكم المُحكَّم مضى حكمه كائنا ما كان . ففضل من فضله وأسقط من أسقطه إذا تراضى الخصمان به — فكره الأفلح أن

يرضى قوما ويسخط آخرين . فقال لسندة : صفهما أنت لى كيف كانتا إذ غنتاه واشرح لى مذهبها فيه كما سمعت ، وأنا أحكم بعد ذلك . فقال سندة: أما جارية الحبطيين فإنها كانت تلوك لحته كما يلوك الفرس العتيق لجامه ثم تلقيه فى هامة لدنة ثم تخرجه من منخر أغن . والله ما ابتدأته فتوسطنه وأنا أعقل ، ولا فرغت منه فأفقت إلا وأنا أظن أنى رأيته فى نومى .

وأما صفراء العلقميين فإنها أحسنهما حلقا وأصحهما صوتا وألينهما تثنيا . والله ماسمعها أحد قط فانتفع بنفسه ولا دينه.

هذا ماعندى فاحكم أنت ياأخا بنى مخزوم . فقال : قد حكمت بأنهما بمنزلة العينين فى الرأس فيأيهما نظرت أبصرت . ولو كان فى الدنيا من عبيد بن سريج خلف لكانتا . قال: فانصرفوا جميعا راضيين بحكمه .

الضبط

حدث عبد الله بن المعتز قال : كانت خزامى جارية الضبط المغنى تنادمنى وأنا حدث .

ضعف

حدث إبراهيم بن المهدى قال : أرسل إلىّ محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة : يا عم ، إن الحرب بينى وبين طاهر بن الحسين قد سكنت ، فصر إلىّ فإنى إليك مشتاق. فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة ، وعنده سليمان بن

جعفر عليه كساء روذبارى وقلنسوة طويلة، وجواريه بين يديه، وضعف جاريته عنده فقال لها : غنيني فقد سررت بعمومتى . فاندفعت تغنيه :

هم قتلوه كى يكونوا مكانه كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بينتا وعند أخيه سيفه ونجائبه

فغضب وتطير وقال لها : ما قصتك ويحك ، انثنى وانتهى وغنينى مما يسرنى . فاندفعت وغنت :

هذا مقام مطرد هدمت منازله ودوره

فازداد تطيرا ، ثم قال لها : ويحك ، انتهى غنينى غير هذا . فغنت :

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا وأيسر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها : قومى إلى لعنة الله . فوثبت . وكان بين يديه قدح بلور ، وكان لحبه إياه سماه باسمه « محمدا » فأصابه طرف ذيلها فسقط على بعض الصوانى فانكسر وتفتت . فأقبل علىّ وقال : أرى والله ياعم أن هذا آخر أيامنا . فقلت : كلا ، بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين و يسرك .

ضعف

جارية موسى بن خاقان

كانت ضعف إحدى المحسنات . ومن أوائل صنعتها وصدور أغانيها وما برزت فيه وقدمت فاختيرت صنعتها فى شعر جميل :

أمنك سرى يا يثّن طيف تأوبا هدوًّا فهاج القلب شوقا وأنصبا
عجبت له أن زار فى النوم مضجعى ولو زارنى مستيقظا كان أعجبا

وكان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر، وكان نديمه وجليسه، وكان له مؤثرا مقدما. فأصاب منه معروفا كثيرا وأجازه بجوائز سنية هناك، وقبل ذلك. ثم إنه وجد عليه فى بعض الأمر فجفاه وظهر له منه بعض ما لم يحبه. فرجع حينئذ إلى بغداد وقال:

إن كان عبد الله خلاّنا لا مبدئا عرفا و إحسانا
فحسبنا الله رضينا به ثم بعبد الله مولانا

— يعنى عبد الله الثانى المأمون — وغنت فيه جارية ضعف. وسمعه المأمون فاستحسنه و وصله و إياها.

طباع

جارية الواثق

كان الواثق يسميها سنن. وكانت تعلم فريدة، فلم تُبق فى تعليمها غاية، إلى أن وقع بينهما شىء بحضرة الواثق. فحلفت أنها لا تنصحها ولا تنصح أحدا بعدها. فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتا إلا نقصت منه نغمة.

طباع

جارية محمد بن سهل

قالت: غنيت إسحاق فى لحنه:

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت بعدى وغيّر آيهن دثورا

فأنكر عليّ من مقاطعه شيئا وقال : ممن أخذته؟فقلت : من مخارق . فقال : ليس كما تحدث الخراز ، بل هو كما أقول لك ، ورده عليّ . فهو يقال كما يقول مخارق وكما غيره إسحاق .

ابن طنبورة

صوت

أبى القلب اليمانى الذى تحمد أخلاقه
ويرفضّ له اللحن فما تفتق أرتاقه
غزال أدعج العين ربيب خدّ لجساقه
رمانى فسبى قلبى وأرميه فأشتاقه

لابن طنبورة فيه ثقيل أول بالبنصر .

طنبى

جارية سليمان بن عبد الملك بن طاهر

حدث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتمد بعث إليه لما صنعت جاريته شاجن اللحن الذى يجمع النغم العشر ، بطنبى وحبيب ، جاريتى أخيه سليمان بن عبد الملك بن طاهر ، حتى أخذتا اللحن عنه ونقلتاه إليه وألقاه على جواريه .

طويس

طويس لقب غلب عليه . واسمه عيسى بن عبد الله . وكنيته أبو عبد المنعم ، وغيّرها المخنثون فجعلوها أبا عبد النعيم .

وهو مولى بنى مخزوم . وكان يلقب بالذائب . وإنما لقب بذلك لأنه غنى :

قد يرانى الحب حتى كدت من وجدى أذوب

وأول من غنى بالعربى بالمدينة طويس . وهو أول من ألقى المخنث بها . وكان طويلا أحول . وكان لا يضرب بالعود ، وإنما كان ينقر بالدف . وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأنساب أهلها . وكان يتقى لسانه .

وسئل عن مولده فذكر أنه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفطم يوم مات أبو بكر ، وختن يوم قتل عمر ، وزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل علىّ ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وقال طويس : كانت أمى تمشى بين نساء الأنصار بالنميمة .

وأول غناء غناه وهزج به :

كيف يأتى من بعيد وهو يخفيه القريب
نازح بالشام عنا وهو مكسال هيوب

واجتمع يوما جماعة بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويسا ، فقالوا : كان وكان . فقال رجل : أما لو شاهدتموه لرأيتم ما تسرون به : علما وظرفا وحسن غناء وجودة نقر بالدف و يضحك كل ثكلى حراء .

وكان بالمدينة مخنث يقال له النقش . فقيل لمروان : إنه لا يقرأ من كتاب الله شيئا . فبعث إليه يومئذ ، وهو على المدينة ، وقال من جاءنى بمخنث فله عشرة

دنانير، فأتى بطويس وهو فى بنى الحارث بن الخزرج من المدينة، وهو يغنى بشعر حسان بن ثابت :

لقد هاج نفسك أشجانها ... وعاودها اليوم أديانها
تذكرت هندا وما ذكرها ... وقد قطعت منك أقرانها
وقفت عليها فساءلتها ... وقد ظعن الحى ما شأنها
قصدت وجاوب من دونها ... بما أوجع القلب أعوانها

فأخبر بمقالة مروان فيهم، فقال : أما فضلنى الأمير عليهم بفضل حتى جعل فىّ وفيهم أمرا واحدا . ثم خرج حتى نزل السويداء على ليلتين من المدينة فى طريق الشام . ولم يزل بها عمره . وعُمِّر حتى مات فى ولاية الوليد بن عبد الملك .

وكان عبد الله بن جعفر معه إخوان له فى عشية من عشايا الربيع . فراحت عليهم السماء بمطر جود . فانسال كل شىء . فقال عبدالله : هل لكم فى العقيق، وهو متنزه أهل المدينة فى أيام الربيع والمطر . فركبوا دوابهم ثم انتهوا اليه . فإنهم لينتظرون إذ هاجت السماء . فقال عبد الله لأصحابه . ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا . فهل لكم فى منزل طويس فإنه قريب منا فنستكن فيه ويحدثنا ويضحكنا . وطويس فى النظارة يسمع كلام عبد الله. فقال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : جعلت فداك، وما تريد من طويس عليه غضب الله، مخنث شأن لمن عرفه . فقال له عبد الله : لا تقل ذلك فإنه مليح خفيف لنا فيه أنس. فلما استوفى طويس كلامهم تعجل إلى منزله فقال لامرأته: ويحك، قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس، فما عندك ؟ قالت : نذبح هذه العتاق. فبادر فذبحها وعجنت هى . ثم خرج فتلقاه مقبلا اليه . فقال له طويس : يأبى أنت وأمى هذا المطر . فهل لك فى المنزل فنستكن فيه إلى أن تكف السماء؟ قال:

إياك أريد . فتحدثوا حتى أدرك الطعام . فأكل وأكل القوم . فلما غسلوا أيديهم قال : يأبى أنت وأمى . أمشى معك وأغنيك . قال : افعل ياطويس . فأخذ ملحفة فأتزر بها وأرخى ذنبين ثم أخذ المربع فتمشى وأنشأ يغنى :

يا خليلى نابنى سهدى لم تنم عينى ولم تكد
كيف تلحونى على رجل آنس تلتذه كبدى
مثل ضوء البدر طلعته ليس بالزميلة النكد

فطرب القوم وقالوا : أحسنت والله ياطويس . ثم قال : أتدرى ياسيدى لمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله ماأدرى لمن هو إلا أنى سمعت شعرا حسناً . قال : هو لفارعة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت وهى تتعشق عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام المخزومى وتقول الشعر . فنكس القوم رءوسهم وضرب عبد الرحمن برأسه . فلو شقت الأرض له لدخل فيها خالداً .

وقدم ابن سريج المدينة فجلس يوما فى جماعة وهم يقولون : أنت والله أحسن الناس غناء . إذ مر بهم طويس فسمعهم وما يقولون . فاستدفه من حضنه ونقره وتغنى :

إن المخنثة التى مرت بنا قبل الصباح
فى حلة موشية مكية غرثى الوشاح
زين لمشهد قطرهم وتزينهم يوم الأضاحى

فقال ابن سريج : هذا والله أحسن الناس غناء لا أنا .

وتبع طويس جارية فراوغته . فلم ينقطع عنها . فخبت فى المشى . فلم ينقطع عنها . فلما جازت بمجلس وقفت ثم قالت : ياهؤلاء ، لى صديق ولى زوج ومولى ينكحنى ، فسلوا هذا مايريد منى ؟ فقال : أضيق ماقد وسعوه . ثم جعل يتغنى :

أفق يا قلب عن جُمل وجُمل قطّعت حبلى
أفِق عنها فقد عنيّـ ـت حولا فى هوى جمل
وكيف يفيق محزون بجمل هائم العقل
براه الحب فى جمل فحسب الظن من ثقل
وحسبي فيك ما ألقى من التفنيد والعذل
وقدما لامنى فيها فلم أحفل بهم أهلى

وكان طويس ولعا بالشعر الذى قالته الأوس والخزرج فى حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء . فقلّ مجلس اجتمع فيه هذان الحيّان فغنى فيه طويس إلا وقع فيه شىء . فنهى عن ذلك . فقال : والله لا تركت الغناء بشعر الأنصار حتى يوسدونى التراب . وذلك لكثرة تولع القوم به . فكان يبدى السرائر ويخرج الضغائن . فكان القوم يتشاءمون به . وكان يستحسن غناؤه ولا يصبر عن حديثه و يستشهد على معرفته . فغنى يوما بشعر قيس بن الخطيم فى حرب الأوس والخزرج وهو :

رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو انهم وقفوا
لو وقفوا ساعة نسائلهم ريث يضحى جماله السلف
فليت أهلى وأهل أثلة فى الد ار قريب من حيث نختلف

فلما بلغ إلى آخر بيت غنى فيه طويس من هذه القصيدة ، وهو :

أبلغ بنى جحجبي وقومهم خطمة أنا وراءهم أنف

تكلموا وانصرفوا . وجرت بينهم دماء . وانصرف طويس من عندهم سليماً لم يُكلَم ولم يقل له شىء .

ووفد أبان بن عثمان على عبد الملك بن مروان ، فأمّره على الحجاز ، فأقبل

حتى إذا دنا من المدينة تلقاه أهلها . وخرج اليه أشرافها . فخرج معهم طويس فلما رآه سلّم عليه ثم قال: أيها الأمير ، إنى كنت أعطيت الله عهداً لئن رأيتك أميراً لأخضبن يدى إلى المرفقين ثم أتردد بالدف بين يديك . ثم أبدى عن دفه وتغنى بشعر ذى جدن الحميرى :

مايال أهلك باريا ب خُزرا كأنهم غضاب

فطرب أبان حتى كاد أن يطير . ثم جعل يقول له . حسبك ياطاوس ، ولا يقول له : طويس ، لنبله فى عينه عنه .

ظبيـــة

كان معبد قد علم جارية من جوارى الحجاز الغناء ، وهى ظبية ، وعنى بتخريجها، فاشتراها رجل من أهل العراق. فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك . فاشتراها رجل من أهل الأهواز . فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلبت عليه. ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهة من الزمان ، وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها . فكان لمحبته إياها وأسفه عليها لايزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره، ويظهر التعصب له والميل إليه والتقديم لغنائه على سائر أغانى أهل عصره ، إلى أن عرف ذلك منه .

عاتكة

جارية يونس الكاتب

علمها يونس أول صوت وقع له .

عاتكة بنت شهدة

كانت عاتكة بنت شهدة مدنية . وأمها شهدة جارية الوليد بن يزيد ، وكانت مغنية أيضا .

وحدث إبراهيم الموصلى قال : كانت أضرب من رأيت بالعود. ولقد مكثتُ سبع سنين أختلف إليها فى كل يوم . فضار بنى ضربا أو ضربين .

وكانت أحسن خلق الله لغناء ، ومن أرواهم . وماتت بمكة .

وقال على بن جعفر : دخلت على جوارى المروانى المغنيات بمكة . وعاتكة بنت شهدة تطارحنى لحنها :

يا صاحبىّ دعا الملامة واعلما أن الهوى يدع الكرام عبيدا

وكان مخارق مملوكا لعاتكة ، وهى علمته الغناء ووضعت يده على العود ثم باعته.

ابن عائشة

أبو جعفر محمد

يكنى أبا جعفر . ولم يكن يعرف له أب فكان ينسب إلى أمه، ويلقبه من عاداه أو أرادوا سبه : ابن عاهة الدار .

وكان هو يزعم أن اسم أبيه جعفر . وليس يعرف ذلك .

وعائشة أمه مولاة : لكثير بن الصلت الكندى ، حليف قريش ، وقيل إنها مولاة لآل المطلب بن أبى وداعة السهمى .

وكان لغير رشدة . فكانوا إذا سمعوا غناءه قالوا : أحسن ابن المرأة .

وقال الوليد بن يزيد لابن عائشة : يا محمد ، ألغية أنت ؟ قال : كانت أمى يا أمير المؤمنين ماشطة ، وكنت غلاما ، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا : ارفعوا هذا لابن عائشة . فغلبت على نسبى .

وكان يفتن كل من سمعه . وكان فتيان من المدينة قد فسدوا فى زمانه بمحادثته ومجالسته .

وقد أخذ عن معبد ومالك . ولم يموتا حتى ساواهما، على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما . وقد قيل إنه كان ضاربا . ولم يكن بالجيد الضرب . وقيل : بل كان مرتجلا لم يضرب قط . وابتداؤه بالغناء كان يضرب به المثل، فيقال للابتداء الحسن كائنا ما كان، من قراءة قرآن أو إنشاء شعر أو غناء يبدأ به فيستحسن : كأنه ابتداء ابن عائشة .

وقال إسحاق : سمعت علماءنا قديما وحديثا يقولون : ابن عائشة أحسن الناس ابتداء . وأنا أقول : إنه أحسن الناس ابتداء وتوسطا وقطعا بعد أبى عباد معبد ، وقد سمعت من يقول : إن ابن عائشة مثله ، وأما أنا فلا أجسر على أن أقول ذلك .

وكان ابن عائشة غير جيد الدين . فكان أكثر ما يغنى مرتجلا . وكان أطيب الناس صوتا .

وعن المكى قال : ثلاثة من المغنين كانوا أحسن الناس حلوقا : ابن عائشة، وابن بيزن ، وابن أبى الكنات .

وعن صالح بن حسان أنه ذكر يوما المغنين بالمدينة فقال : لم يكن بها أحد بعد طويس أعلم من ابن عائشة ولا أظرف مجلسا ولا أكثر طيبا . وكان يصلح أن يكون نديم خليفة وسمير ملك .

ابن أبي عباد

حدث يونس الكاتب قال : أقبلت من عند معبد فلقيني ابن محرز ببطحان فقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من عند معبد . فلقيني ابن أبي عباد فقال : ما أخذت عنه ؟ قلت : غنى صوتاً فأخذته . قال : وما هو ؟ قلت :

ماذا تأمل واقف جملا في رَبع دار عافه خدمه

فقال لى : ادخل معى دار ابن هرمة وألقه علىّ . فدخلت معه ، فما زلت أردده حتى غناه .

عبادة المخنث

وقال المتوكل لمروان الأصغر : بحياتى إن حضر لك شيء فهاته ولاتقصر فى شتمه . فقال مروان :

لعمرك ماالجهم بن بدر بشاعر وهذا علىّ بعده يدعى الشعرا

فضحك وقال : زده بحياتى . فقال فيه :

يا بن بدر ياعليه قلت إنى قرشيه
قلت ماليس بحق فاسكنى يانبطيه
اسكتى يابنت جهم اسكتى ياحلقيه

فأخذ عبادة هذه الأبيات فغناها على الطبل وجاو به من كان يغنى والمتوكل يضحك و يضرب بيديه ورجليه .

العباس بن مقام

صوت

ويلى على ساكن شط الصراه من وجنتيه شمت برق الحياه

ماينقضى من عجب فكرتى فى خصلة فرط فيها الولاه
ترك المحبين بلا حاكم لم يقعدوا للعاشقين القضاء

الشعر لإسماعيل القراطيسى. والغناء لعباس بن مقام خفيف رمل بالوسطى.

العباس بن منقار الرؤاسى

أمنى تخاف انتشار الحديث وحظى فى ستره أوفر
ولولم أصنه لبقيا عليك نظرت لنفسى كما تنظر

فيه ثانى ثقيل ينسب إلى حسين بن محرز و إلى عباس بن منقار.

عبدال

غلام علوية

حدث الأبزارى قال: أتيت علوية يوما بالعشى فقال: إنى صنعت البارحة لحنا أعجبنى فاسمعوه وقولوا فيه ماعندكم. وغنانا فقال:

هزئت عميرة أن رأت ظهرى انحنى
وذؤابتى علت بماء خضاب

ثم استؤذن لعثعث غلام أحمد بن يحيى بن معاذ. فأذن له. ومع عثعث كتاب من مولاه أحمد بن يحيى: سمعت ياسيدى منك صوتا عند أمير المؤمنين يعنى المعتصم. فأحب أن تتفضل وتطرحه على عبدك عثعث وهو:

فواحسرتا لم أقض منك لبانة ولم أتمتع بالجوار وبالقرب
يقولون هذا أخر العهد منهم فقلت وهذا آخر العهد من قلبى

وإذا مع الحسين رقعة من مولاه : سمعتك ياسيدى تغنى عند الأمير أبى إسحاق ابراهيم بن المهدى :

ألا ياحمامَىْ قَصْرِ ذوران هِجْنَا ... بقلبي الهوى لما تغنيتُما لِيا

أحب أن تطرحه على عبدك حسين . قال : فدعا بغلام له يسمى عبدال فطرحه عليهما حتى أحكماه . ثم عرضاه عليه حتى صح لهما .

عبد الله بن إسماعيل المراكبي

كانت عريب لعبدالله بن إسماعيل ، صاحب مراكب الرشيد ، وهو الذى رباها وأدبها وعلمها الغناء

عبد الله بن دحمان

هو عبد الله بن دحمان الأشقر المغنى .

كان فى جنبة إبراهيم بن المهدى ومتعصبا له . وكان أخوه الزبير فى جنبة إسحاق الموصلى ومتعصبا له . فكان كل واحد منهما يرفع من صاحبه و يشيد بذكره . فعلا الزبير بتقديم إسحاق له ، لتمكن إسحاق وقبول الناس منه . ولم يرتفع عبدالله بذكر إبراهيم له مع غض إسحاق منه

وكان الزبير على كل حال يتقدم أخاه عبد الله .

وعن حماد عن أبيه قال : كان أبى كثيراً مايقول : مارأيت أقل عقلاومعرفة ممن يقول : إن دحمان كان فاضلا . والله مايساوى غناؤه كله فلسين . وأشبه الناس صوتا وصنعة و بلادة و بردا ابنه عبد الله . ولكن المحسن والله الجمل المؤدى الضارب المطرب ابن الزبير .

وكان أبو إسحاق يؤثر عبد الله بن دحمان ويقدمه ، وإذا سمع صوتاً عرضه على أبي إسحاق فيقومه له ويصلحه ، مضادة لأخيه الزبير .

عبد الله بن طاهر

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : لم يحب أبي أن يشيع عنه شيء من هذا ولا ينسب إليه ، لأنه كان يترفع عن الغناء ، وما جس بيده وتراً قط ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدربة ما لا يعرفه كبير أحد . وبلغ من علم ذلك الى أن صنع أصواتا كثيرة فألقاها على جواريه فأخذنها عنه وغنين بها وسمعها الناس منهن ومن أخذ عنهن .

فلما أن صنع هذا الصوت :

هلا سقيتم بنى جرم أسيركم نفسى فداؤك من ذى غلة صادى

نسبه إلى مالك بن أبي السمح .

وكان لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لها راحة ، فكانت ترغب إلى عبد الله بن طاهر لماندبه المأمون إلى مصر . وكانت تغنيه ، وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذه المغنون عنها ورووه لمالك مدة . ثم قدم عبد الله العراق فحضر مجلس المأمون وغنى الصوت بحضرته ونسب إلى مالك . فضحك عبدالله ضحكا كثيراً . فسئل عن القصة فصدق فيها واعترف بصنعته الصوت . فكشف المأمون عن ذلك . فلم يزل كل من سئل عنه يخبر عمن أخذه فتنتهى القصة إلى راحة ثم تقف ولا تعدوها . فأحضرت راحة وسئلت فأخبرت بقصته . فعلم أنه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمالك .

ويقال : إن إسحاق لم يعجب من شيء عجبه من عبد الله وحذقه بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

عبد الله بن العباس بن الفضل الربيعى

قال أبو عبد الله بن العباس : دعانى المتوكل فلما جلست مجلس المنادمة قال لى : يا عبد الله ، تغن . فغنيته فى شعر مدحته به . فقال : أين هذا من غنائك فى :

* أماطت كساء الخز عن حُر وجهها *

ومن صنعتك فى :

* أقفر ممن يحله سرف *

فقلت : ياأمير المؤمنين، إن صنعتى حينئذ كانت وأنا شاب عاشق، فإن استطعت أن ترد شبابى وعشقى صنعت مثل تلك الصنعة . فقال : هيهات ، وقد لعمرى صدقت . ووصلنى .

وقال : رآنى الرشيد مشغوفا بالغناء فى شعر أبى العتاهية .

وقال : أحضرنى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب . فلما جلست واطمأننت أخرج إلىّ خادمه رقعة فقال : اقرأ مافيها واعمل بما رسمه الأمير أعزه الله. فقرأتها فإذا فيها قوله :

يرتاح للدجن قلبى وهو مُقتسم ... بين الهموم ارتياحَ الأرض للمطر

إنى جعلت لهذا الدجن نحلته ... أن لا يزول ولى فى اللهو من وطر

وتحت هذين البيتين : تقدم ، جُعلت فداك، إلى من بحضرتك من المغنين

بأن يغنون فى هذين البيتين. وألق جميع ما يصنعونه على فلانة، فإذا أخذته فأنفذها إلىّ مع رسولى. فقلت: السمع والطاعة لأمر الأمير أعزه الله. فهل صنع فيهما أحد قبلى؟ فقال: نعم، إسحاق الموصلى. فقلت: والله لو كلف إبليس أن يصنع فيهما صنعة يفضل إسحاق فيها بل يساويه بل يقارب بهما قدر على ذلك ولا بلغ مبلغه. فضحك حتى استلقى، وقال: صدقت والله، وهكذا يقول من يعقل لا كما يقول هؤلاء الحمقى. ولكن اصنع فيهما على كل حال كما أمر. فقلت: أفعل وقد برئت من العهدة. فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القرادين.

وقال: كان سبب دخولى فى الغناء وتعلمى إياه أنى كنت أهوى جارية لعمتى رقية بنت الفضل بن الربيع، فكنت لا أقدر على ملازمتها والجلوس معها خوفا من أن يظهر ما لها عندى فيكون ذلك سبب منعى منها. فأظهرت لعمتى أننى أشتهى أن أتعلم الغناء ويكون ذلك فى ستر عن جدى. وكان جدى وعمتى فى حال من الرقة علىّ والمحبة لى لا نهاية وراءها، لأن أبى توفى فى حياة جدى الفضل. فقالت: يا بنى، وما دعاك إلى ذلك؟ فقلت: شهوة غلبت على قلبى إن منعت منها مت غمًّا. وكان لى فى الغناء طبع قوى. فقالت لى: أنت أعلم وما تختاره، والله ما أحب منعك من شىء، وإنى لكارهة أن تحذق ذلك وتشهر به فتسقط ويفتضح أبوك وجدك. فقلت: لا تخافى ذلك فإنما آخذ منه مقدار ما ألهو به. ولازمت الجارية لمحبتى إياها بعلة الغناء، فكنت آخذ عنها وعن صواحباتها، حتى تقدمت الجماعة حذقا، وأقررن لى بذلك، وبلغت ما كنت أريد من أمر الجارية. وصرت ألازم مجلس جدى، فكان يسر بذلك ويظنه تقربا منى إليه. وإنما كان وكدى فيه أخذ الغناء. فلم يكن يمر لإسحاق ولا لابن جامع ولا للزبير بن دحمان

ولا لغيرهم صوت إلا أخذته . فكنت سريع الأخذ ، وإنما كنت أسمعه مرتين أو ثلاثا وقد صح لى . وأحسست من نفسى قوة فى الصناعة ، فصنعت أول صوت صنعته فى شعرِ الرجز :

أماطتْ كِساء الخزّ عن حُر وجهها وأدنت على الخدّين بُرداً مهلهلا

ثم صنعت فى :

أقفر من بعد حلّه سرف فالمُنحنى فالعقيق فالجرفُ

وعرضتهما على الجارية التى كنت أهواها وسألتها عما عندها فيهما . فقالت: لايجوز أن يكون فى الصنعة شىء فوق هذا . وكان جوارى الحارث بن بسخنر ، وجوارى ابنه محمد يدخلن إلى دارنا فيطرحن على جوارى عمتى وجوارى جدى و يأخذن أيضا منى ماليس عندهن من غناء ، فسمعننى ألقى هذين الصوتين على الجارية ، فأخذتهما منى. وسألن الجارية عنهما ، فأخبرتهن أنهما من صنعتى. فسألنها أن أصححهما لهن . ففعلت . فأخذتهما عنها . ثم اشتهرا حتى غنى الرشيد بهما يوما فاستطرفهما ، وسأل إسحاق : هل تعرفهما ؟ فقال : لا و إنهما لمن حسن الصنعة ، وجيدها ومتقنها . ثم سأل الجارية عنهما ، فتوقفت خوفا من عمتى وحذراً أن يبلغ جدى أنها ذكرتنى . فانتهرها الرشيد . فأخبرته بالقصة . فوجه من وقته فدعا بجدى . فلما أحضره قال له : ياغلام ، أيكون لك ابن يغنى ثم يبلغ فى الغناء المبلغ الذى يمكنه معه أن يصنع صوتين يستحسنهما إسحاق وسائر المغنيين و يتداولهما جوارى القيان ولا تعلمنى بذلك ، كأنك رفعت قدره عن خدمتى فى هذا الشأن ؟ فقال له جدى : وحق ولائك ياأمير المؤمنين ونفسك و إلا فأنا نفى منهما برىء من بيعتك ، أو على العهد والميثاق والعتق والطلاق إن كنت علمت بشىء من هذا قط إلا منك الساعة . فمن هذا من ولدى ؟ قال : عبد الله بن العباس هو .

فأحضرنيه الساعة . فجاء جدى وهو يكاد ينشق غيظا فدعانى . فلما خرجت إليه شتمنى وقال : يا كلب، أبلغ من أمرك ومقدارك أن تجسر على أن تتعلم الغناء بغير إذنى، ثم زاد ذلك حتى صنعت، ولم تقنع بهذا حتى ألقيت صنعتك على الجوارى فى دارى، ثم تجاوزتهن إلى جوارى الحارث بن بسخنر فاشتهرت ، و بلغ أمرك أمير المؤمنين فتنكر لى ولامنى ، وفضحت أباءك فى قبورهم وسقطت الأبد إلا من المغنين . فبكيت غمًّا بما جرى وعلمت أنه قد صدق . فرحمنى وضمنى إليه وقال : قد صارت الآن مصيبتى فى أبيك مصيبتين: أحدهما به وقد مضى وفاق ،والأخرى بك وهى موصولة بحياتى . وبكى وقال : عزّ على يابنى أن أراك أبداً مابقيت على غير ماأحب ، وليست له فى هذا الأسر حيلة ، لأنه أمر قد خرج عن يدى . ثم قال : جئنى بعود حتى أسمعك وأنظر كيف أنت ، فإن كنت تصلح للخدمة فى هذه الفضيحة و إلا جئته بك منفرداً وعرّفته خبرك واستعفيته لك . فأتيته بعود وغنيته غناء قديما . فقال : لا بل غنّ صوتيك اللذين صنعتهما . فغنيته إياها . فاستحسنهما وبكى ثم قال : بطلت والله يابنى وخاب أملى فيك، فواحسرتى عليك وعلى أبيك. فقلت له: ياسيدى، ليتنى مت من قبل ماأنكرته أو خرست ، ولكنى وحياتك لاغنيت أبداً إلا لخليفة أو ولى عهد . ثم ركب . وأمرنى فأحضرت فوقفت بين يدى الرشيد وأنا أرعد . فاستدنانى حتى صرت أقرب الجماعة إليه. ومازحنى وأقبل علىّ وسكن منى وأمر جدى بالانصراف وأمر الجماعة فحدثونى . وسقيت الجماعة وغنى المغنون جميعاً . فأومأ إلى إسحاق الموصلى بعينه : أن ابدأ فغن إذا بلغت النوبة قبل أن تؤمر بذلك ليكون أصلح وأجود بك . فلما جاءت النوبة إلىّ أخذت عودا ممن كان إلى جانبى وقمت قائما واستأذنت فى الغناء . فضحك الرشيد وقال : غن جالسا . فجلست وغنيت لحنى الأول. فطرب واستعاده

ثلاث مرات وشرب عليه ثلاث أنصاف . ثم غنيت الثانى . فكانت هذه حلله وسكر . فدعا بمسرور فقال له : احمل الساعة مع عبد الله عشرة آلاف دينار وثلاثين ثوبا من فاخر ثيابه وعيبة مملوءة طيبا . فحمل ذلك أجمع معى .

حتى كان الواثق فدعانى فى أيام المعتصم وسأله أن يأذن له فى الغناء. فأذن له ثم دعانى من الغد فقال : ما كان غناؤك إلا سببا لظهور سرى وسر الخلفاء قبلى، ولقد هممت أن آمر بضرب رقبتك، لا يبلغنى أنك امتنعت عن الغناء عند أحدك، فوالله لئن بلغنى لأقتلنك. فأرحنا من يمينك. واستفتيت فى يمينى أبا يوسف القاضى حتى خرجت منها، وغنيت بعد ذلك إخوانى جميعا حتى اشتهر أمرى .

وقال : أنا أول من غنى بالكنكلة فى الإسلام و وضعت هذا الصوت عليها

أتانى يؤامرنى فى الصبو ح ليلا فقلت له غادها

عبد الله بن موسى الهادى

كان أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناء . وكان له غلام أسود يقال له قلم، فعلمه الصوت وحذقه . فاشترته منه أم جعفر بثلثمائة درهم .

وحدث دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وثقيف الخادم الأسود ، مولى الفضل بن الربيع، نضارب مولاى عبد الله بن موسى ، وقد أخذ النبيذ من الجماعة ، فضرب عبد الله وثقيف صوتا فاختلفا فيه وتشاجرا . فقال عبد الله : كذا أخذته من منصور زلزل . وقال ثقيف : كذا أخذته منه . وطال تشاجرهما فيه . وكان ثقيف معربداً يذهب عقله من أدنى شىء يشربه . وكان عبد الله بن موسى أيضاً معربداً . فغضب ثقيف و رفع العود وهو لا يعقل فضرب به رأس عبد الله بن موسى، فطوقه إياه . وابتدر خدم عبد الله، فقال لهم عبد الله

ابن موسى : لاتمسوه وأخرجوا العود من عنقى . فأخرجوه . وكان عبد الله بن موسى أشد خلق الله عربدة أيضا . فرزق فى ذلك اليوم حلما لم ير مثله . وقال لخدمه : إن قتلتهُ قتلت كلبا وتحدث الناس بذلك . ولكن اخلعوا عليه وهبوا له ولا يدخل منزلى أبداً .

ومن صنعته :

تقاضاك دهرك ما أسلفا وكدّر عيشك بعد الصفا
فلا تجزعن فإن الزمان رهين بتشتيت ما ألفا
ومازال قلبك مأوى السرور كثير الهوى ناعما مترفا
ألحّ عليك بروعاته وأقبل يرميك مستهدفا

الشعر والغناء له .

ولعبد الله بن موسى غناء فى قول عمر بن أبى ربيعة :

إن أسماء أرسلت وأخو الشوق مُرسل
أرسلت تستزيدنى وتُفدّى وتعذل

عبد الله بن يونس

صوت من المائة المختارة

أتانى سنان بالوداع لمؤمن فقلت له إنى إلى الله راجع
ألا أيها الحانى عليه ترابه هبلت وشلت من يديك الأصابع
يقولون لا تجزع فأظهر جلادةً فكيف بما تُحنى عليه الأضالع

قيل : إن فيه لحناً لعبد الله بن يونس .

عبد الرحيم الدفاف

أبو القاسم

هو عبد الرحيم بن الفضل الكوفى ، ويكنى أبا القاسم . وقيل : هو عبد الرحيم بن سعد ، وقيل: عبد الرحيم بن الهيثم بن سعد ، مولى لآل الأشعث ابن قيس . وقيل : بل هو مولى خزاعة .

قال حماد الراوية : رأيت عبد الرحيم الدفاف أيام هارون الرشيد بالرقة ، وقد ظهرت ، فحضرنى وسمعته يغنى يومئذ صوتاً سُئل عنه ، فذكر أنه من صنعته ، وهو :

فديتكِ لاتدرين كيف أحبكم وكيفَ إذا ماغبت عنك أقول

وصار عبد الرحيم منقطعا إلى علىّ بن المهدى المعروف بأمه ريطة بنت أبى العباس .

وغنت جارية يوما بحضرة الرشيد :

قل لعلىّ أيا فتى العرب وخير نام وخير مكتسب

أعلاك جداك يا علّى إذا قصّر جدّ عن ذروة الحسب

فأمر بضرب عنقها . فقالت : ياسيدى ، ما ذنبى ؟ هذا صوت عُلمته والله ما أدرى من قاله ولا فيمن قيل . فعلم أنها صدقت . فقال لها : عمن أخذته ؟ فقالت : عن عبد الرحيم الدفاف . فأمر بإحضاره . فأحضر ، فقال له : ياعاض بظر أمه ، أتغنى فى شعر تفاخر فيه بينى وبين أخى ، جردوه ؟ فجردوه ودعا له بالسياط . فضرب بين يديه خمسمائة صوت .

وقال عبد الرحيم : دخلتُ على علىّ بن ريطة يوماً وستارته منصوبة .

فغنت جاريته :

أناس أمنّاهم فنمّوا حديثنا فلما كتمنا السرَّ عنهم تقوّلوا

فقلت : أرأيت إن غنيتك هذا الصوت وفى تمامه زيادة بيت واحد ، أى شىء لى عليك ؟ قال : خلعتى التى علىَّ . فغنيتهُ :

فلم يحفظوا الودّ الذى كان بيننا ولا حين همّوا بالقطيعة أجمل

قال : فنزع خلعته فخلعها علىّ . وأقمت عنده بقية يومى على عربدة كانت فيه .

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

هو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، ويكنى أبا أحمد . وله محل من الأدب والتصرف فى فنونه ورواية الشعر وقوله : والعلم باللغة وأيام الناس ، وعلوم الأوائل من الفلاسفة فى الموسيقى والهندسة ، وغير ذلك مما يجل عن الوصف ويكثر ذكرُه . وله صنعة فى الغناء حسنة متقنة عجيبة تدل على ما ذكرناه ها هنا من توصله الى ما عجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها فى صوت واحد تتبعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها .

وكان المعتضد بالله ، رحمة الله عليه، ربما كان أراد أن يصنع فى بعض الأشعار غناء وبحضرته أكابر المغنيين ، مثل القاسم بن زرزور ، وأحمد بن المكى ، ومن دونهما مثل أحمد بن أبى العلاء وطبقتهم ، فيعدل عنهم إليه ، فيصنع فيها أحسن صنعة ، ويترفع فيه عن إظهار نفسه بذلك ، ويومى إلى أنه من صنعة جاريته ، وكانت إحدى المحسنات المبرزات المقدمات ، وذلك بتخريجه

وتأديبه ، وكان بها معجبا ، ولها مقدماً .

عبيدة بن أشعب

كان أشعب يغنى ، وله أصوات قد حكيت عنه . وكان ابنه عبيدة يغنيها . فمن أصواته هذه :

أرُونى منْ يقومُ لكم مَقامى ... إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ

إلى مَنْ تفزعونَ إذَا حثوْتمْ ... بأيْديكم علىّ منَ التراب

عبيدة الطنبورية

كانت عبيدة من المحسنات المتقدمات فى الصنعة والآداب ، يشهد لها بذلك إسحاق ، وحسبها بشهادته .

وكان أبو حشيشة يعظمها ، ويعترف لها بالرياسة والأستاذية .

وكانت من أحسن الناس وَجهاً ، وأطيبهم صوتاً . ذكرها جحظة فى كتاب الطنبوريين والطنبوريات ، فقال : كانت من المحسنات ، وكانت لا تخلو من عشق ، ولم يعرف فى الدنيا امرأة أعطر منها ، وكانت لها صنعة عجيبة ، فمنها فى الرَّمل :

كُنْ لى شفيعاً إليكاَ ... إنْ خفتَ ذاك عليكاَ

وأعفنى مِنْ سؤالى ... سواك ما فى يديكا

يا مَنْ أعزّ وأهوَى ... مالى أهونُ عليكاَ

واجتمع الطنبوريون يوماً عند أبى العباس بن الرشيد يوماً وفيهم المسدود وعبيدة ، فقالوا المسدود : غَنّ. فقال : لا والله لا تقدمت عُبيدة وهى الأستاذة. فما غنى حتى تغنت .

وكان على بن أحمد يتعشق عبيدة وهو شاب. وأنفق عليها مالا جليلا، فسئل عنها فقال : كانت عبيدة بنت رجل يقال له صباح مولى أبى السمراء الغسانى نديم عبد الله بن طاهر . وأبو السمراء أحد العدة الذين وصلهم عبد الله بن طاهر فى يوم واحد لكل رجل منهم مائة ألف دينار . وكان الزبيدى الطنبورى أخو نظم العمياء يختلف إلى أبى السمراء ، وكان صباح صاحب أبى السمراء . فكان الزبيدى اذا سار الى أبى السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح والد عبيدة وبات وشرب وغنى وأنس . وكان لعبيدة صوت حسن وطبع جيد . فسمعت غناء الزبيدى فوقع فى قلبها واشتهته . وسمع الزبيدى صوتها وعرف طبعها فعلمها وواظب عليها ومات أبوها ورقت حالها وقد حذقت الغناء على الطنبور ، فخرجت تغنى وتقنع باليسير . وكانت مليحة خفيفة الروح . فلم يزل أمرها يزيد حتى تقدمت وكبر حظها .

عثعث

أبو دليجة

كان عثعث أسود مملوكا لمحمد بن يحيى بن معاذ ، ظهر له منه طبع ، وحسن أخذ وأداء. فعلمه الغناء وخرجه وأدبه، فبرع فى صناعته .

وقال : كنا نى مخارق بأبى دليجة . وكان السبب فى ذلك أن أول صوت سمعنى أغنيه :

أبا دليجه من توصى بأرملة أم لأشعث ذى طمرين ممحال

فقال لى : أحسنت يا أبا دليجة . فقبلت يده وقلت له: يا سيدى أبا المهنأ، أتشرف بهذه الكنية إذا كانت نحلة منك.

وكان مخارق يشتهى غناءه ويحزنه إذا سمعه

وقال : دخلت يوماً على المتوكل وهو مصطبح، وابن المارقى يغنيه قوله :

أقاتلى بالجيد والقد والخد وباللون فى وجه أرق من الورد

وهو على البركة جالس ، وقد طرب واستعاد الصوت مرارا ، وأقبل عليه فجلست ساعة ثم قمت لأبول فصنعت هزجا فى شعر البحترى الذى يصف فيه البركة :

إذا النجوم تراءت فى جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها

فما سكت ابن المارقى سكوتاً مستوجباً حتى اندفعت أغنى هذا الصوت . فأقبل على وقال :أحسنت وحياتى ، أعدفأعدت.فشرب قدحاً. ولم يزل يستعيدنيه ويشرب حتى اتكأ . ثم قال للفتح: بحياتى ادفع إليه الساعة ألف دينار وخلعة تامة واحمله على شهرى فاره بسرجه ولجامه .

عريب المغنية

كانت عريب مغنية محسنة وشاعرة صالحة الشعر ،وكانت مليحة الخط والمذهب فى الكلام، ونهاية فى الحسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة الطرب و إتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار والرواية للشعر والأدب . لم يتعلق بها أحد من نظرائها، ولا رئى فى النساء بعد القيان الحجازيات القديمات مثل جميلة

وعزة الميلاة وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن على قلة عددهن .

وقال وكيع : مارأيت امرأة أضرب من عريب ولاأحسن صنعة ولاأحسن وجها ولاأخف روحا ولاأحسن خطابا ولاأسرع جوابا ولاألعب بالشطرنج والنرد ولا أجمع لخصلة حسنة ، لم أر مثلها فى أمرأة غيرها .

وحدث محمد بن القاسم أنه جمع غناءها من ديوانى ابن المعتز وأبى العبيس بن حمدون، وما أخذه عن بدعة جاريتها التى أعطاها إياها بنو هاشم، فقابل بعضه ببعض فكان ألفا ومائة وخمسا وعشرين صوتا .

وكانت تعشق أباعيسى بن الرشيد . وكانت لاتضرب المثل إلا بحسن وجه أبى عيسى وحسن غنائه . وكانت تزعم أنها ماعشقت أحداً من بنى هاشم وأصفته المحبة من الخلفاء وأولادهم سواه

وحدث ابن الفرات قال : كنت يوما عند أخى أبى العباس وعنده عريب جالسه على دست مفرد لها وجواريها يغنين بين يديها وخلف ستارتها . فقلت لآخر . وقد جرى ذكر الخلفاء : قالت عريب : . . . منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحدا إلا المعتز فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد

عزة الميلاء

كانت عزت الميلاء مولاة للأنصار . ومسكنها المدينة . وهى أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز ، وماتت قبل جميلة . وكانت من أجمل الناس وجهاً ، وأحسنهن جسما . وسميت الميلاء لتمايلها فى مشيها ، وقيل بل كانت تلبس الملاء ، وتشبه بالرجال فسميت بذلك . وقيل بل كانت مغرورة بالشراب وكانت تقول خذ مليئا وأورد فارغا :

وكانت عزة الميلاء ممن أحسن ضرباً بعود . وكانت مطبوعة على الغناء لا يعيبها أداؤه ، ولا صنعته ولا تأليفه . وكانت تغنى أغانى العشاق من القدائم . وكانت رائقة أستاذتها . فلما قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غنيا أغانى بالفارسية ، فلقنت عزة عنهما نغماً وألقت عليهما ألحاناً عجيبة ، فهى أول من فتن أهل المدينة بالغناء وحرض نساءهم ورجالهم عليه .

وقال الزبير : إنه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عزة ، قالوا : لله درُّها ! ما كان أحسن غناءها ومد صوتها ، وأندى حلقها ، وأحسن ضربها بالمزامر والمعازف وسائر الملاهى ، وأجمل وجهها ، وأظرف لسانها ، وأقرب خلقها ، وأسخى نفسها ، وأحسن مساعدتها !

وكان ابن سريج فى حداثة سنه يأتى المدينة فيسمع من عزة ويتعلم غناءها ويأخذ عنها ، وكان بها معجبا ، وكان إذا سئل : من أحسن الناس غناء ؟ قال : مولاة الأنصار ، المفضلة على كل من غنى ، وضرب بالمعازف ، والعيدان : من الرجال والنساء .

وكان ابن محرز يقيم بمكة ثلاثة أشهر ، ويأتى المدينة فيقيم بها ثلاثة أشهر ، من أجل عزة ، وكان يأخذ عنها .

وكان طويس أكثر ما يأوى منزل عزة الميلاء ، وكان فى جوارها . وكان إذا ذكرها يقول : هى سيدة من غنى من النساء ، لله جمال بارع ، وخلق فاضل ، وإسلام لا يشوبه دنس ، تأمر بالخير وهى من أهله ، أو تنهى عن السوء وهى مجانبة له .

فناهيك ما كان أنباها ، وأنبل مجلسها . وكانت إذا جلست جلوساً عامّا ، فكأن الطير على رءوس أهل مجلسها ، من تكلم أو تحرك نقر رأسه .

وعن حنبل أنه أتى عزة يوما ، وهو عند جميلة ، وقد أسنت ، وهى تغنى على معزفة فى شعر ابن الإطنابة :

عَللانى وعللا صاحبيها واسقيانى من المروّق ريّا

فما سمع السامعون قط بشىء أحسن من ذلك . قال معبد : هذا غناؤها وقد أسنت فكيف بها وهى شابة .

وعن صالح بن حسان الأنصارى ، قال : كانت عزة مولاة لنا ، وكانت يعفيفة جميلة . وكان عبد الله بن جعفر وابن أبى عتيق ، وعمر بن أبى ربيعة : غشونها فى منزلها فتغنيهم . وغنت يوماً عمر بن أبى ربيعة لحنا لها أشهى من شعره فشق ثيابه ، وصاح صيحة عظيمة صعق معها . فلما أفاق قال له القوم : لغيرك الجهل ياأبا الخطاب . قال : إنى سمعت والله مالم أملك معه نفسى ولا عقلى .

وكان حسان بن ثابت معجبا بعزة الميلاء ، وكان يقدمها على سائر الأمة المدنية .

عطرد أبو هارون

عطرد : مولى الأنصار ، ثم مولى بنى عمرو بن عوف . وقيل : إنه مولى مزينة . مدنى ، يكنى أبا هارون ، وكان ينزل قباء .

كان جميل الوجه ، حسن الغناء ، طيب الصوت ، جيد الصنعة ، حسن الرأى والمروءة ، فقيها ، قارئاً للقرآن ؛ وكان يغنى مرتجلا .

وولى سلمة بن عباد القضاء بالبصرة ، فقصد ابنه عباد بن سلمة عطرداً وهو بها مقيم ، قد قصد آل سليمان بن على وأقام معهم ، فأتى به ليلا ، فدقّ عليه ،

ومعه جماعة من أصحابه ، أصحاب القلانس . فخرج عطرد إليه ، فلما رآه ومن معه فزع ، فقال : لا ترع :

إنى قصدت إليك من أهلى فى حاجة يأتى لها مثلى

فقال : وما هى ؟ أصلحك الله . قال :

لا طالبا شيئا إليك سوى حمى الحمول بجانب العزل

فقال : انزلوا على بركة الله . فلم يزل يغنيهم هذا وغيره حتى أصبحوا .

وكان منقطعا فى دولة بنى هاشم إلى آل سليمان بن علىّ ، لم يخدم غيرهم . وتوفى فى خلافة المهدى .

وحدّث خالد بن كلثوم قال : كنت مع زبراء بالمدينة ، وهو وال عليها ، فأمر بأصحاب الملاهى فحبسوا وحبس عطرد فيهم . فجلس ليعرضهم ، وحضر رجال من أهل المدينة شفعوا لعطرد ، وأخبروه أنه من أهل الهيئة والمروءة والفقه والدين . فدعا به ، فخلى سبيله ، وأمره برفع حوائجه اليه . فدعا له وخرج . فإذا هو بالمغنين أحضروا ليعرضوا . فعاد اليه عطرد؟ فقال: أصلح الله الأمير ، أعلى الغناء حبست هؤلاء ؟ قال : نعم . قال : فلا تظلمهم ، فو الله ما أحسنوا منه شيئا قط . فضحك وخلى سبيلهم .

ولما استخلف الوليد بن يزيد كتب الى عاملة بالمدينة فأمره بالشخوص اليه بعطرد المغنى . قال عطرد : فأقرأنى العامل الكتاب وزودنى نفقة وأشخصنى اليه . فأدخلت عليه ، وهو جالس فى قصره على شفير بركة مرصعة ، مملوءة خمراً ، ليست بالكبيرة ، ولكنها يعدو الرجل فيها سباحة . فو الله ما تركنى أسلم عليه ، حتى قال . أعطرد ! قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : لقد كنت اليك مشتاقا يا أبا هارون غننى :

حيّ الحمول بجانب العزل إذ لا يلائم شكلها شكلى
إنى بحبلك واصل حبلى وبريش نبلك رائش نبلى
وشمائلى ما قد علمتْ وما نبحتْ كِلابُك طارقا مثلى

قال : فغنيته إياه ، فو الله ما أتممته حتى شق حلة وشى كانت عليه ، لا أدرى كم قيمتها ، فتجرد منها كما ولدته أمه وأبقاها نصفين ورمى بنفسه فى البركة . فنهل فيها ، وأخرج منها وهو كالميت سكراً .

قال : فخرجت من عنده ، وما علم الله أنى ذكرت شيئا مما جرى ، حتى مضت من دَولة بنى هاشم هذه .

علوية أبو الحسن

هو : علوية عبد الله بن سيف . وكان جده من السغد ، الذين سباهم عثمان ابن الوليد ، زمن عثمان بن عفان ، واسترق منهم جماعة اختصهم لخدمته ، وأعتق بعضهم ولم يعتق الباقين فقتلوه .

وكان مغنيا حاذقاً ، ومؤدباً محسناً ، وضارباً متقدماً ، مع خفة روح ، وطيب مجالسة ، وملاحة نوادر .

وكان إبراهيم الموصلى : علمه وخرجه وعنى به جدا ، فبرع وغنى لمحمد الأمين ، وعاش الى أيام المتوكل . ومات بعد إسحاق الموصلى بمديدة يسيرة . وكان سبب وفاته أنه خرج به جرب ، فشكاه الى يحيى بن ماسويه ، فبعث اليه بدواء مسهل وطلاء ، فشرب الطلاء ، واطلى بالدواء المسهل ، فقتله .

وكان إسحاق يتعصب له فى أكثر أوقاته على مخارق .

وكان علوية أعسر. وكان عوده مقلوب الأوتار، البم أسفل الأوتار كلها ثم المثلث فوقه ، ثم المثنى ، ثم الزير . وكان عوده إذا كان فى يد مقلوباً على هذه الصفة ، واذا كان معه أخذه باليمنى وضرب باليسرى ، فيكون مستويا فى يده ومقلوباً فى يد غيره .

وكان بين علوية و بين على بن الهيثم شر بعر بدة وقعت بينهما فى حضرة الفضل بن الربيع ، وتمادى الشر بينهما . فغنى علوية فى شعر اهجاه به أبو يعقوب فى حاجة فهجاه ، وذكر أنه دعى . وكان علىّ يدعى أنه من بنى تغلب ، فقال له أبو يعقوب :

يا على بن هيثم يا جونقا أنت عندى من الأراقم حقا

فغنى علوية لحنا ، صنعهُ فيه بحضرة الأمين ، وكان الفضل بن الربيع حاضراً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، على بن الهيثم كابنى ، و إذا استخف به ، فإنما استخف بى . فقال الأمين : خذوه ، فأخذوه ، وضرب ثلاثين درة .

وغنى علوية بحضرة الواثق هذا الصوت :

مَن صاحب الدهر لم يحمد تصرفه عنى وللدهر إحلاء و إمراء

فاستحسنه الواثق وطرب عليه .

وعرض علوية على المعتصم رقعة فى أمر رزقه و إقطاعه ، وهو يشرب، دفعها إليه من يده . فلما أخذها اندفع علوية فغنى :

إنى استحييتك أن أفوه بحاجتى فإذا قرأت صحيفتى فتفهم

وعليك عهد الله إن خبرتهُ أحَداً ولا أظهرته بتكلم

فقرأ المعتصم الرقعة ، وهو يضحك ، ثم وقع له فيها بما أراد .

علية بنت المهدى

أمها أم ولد مغنية يقال لها مكنونة . كانت من جوارى المروانية المغنية وكانت مكنونة أحسن جارية بالمدينة وجها ، وكانت حسنة الصدر والبطن، فكانت توضح بهما . فاشتريت للمهدى فى حياة أبيه، فغلبت عليه حتى كانت الخيزران تقول : ما ملك امرأة أغلظ علىّ منها . واستتر أمرها على المنصور حتى مات ، فولدت له علية بنت المهدى .

وكانت علية من أحسن الناس وأظرفهم ، تقول الشعر الجيد ، وتصوغ فيه الألحان الحسنة . وكان بها عيب، كان فى جبينها فضل سعة حتى يسمج ، فاتخذت العصائب المكللة بالجوهر لتستر بها جبينها . فأحدثت والله شيئا ما رأيت فيما ابتدعته النساء وأحدثته أحسن منه .

وكانت حسنة الدين ، وكانت لا تغنى ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة ، فإذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب . فلا تلذ بشىء غير قول الشعر فى الأحيان إلا أن يدعوها الخليفة إلى شىء فلا تقدر على خلافه. وكانت تقول : ما حرم الله شيئا إلا وقد جعل فيما حال منه عوضا ، فبأى شىء يحتج عاصيه والمنتهك لحرماته . وكانت تقول : لا غفر الله فاحشة ارتكبتها قط، ولا أقول فى شعرى إلا عبثا .

وحدث سعيد بن إبراهيم قال : كانت علية تحب أن تراسل الأشعار من تختصه ، فاختصت خادما يقال له طل، من خدم الرشيد ، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره أياما ، فمشت على ميزاب وحدثته وقالت فى ذلك :

قد كان ما كلفته زمنا يا طل من وجد بكم يكفى
حتى أتيتك زائراً عجلا أمشى على حتف إلى حتف

فحلف عليها الرشيد ألا تكلم طلا ولا تسميه باسمه . فضمنت له ذلك . واستمع عليها يوماً وهى تدرس آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل : « إن لم يصبها وابل فطل » وأرادت أن تقول « فطل » فقالت : والذى نهانا عنه أمير المؤمنين . فدخل وقبل رأسها وقال : قد وهبت لك طلا ولا أمنعك بعد هذا من شىء تريدينه .

عمر الوادى

هو عمر بن داود بن زاذان . وجدّه زاذان، مولى عمرو بن عثمان بن عفان . وكان عمر مهندسا . وأخذ الغناء عنه حَكَم وذووه من أهل وادى القرى . وكان قدم إلى الحرم فأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد وأتقن . وكان طيب الصوت شجيه مطربا . وكان أول من غنى من أهل وادى القرى واتصل بالوليد بن يزيد فى أيام إمارته ، فتقدم عنده جدا . وكان يسميه جامع لذاتى ومحيي طربى . وقتل الوليد وهو يغنيه . وكان آخر عهده به من الناس .

وكان عمر الوادى يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والاختصاص له .

وقال عمر الوادى : بينا أنا أسير ليلة بين العرج (١) والسقيا سمعت إنسانا يغنى غناء لم أسمع قط أحسن منه . فكدت أسقط عن راحلتى طرباً، فقلت : والله لأتمسن الوصول إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائى ، حتى هبطت

---

(١) العرج : عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج .

من الشرف (١) ، فإذا أنا برجل يرعى غنما ، وإذا هو صاحب الصوت . فأعلمته الذى أقصدنى إليه وسألته إعادته علىّ . فقال : والله لو كان عندى قِرًى ما فعلت ولكنى أجعله قراك . فربما ترنمت به وأنا جائع فأشبع ، وكسلان فأنشط ، ومستوحش فآنس . فأعاده علىّ مراراً حتى أخذته. فوالله ما كان كلام غيره حتى دخلت المدينة، ولقد وجدته كما قال.

وقال عمر الوادى : خرج إلىّ الوليد بن يزيد يوما وفى يده خاتم ياقوت أحمر قد كاد البيت يلتمع من شعاعه ، فقال لى: يا جامع لذتى ، أتحب أن أهبه لك ؟ قلت : نعم والله يامولاى . فقال : غن فى هذه الأبيات التى أنشدك فيها وأجهد نفسك ، فإن أصبت إرادتى وهبته لك. فقلت : أجتهد وأرجو التوفيق . فخلوت فى بعض المجالس . فما زلت أدير صوتا حتى استقام . ثم خرجت إليه وعلى رأسه وصيفة . فقال : ما صنعت ؟ فقلت : فرغت مما أمرتنى به . وغنيته . فصاح : أحسنت والله . ثم قال : أعد بأبى أنت وأمى . فأعدته عليه، ثم نزع الخاتم والحلة التى كانت عليه .

عمرو بن بانة

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، مولى ثقيف . وكان أبوه صاحب ديوان ووجها من وجوه الكتاب . ونسب إلى أمه بانة القحطية . وكان مغنيا محسنا وشاعراً صالح الشعر . وصنعته متوسطة الندور، منها ماليس بالكثير .

---

(٢) الشرف : المكان العالى .

وكان يقعده عن اللحاق بالتقدم فى الصنعة أنه كان مرتجلا ، والمرتجل من المحدثين لا يلحق الضراب ، وعلى ذلك فما فيه مطعن ولا يقصر جيد صنعته عن صنعة طبقته ، و إن كانت قليلة . وروايته أحسن رواية ، وكتابه فى الأغانى أصل من الأصول.

وكان يذهب مذهب إبراهيم بن المهدى فى الغناء وتجنيسه ، ويخالف إسحاق ويتعصب عليه تعصبا شديداً ، ويواجهه بذلك ، فينصره إبراهيم بن المهدى عليه .

وكان تياهاً معجبا شديد الذهاب بنفسه .

وهو معدود فى ندماء الخلفاء ومغنيهم، على ما كان به من الوضح . وفيه يقول الشاعر :

أقول لعمرو وقد مر بى فسلّم تسليمة جافيه
لئن فَضّل الله فضْل الغنا ء لقد فضل الله بالعافيه

وقال عمرو : علمت عشرة علمان كلهم ثبتت فيه الثقافة والحذق ، وعلمت أنه متقدم .

واجتمع عمرو بن بانة والحسن بن الضحاك فى منزل ابن مشعوف ، وكان له خادم يقال له مقحم ، وكان عمرو يهتم به . فلما أخذ منهم الشراب سأل عمرو الحسين بن الضحاك أن يقول فى مقحم شعراً فيغنى فيه . فقال الحسين :

وأبأبى مقحم بعزته قلت له إذ خلوت مكتئما
تحب بالله من يخصك بالود فما قال لا ولا نعما

فغنى فيه عمرو بن بانة . ولم يزل هذا الشعر غناءهم وطربهم إلى أن تفرقوا .

عمرو بن عثمان بن أبى الكنات

مولى بنى صبح ، يكنى بمعن ، محسن موصوف بطيب الصوت . من طبقة ابن جامع وأصحابه. وفيه يقول الشاعر :

أحسنُ الناس فاعلموه غناء رجل من بنى أبى الكنات

وحدث ابن فرو قال : قلت لابن جامع يوما : هل غلبك أحد من المغنين قط ؟ قال : نعم ، كنت ليلة ببغداد إذ جاءنى رسول الرشيد فأمرنى بالركوب . فركبت حتى صرت إلى الدار، فاذا أنا بفضل بن الربيع معه زلزل العواد و برصوما، فسلمت وجلست قليلا ، ثم طلع خادم فقال بالفضل : هل جاء ؟ قال : لا . قال : فابعث إليه . ولم يزل المغنون يدخلون واحدا بعد واحد حتى كنا ستة أو سبعة . ثم طلع الخادم فقال : هل جاء ؟ فقال : لا . قال : فابعث فى طلبه . فقام فغاب غير طويل . فاذا هو قد جاء بعمرو بن أبى الكنات فسلم وجلس إلى جنبي . فقال لى : من هؤلاء ؟ قلت : مغنون ، وهذا زلزل وهذا برصوما . فقال : والله لأغنينك غناء يمزق هذا السقف وتجيبه الحيطان ولا يفهمون منه شيئاً .

وخرج ابن جامع وابن أبى الكنات حين دفعا من عرفة، حتى إذا كانا بين المأزقين جلس عمرو على طرف الجبل ثم اندفع يغنى . فوقف القطارات وركب الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا : يا هذا ، الله ، الله ! اسكت عنا يجز الناس .

وحدث عثمان بن موسى قال : كنا يوما باللاحجة ومعنا عمرو بن أبى الكنات ونحن على شرابنا إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : من تحبون أن يجيئكم ؟ قلت : منصور الحجبى . فقال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذى ينحدر فيه إلى سوق البقر. فمكثنا ساعة ثم اندفع فغنى :

أحسن النـاس فاعلموه غناء رجل من بنى أبى الـكنات

فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بعد قد أقبل يركض وابنه نحونا .

وأخبر يحيى بن بعلى بن سعيد قال : بينا أنا ليلة فى منزلى فى الرمضة أسفل مكة إذ سمعت صوت عمرو بن أبى الكنات ، كأنه معى . فأمرت الغلام فأسرج لى دابتى وخرجت أريده . فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً على الـكثيب العارض ببطن عرفة يغنى :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حيث أغضب

ولا تنقرينى نقرة الدف مرة فإنك لا تدرين كيف المغيب

فإنى وجدت الحب فى الصد والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

الغريض

الغريض لقب لقب به لأنه كان طرى الوجه نضيرا غض الشباب حسن المنظر ، فلقب بذلك . والغريض : الطرى من كل شىء . وقيل شبه بالإغريض ، وهو الجمار ، فسمى به . وثقل على الألسنة فحذفت الألف منه ، فقيل له الغريض . واسمه عبد الملك . وكنيته أبو زيد . وكان يكنى أبا مروان .

وهو مولى العبلات ، وكان مولدا من مولدى البربر ، وولاؤه للثريا صاحبة عمر ابن أبى ربيعة .

وكان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدف ويوقع بالقضيب ، وكان يصنع نفسه ، ويترفها ، وكان قبل أن يغنى خياطاً ، وأخذ الغناء فى أول أمره عن ابن سريج لأنه كان يخدمه . فلما رأى ابن سريج طبعه وظرفه وحلاوة منطقه خشى

أن يأخذ غناءه فيغلبه عليه عند الناس و يفوقه بحسن وجهه وجسده . فاعتل عليه وشكاه إلى مولياته ، ومن كن دفعنه إليه ليعلمه الغناء ، وجعل يتجنى عليه ثم طرده . فشكا ذلك إلى مولياته وعرفهن غرض ابن سريج فى تنحيته إياه عن نفسه وأنه حسده على تقدمه . فقلن له : هل لك أن تسمع نوحنا على قتلانا فتأخذه وتغنى عليه ؟ قال : نعم ، فافعلن . فأسمعنه المراثى . فاحتذاها وخرج غناء عليها كالمراثى . وكان ينوح مع ذلك فيدخل المأتم وتضرب دونه الحجب ثم ينوح فيفتن كل من حضر سمعه . ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه ، لما كان فيه من الشجا . فكان ابن سريج لا يغنى صوتاً إلا عارض الغريض فيه لحنا آخر . فلما رأى ابن سريج موقع الغريض اشتد عليه وحسده ، فغنى الأرمال والأهزاج ، فاشتهاها الناس . فقال له الغريض : يا أبا يحيى قصرت الغناء وحذفته ؟ قال : نعم يا مخنث ، حين جعلت تنوح على أمك وأبيك .

وخرج الغريض على قوم فغناهم هذا الصوت :

جرى ناصح بالود بينى و بينها فقرّ بنى يوم الحساب إلى قتلى

فاشتد سرور القوم .

وسمع الغريض أصوات رهبان بالليل فى دير لهم فاستحسنها ، فقال له بعض من معه : يا أبا يزيد ، صغ على مثل هذا الصوت لحنا . فصاغ مثله فى لحنه :

يا أم بكر حبك البادى لا تصرمينى إننى غادى

فما سمع بأحسن منه .

فليح بن أبي العوراء

فليح من أهل مكة ، مولى لبنى مخزوم ، ولم يقع إلينا اسم أبيه .

وهو أحد مغنى الدولة العباسية . له محل كبير من صباعته وموضع جليل .

وكان إسحاق إذا عد من سمع من المحسنين ذكره فيهم و بدأ به .وهوأحد الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد .

قال إسحاق : ما سمعت أحسن غناء من فليح وابن جامع ،

وكان المهدي يسمع المغنين جميعاً ويحضرون مجلسه ، فيغنونه من وراء الستارة لا يرون له وجها إلا فليح بن أبى العوراء ، فإن عبد الله بن مصعب الزبيرى كان يرويه شعره ويغنى فيه فى مدائحه للمهدى.فدس فى أضعافها بيتين يسأله فيهما أن يناديه وسأل فليحا أن يغنيها فى أضعاف أغانيه ، وهما :

يا أمين الإله فى الشرق والغر ب على الخلق وابن عمّ الرسول

مجلسا بالعشى عندك فى الميـــدان أبغى والإذن له فى الوصول

فغناه فليح إياهما ، فقال المهدى : يا فضل ، أجب عبد الله إلىّ ما سأل ، وأحضره مجلسى إذا حضره أهلى وموالىّ وجلست لهم ، وزده على ذلك أن ترفع بينى و بين راويته فليح الستارة . فكان فليح أول مغنّ عاين وجهه فى مجلسهم .

قال إسحاق : كنا عند الفضل بن الربيع ، فقال : هل لك فى فليح ابن أبى العوراء ؟ قلت : نعم . فأرسل اليه ، فجاء الرسول ، فقال : هو عليل. فعاد اليه . فقال للرسول : لا بد أن تجىء به . فجاء به محمولا فى محفة ، فحدثنا ساعة ثم غنى ، فكان فيما غنى :

تقول عرسى إذا نبا المضجع ما بالك الليلة لا تهجع

فاستحسناه منه ، واستعدناه منه مرارا ثم انصرف . ومات فى علته تلك ، وكان آخر العهد به وهذا المجلس .

ابن القصار

كان مع أبيه قصارا ، وتعلم الغناء فبرع فيه .

قالت قمرية البكتمرية : كنت لرجل من الكتاب يعرف بالبلورى ، وكان شيخاً ، وكانت ستى التى ربتنى مولاته ، وكانت مغنية شجية ، حسنة الغناء ، وكانت تعشق ابن القصار ، وكانت علامة مصيره اليها أن يجتاز فى دجلة وهو يغنى ، فإن قدرت على لقائه أو صلته اليها و إلا مضى ، فاجتاز فى ليلة ، وهو يغنى :

أنا فى يمنى يديها وهى فى يسر يديه
إن هذا لقضاء فيه جور يا أخيه

وكانت ستى واقفة بين يدى مولاها ، فما ملكت نفسها أن صاحت : أحسنت والله يا رجل ، فتفضل وأعد . ففعل وشرب رطلا ، وانصرف وعلم أنه لا يقدر على الوصول إليها .

وكان مولاها يعرف الخبر ، فتغافل عنها لموضعها من قلبه .

قلم الصالحية

كانت قلم الصالحية جارية مولدة صفراء ، وحلوه حسنة الغناء والضرب حاذقة ، قد أخذت عن ابراهيم وابنه إسحاق ، ويحيى المكى ، وزبير بن دحمان .

وكانت لصالح بن عبد الوهاب أخى أحمد بن عبد الوهاب ، كاتب صالح ابن الرشيد . وقيل كانت لأبيه . وكانت لها صنعة يسيرة نحو عشرين صوتاً ، واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار .

وغُنى بين يدى الواثق لحن لها فى شعر محمد بن كناسة :

فى انقباض وحشمة فإذا صادفت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها وقلت ماقلت غير محتشم

فسأل : لمن الصنعة فيه ؟ فقيل لقلم الصالحية، جارية صالح بن عبد الوهاب. فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره ، فقال : ويلك ! من صالح بن عبد الوهاب هذا ؟ فأخبره . قال : أين هو ؟ قال : ابعث فأشخصه وأشخص معه جاريته فقدما على الواثق . فدخلت عليه قلم ، فأمرها بالجلوس والغناء . فغنت ، فاستحسن غناءها وأمر بابتياعها . فقال صالح : أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر . فغضب الواثق من ذلك ورد عليه . ثم غنى بعد ذلك زرزور الكبير فى مجلس الواثق صوتاً الشعر فيه لأحمد بن عبد الوهاب ، أخى صالح ، والغناء لقلم وهو :

أبت دار الأحبة أن تبينا أجدك ما رأيت لها معينا
تقطع نفسهُ من حبّ ليلى نفوساً ما أثبن ولا جُزينا

فسأل : لمن الغناء ؟ فقيل : لقلم جارية صالح . فبعث الى ابن الزبير : أشخص صالحا ومعه قلم . فلما أشخصهما دخلت على الواثق ، فأمرها أن تغنيه هذا الصوت ، فغنته . قال : بارك الله عليك . وبعث الى صالح فأحضر. فقال : أما إذا وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين ، فما يجوز أن أملك شيئا له

فيه رغبة ، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين .

مالك بن أبى السمح

هو : مالك بن أبى السمح بن سليمان بن أوس بن سماك بن سعد بن أوس ابن عمرو بن دَرْماء ، أحد بنى ثعل . وأم أبيه بنت مُدْرك بن عوف بن عبيد ابن عمرو بن مخزوم . وكان أبوه منقطعا إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ويتيما فى حجره ، أوْصى به أبوه اليه . فكان ابن جعفر يكفله ويمونه ، وأدخله وإخوته فى دعوة بنى هاشم .

وكان مالك أحول طويلا أحنى . وأخذ الغناء عن جميلة ومعبد ، وعُمِّرَ حتى أدرك الدولة العباسية . وكان منقطعا الى بنى سليمان بن على . ومات فى خلافة أبى جعفر المنصور .

وقال عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ، أحد بنى الحارث بن عبد المطلب : خرجت من مكة أريد العراق . فحملت معى مالك بن أبى السمح من المدينة ، وذلك فى أيام أبى العباس السفاح . فكان اذا كانت عشيه الخميس ، قال لنا : يامعشر الرفقة ، الليلة ليلة الجمعة وأنا أعلم أنكم تسألونى الغناء ، وعلىّ وعلىّ إن غنيت ليلة الجمعة . فإن أردتم شيئا فالليلة ، اقترحوا ما أحببتم ، فنسأله فيغنينا . ثم يمر فى الغناء ، فما يكون فى ليلة أكثر غناء منه فى تلك الليلة بعد الأيمان المغلظة .

وحدّث ابراهيم الموصلى أنه رأى مالكا بالبصرة على باب جعفر بن سليمان أو أخيه محمد ولم يعرفه ، فسأل عنه بعد ذلك فعرف أنه قد كان خرج من البصرة . قال : فما لى حسرة مثل حسرتى بأنى ما سمعت غناءه .

لما انهزم عبد الله بن على من أبى مسلم قدم البصرة ، وكان عند سليمان بن على ، وكان مالك بن أبى السمح يومئذ بها ، فاستزاره جعفر ومحمد ، فزارهما . وغناهما مالك فى جوف الليل فى دار سليمان بن على . وبلغ الخبر سليمان ، فدخل عليهم . فعزل جعفراً ومحمداً وقال : نحن نتوقع الطامة الكبرى وأنتم تسمعون الغناء ، فقالا : ألا تجلس وتسمع ؟ ففعل . فغناهم مالك ، فخرج وترك ولم ينكر عليهم شيئاً .

قال ابن عائشة : حضرت الوليد بن يزيد يوم قتل ، وكان معنا مالك بن أبى السمح ، وكان من أحمق الناس ، فلما قُتل الوليد قال : اهرب منا. فقلت : ومايريدون منا ؟ قال : ومايؤمنك أن تأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما ليحسنوا أمرهم بذلك . قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلا قط قبل ذلك اليوم .

محمد بن الأشعث

هو محمد بن الأشعث القرشى ثم الزهرى ، وكان من فتيان أهل الكوفة وظرفائهم وأدبائهم ، وكان يقول الشعر و يتغنى فيه .

وكان ملازما لابن رامين ولجاريته الزرقاء .

وقال سليمان الخشاب : دخلت منزل ابن رامين فرأيت الزرقاء جاريته ، وهى وصيفة ، حين شال نهودها ثوبها عن صدرها ، لها شارب كأنه خط بمسك يلحظه الطرف و يقصر عنه الوصف ، وابن الأشعث الكوفى يلقى عليها ، والغناء له :

أية حال يابن رامين حال المحبين المساكين
تركتهم موتى وماموتوا قد جرعوا منك الأمرين

محمد بن حمزة

وجه القرعة

هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف ، مولى المنصور . ويكنى أبا جعفر ، ويلقب وجه القرعة ، وهو أحسن المغنين الحذاق الضراب الرواة ، وقد أخذ عن إبراهيم الموصلى وطبقته ، وكان حسن الأداء طيب الصوت ، لاعلة فيه . إلا أنه كان إذا غنى الهزج خاصة خرج بسبب لايعرف ، إلا أنه إذا تعرض للحنين فى جنس من الأجناس فلايصح له فيه

وحدث إسحاق الهاشمى عن أبيه قال : كنا فى بستان خالص النصرانى ببغداد ومعنا محمد بن حمزة وجه القرعة يغنينا قوله :

يادار فى أقفر رسمها بين المحصب والحجون

يابشر إنى فاعلمى والله مجتهد يمينى

فاذا برجل راكب على حمار يؤمنا وهو يصيح : أحسنت ياأبا جعفر أحسنت والله . فاذا هو مخارق ، فشرب رطلا من شرابنا وقال : لولا أنى مدعو الخليفة لأقمت عندكم واستمعت هذا الغناء الذى هو أحسن من الزهر غب المطر .

محمد الزف

هو محمد بن عمرو مولى بنى تميم ، كوفى الأصل والمولد والمنشأ ، والزف لقب غلب عليه ، وكان مغنياً ضاربا طيب المسموع صالح الصنعة ، مليح النادرة أسرع خلق الله . أخذا للغناء ، وأصحهم أداءله وأذكاهم ، إذا سمع الصوت مرتين أوثلاثاً

أداه ، لايكون بينه و بين من أخذه عنه فرق . وكان يتعصب على ابن جامع و يميل الى ابراهيم الموصلى وابنه إسحاق ، فكانا يرفعان منه و يتقدمانه و يجتلباه له الرفد والصلات من الخلفاء .

وكانت فيه عربدة اذا سكر . فعربد بحضرة الرشيد مرة فأمر باخراجه ومنعه من الوصول اليه وجفاه وتناساه . وأحسبه مات فى خلافته أو فى خلافة الأمين .

قال إسحاق : غنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد صوتاً فأحسن فيه ماشاء وأجمل ، فغمزت عليه محمداً الرف وفطن لما أردت ، ثم قمت للصلاة وغمزت الرف فجاءنى . وأومأت الى مخارق وعلويه وعفيد فجاءونى ، فأمرته باعادة الصوت . فأعاده وأداه كأنه لم يزل يرويه فلم يزل يكرر على الجماعة حتى غنوه و دار لهم ثم عدت الى المجلس فلما انتهى الدور الى ، بدأت فغنيته قبل كل شىء غنيته فنظر الى ابن جامع محدداً نظره وأقبل على الرشيد فقال : أكنت تروى هذا الصوت؟ فقلت : نعم ياسيدى . فقال ابن جامع : كذب والله ماأخذه الامنى الساعة . فقلت : هذا صوت أرويه قديماً وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه منى ، وأقبلت عليه . فغناه علويه ثم عفيد ثم مخارق . فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته و بطلاق امرأته إن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال ، ماسُمع منه قبل ذلك الوقت . فأقبل علىّ فقال : بحياتى اصدقنى عن القصه فصدقته . فجعل يضحك و يصفق و يقول : لكل شىء آفة ، وآفة ابن جامع الرف

محمد بن عباد الكاتب

هو محمد بن عباد مولى بنى مخزوم . وقيل : إنه مولى بنى جمح . ويكنى أباجعفر . مكى من كبراء المغنيين ، وكان أبوه ، من كتاب الديوان بمكة ، فلذلك

قيل : ابن عباد الكاتب .

وقال ابن عباد : والله انى لأمشى بأعلى مكة فى الشعب إذا أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة ، فظننت أنهم قالوا له : هذا ابن عباد . فمال الىّ ، فملتُ إليه . فقال لى : أنت ابن عباد ؟ قلت : نعم . قال : مِلْ معى هاهنا . ففعلت ، فأدخلنى شعب ابن عامر . ثم أدخلنى دهليز ابن عامر وقال : غنينى . فقلت : أغنيك هكذا وأنشد مالك . وقد كان يبلغنى أنه يثلب أهل مكة ويتعصب عليهم . فقال : بالله إلا غنيتنى صوتا من صنعتك . فاندفعت فغنيته :

ألا ياصاحبى رفقا قليلا على ربع تقادم بالمنيف

ماغنيته اياه الا على احتشار . فلما فرغت نظر الى وقال لى : قد والله أحسنت . ولكن حلقك كأنه حلق زانية .

وتوفى ابن عباد ببغداد فى الدولة العباسية ، ودفن بباب حرب .

مخارق

هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار مولى الرشيد ، ويكنى أبا المهنأ ، كناه الرشيد بها ، وكان قبله لعاتكة بنت شهدة .

وكان مخارق وهو صبى ينادى على مايبيعه أبوه من اللحم . فلما بان طيب صوته علّمته مولاته طرفا من الغناء . ثم أرادت بيعه ، فاشتراه ابراهيم الموصلى منها وأهداه للفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه

وحدث هارون بن مخارق قال : كان أبى اذا غنى هذا الصوت :

يارب سلمى لقد هيجت لى طربا زدت الفؤاد على علاته وصبا

يبكى ويقول : انا مولى هذا الصوت : فقلت له : وكيف ذلك يا أبت ؟ فقال

غنيته مولاى الرشيد فبكى وشرب عليه رطلا . ثم قال : أحسنت يامخارق . فسلنى حاجتك . فقلت : أن تعتقنى يا أمير المؤمنين. أعتقك الله من النار . فقال : أنت حر لوجه الله

وتوفى مخارق فى أول خلافة المتوكل ، وقيل بل فى آخر خلافة الواثق .

ابن مسجح
أبو عثمان سعيد

هو سعيد بن مسجح أبو عثمان مولى بنى جمح ، وقيل إنه مولى بنى نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، مكى أسود مغن متقدم ، من فحول المغنين وأكابرهم وأول من صنع الغناء منهم ، ونقل غناء الفرس إلى غناء العرب ، ثم رحل إلى الشام وأخذ ألحان الروم ، وانقلب إلى فارس فأخذ بها غناء كثير ، وتعلم الضرب ، ثم قدم لى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم

وقيل : إن أول من غنى هذا الغناء العربى بمكة ابن مسجح ، وهو الذى علم الغريض.

ومن قديم غنائه الذى صنعه :

أسلام إنك قد ملكت فأسجحى
قد يملك الحر الكريم فيسجح

وعاش ابن مسجح حتى لقيه معبد وأخذ عنه فى أيام الوليد بن عبد الملك

المسدود

المسدود من أهل بغداد ، وكان منزله فى ناحية درب المفضل . واسمه الحسن ، وكنيته أبو على . وكان أبوه قصايا . وكان مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر . وكان

يقول : لو كان منخرى الآخر مفتوحا لأذهلت بغنائى أهل الحلوم وذوى الألباب . وشغلت من سمعه عن أمر ديته ودنياه ومعاشه ومعاده .

وكان أشجى الناس صوتاً واحذره نادرة . ولم يكتسب أحد من المغنين بطنبور ما كسبه ، وكانت له صنعة عجيبة أكثرها الاهزاج .

ابن مشعب

هو رجل من أهل الطائف مولى لثقيف ، وانتقل إلى مكة فكان بها . وهو من احسن الناس غناء ، وكان فى زمن ابن سريج والأعرج . وعامة الغناء الذى ينسب إلى أهل مكة له . وقد تفرق غناؤه فنسب بعضه إلى ابن سريج ، وبعضه إلى الهذليين ، وبعضه إلى ابن محرز .

معبد اليقطينى

كان معبد غلاما مولداً خلاسياً من مولدى المدينة ، اشتراه بعض ولد على بن يقطين . وقد نشأ بالمدينة ، وأخذ الغناء من جماعة من أهلها ومن جماعة أخرى ، من علية المغنين بالعراق فى ذلك الوقت ، مثل : اسحاق وابن جامع وطبقتهما . ولم يكن — فيما ذكر — بطيب المسموع ، ولا خدم أحداً من الخلفاء إلا الرشيد . ومات فى أيامه ، وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة .

قال معبد : كنت منقطعاً إلى البرامكة آخذ منهم وألازمهم ، فبينا أنا ذات يوم فى منزلى إذا بابى يدق ، فخرج غلامى ثم رجع الىّ فقال : على الباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك . فأذنت له . فدخل علىّ شاب ما رأيت احسن وجها منه ،

ولا أنظف ثوباً ولا اجمل زيامنه ، عليه آثار النعم ظاهرة ، فقال لى : انى ارجو لقاك منذ مدة فلاجد اليه سبيلا ، وان لى حاجة . قلت : ماهى ؟ فأخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يدى ثم قال : اسألك ان تقبلها وتصنع فى بيتين قلتهما لحناً تغنينى به . فقلت . هاتهما ، فأنشدهما وقال :

والله ياطرفى الجانى على بدنى لتطعنن بدمعى لوعة الحزن
اولا بوحن حتى تحجبوا سكنى فلاراه ولوادرجت فى كفنى

قال : فصنعت فيهما لحنا ثم غنيته إياهما ، فأعمى عليه حتى ظننته قد مات ، ثم افاق فقال : أعد ، فديتك . نناشدنه الله فى نفسه ، وقلت : أخشى ان تموت . فقال : هيهات ، انا أشقى من ذاك . ومازال يخضع لى ويتضرع حتى أعدته : فصعق صعقة اشد من الأولى حتى ظننت أن نفسه قد قاظت . فلما افاق رددت الدنانير عليه ووضعتها بين يديه وقلت : ياهذا ، خذ دنانيرك وانصرف عنى ، فقد قضيت حاجتك وبلغت نظراً مما اردت ولست احب ان اشرك فى دمك .[1]

يونس الكاتب

هو يونس بن سليمان ، وقيل انه مولى لعمرو بن الزبير . ومنشؤه ومنزله بالمدينة . وكان ابوه فقيها ، فأسلمه فى الديوان فكان من كتابه . وأخذ الغناء عن معبد وابن سريج وابن محرز والغريض . وكان اكثر روايته عن معبد ، ولم يكن فى اصحاب معبد احذق ولااقوم بما اخذ عنه منه . وله غناء حسن وصنعة كثيرة وشعر جيد .

---

(١) ثم كان ان اباح الرجل بذات نفسه لمعبد ، فاذا هو يحب فتاة فسعى معبد إلى ان جمع بينهما بالزواج .

وكتابه فى الأغانى ونسبها إلى من غنى فيها هو الأصل الذى يعمل عليه ويرجع إليه . وهو أول من دون الغناء .

ولمسعود بن خالد الموريانى فيه :

يايونس الكاتب يايونس طاب لنا اليوم بك المجلس
إن المغنيين إذا ماهمُ جاروك أخنى بهم المجلس
تنشر ديباجا وأشباهه وهم إذا مانشروا كرْبسوا

اجتمع فتيان من أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يغنى. فخرجوا إلى واد يقال له دومة من بطن العقيق فى أصحاب لهم ، فتغنوا واجتمع إليهم نساء أهل الوادى ، فكان حولهم مثل مراح الضأن . فأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له ، فلما رأى جماعة النساء عندهم حسدهم . فأتى قصراً من قصور العقيق فعلا سطحه وتغنى ، فما قضى صوته حتى مابقيت امرأة إلا جلست تحت القصر الذى هو عليه. فقال يونس : هذا عمل ابن عائشة وحسده .

وخرج يونس من المدينة إلى الشام فى تجارة ، فبلغ الوليد بن يزيد مكانه ، فلم يشعر يونس إلا برسل قد دخلوا عليه الخان ، فقالوا له : أجب الأمير . والوليد إذ ذاك أمير . قال : فنهضت حتى أدخلونى على الأمير ، لاأدرى من هو إلا أنه من أحسن الناس وجها وأنبلهم . فسلمت عليه ، فأمرنى بالجلوس ، ثم دعا بالشراب والجوارى ، فكنا يومنا وليلتنا فى أمر عجيب ، وغنيته فأعجب بغنائى حتى مضت ثلاثة أيام ، ثم قلت له : جعلنى الله فداء الأمير ، أنا رجل تاجر خرجت مع تجار وأخاف أن يرتحلوا فيضيع مالى. فأمر لى بثلاثة آلاف دينار. وغدوت إلى أصحابى. فلما خرجت من عنده سألت عنه فقيل لى. هذا الأمير الوليد بن يزيد ، ولى عهد أمير المؤمنين هشام . فلما استخلف بعث إلىّ فأتيته فلم أزل معه حتى قتل .

A.U.B. LIBRARY

الاصفهانى ،ابو الفرج على بن الحسين
[الاغانى. مختارات ١٩٢٥] مهذب الاغ
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01048190

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT